المطران يوسف الدبس

تاريخ سورية

الديني والدنيوي

الجزء الثامن

تاريخ سورية في أيام السلاطين العثمانيين

راجعه ودققه
الدكتور مارون رعد

إشراف
نظير عبود

دار نظير عبود

تاريخ سورية

فهرس

عد — صفحة

القسم الثاني

تاريخ سورية الديني في القرن الثامن عشر

الفصل الاول

بطاركة انطاكية واورشليم في هذا القرن

الفصل الثاني

من نعرفهم من المشاهير الدينيين في القرن الثامن عشر

ملحق

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الاول

اعيانهم الدنيويون في هذا القرن

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الثالث

مشاهير العلم الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الرابع

المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن

الفصل الخامس

الباب التاسع

تاريخ سورية في القرن التاسع عشر

القسم الاول

تاريخها الدنيوي في هذا القرن

الفصل الاول

السلاطين العثمانيون الذين تولوا سورية في هذا القرن

الفصل الثاني

بعض المشاهير في القرن التاسع عشر

القسم الثاني

تاريخ سورية الديني في القرن التاسع عشر

الفصل الاول

بطاركة انطاكية في هذا القرن

الفصل الثاني

بطاركة اورشليم في هذا القرن وبطاركة الارمن بلبنان

ملحق

تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر

الفصل الاول

حكام الموارنة واعيانهم

الفصل الثاني

بعض مشاهير العلم من الموارنة

الفصل الثالث

بطاركة الموارنة ومن رقوهم إلى الاسقفية في هذا القرن

الفصل الرابع

ما عقده اساقفة الموارنة من المجامع في القرن التاسع عشر

الفصل الخامس

الاديار والكنائس والمدارس التي انشأها الموارنة
في القرن التاسع عشر

القسم الثاني

تاريخ سورية الديني في القرن الثامن عشر

الفصل الأوّل

بطاركة أنطاكية وأورشليم في هذا القرن

عد ١٠٤٨

بطاركة أنطاكية الروم غير المتّحدين في هٰذا القرن

فرغنا من كلامنا على هؤلاء البطاركة في تاريخ القرن السابع عشر بذكر كيرلس حفيد مكاريوس وباسيليوس الرابع ابن الخوري فضل الله الدباس الدمشقي وما كان بينهما من الخلاف واكتفاء باسيليوس أخيراً بأن يكون مطراناً على حلب. والآن نقول بإسهاب اكثر أنّ البطريرك كيرلس المذكور نظمه الروم غير المتّحدين في سلسلة بطاركتهم ووصفوه بالثالث بهذا الاسم، وبأنه البطريرك المائة والتاسع والأربعون في عداد البطاركة الأنطاكيين كما يتبيّن في الكتاب الذي نشروه حديثاً موسوماً بالارج الذاكي. ومن السلسلة المرسلة إليّ من قبل غبطة السيّد ملاتيوس دوماني بطريركهم الحالي ولكن حسبه الروم الملكية المتّحدون كاثوليكيّاً في جملة بطاركتهم ووصفوه بالخامس، وبأنه ١٣٢ من عداد بطاركة أنطاكية كما يتبيّن من الكتاب المعنون «مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين» المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٤م. على أنّ كيرلس نازعه البطريركية نوافيطس أحد نواب البطريرك مكاريوس فأزاحه عنها، ولـمّا توفي نوافيطس أو عزل عاد كيرلس إلىٰ البطريركية

وبقي فيها إلى سنة ١٦٨٦م كما حققه لكويان في المشرق المسيحي وجاء في سلسلة البطريرك ملاتيوس المشار إليها أنّ نوافيطس صير بطريركاً سنة ١٦٨٨م وكذلك ورد ذكره في الأرج الذاكي. على أنّ مؤلّف هذه النبذة في الكتاب المذكور أسقط من عدد البطاركة اسم نوافيطس وصرّح بأنّه أهمل عدده لأنّه ادّعى البطريركية في حياة السيّد كيرلس البطريرك القانوني ومات قبله، وقال إنّ نوافيطس هذا كان يونانياً ومطراناً على حماه.

وأمّا السيّد باسيليوس الدباس فالذي رواه لكويان عنه أنه صير بطريركاً سنة ١٦٨٦م وبقي في البطريركية (هذه المرّة) سبع سنين ثمّ اعتزل عنها وأعطي مطرانية حلب، وعاد كيرلس مرّة ثالثة إلى كرسي أنطاكية واستمرّ فيه إلى سنة ١٧٢٠م إذ أدركته المنية كما سترى في الفصل الآتي. وقد اتّفق لكويان ومؤلف كتاب الأرج الذاكي والسلسلة المشار إليها على أنّ أثناسيوس صير بطريركاً هذه المرّة بعد وفاة البطريرك كيرلس سنة ١٧٢٠م واستمرّ في البطريركية إلى سنة ١٧٢٤م ولكنّ الخلاف هو في أنّ الروم غير المتّحدين يحصون كيرلس وباسيليوس في عداد بطاركتهم الأنطاكيين والروم المتّحدون يجعلونهما من بطاركتهم الكاثوليكيين والذي يظهر لي أنّ البطريرك كيرلس كان كاثوليكياً حقاً كما سأبين في الفصل الآتي ولاسيما من رسائله إلى الحبر الروماني ورسائل إمام الأحبار إليه، لكنّه كان يحاذر المجاهرة بالإيمان الكاثوليكي ويخشى مراقبة الروم غير المتّحدين له بدليل ما سنذكره أنّه لم يحضر مجمع مطارينه الذي عقدوه في طرابلس سنة ١٦٨٠م للاهتمام بنشر الايمان الكاثوليكي فبقي محسوباً عند الروم من بطاركتهم الأنطاكيين. وأمّا باسيليوس الدباس فلا شكّ في أنه تظاهر بالإيمان الكاثوليكي والتمس من الحبر الروماني أن يثبته كما سترى في خطبة البابا بناديكتوس الرابع عشر التي سنذكرها في الفصل الآتي لكنّه لم يكن ثابتاً في إيمانه بل كان متقلباً فيه، ولذلك لم ينل هذان البطريركان التثبيت ودرع الرياسة من الكرسي الرسولي لأنّه لم يكن واثقاً كلّ الثقة بثباتهما على الإتّحاد كما سترى في خطبة البابا بناديكتوس الرابع عشر المشار إليها.

وبعد وفاة البطريرك أثناسيوس الدبّاس سنة ١٧٢٤م رقى البطريرك القسطنطيني بطلب البطريرك أثناسيوس وبعض أعيان حلب سليبستروس القبرصي إلى البطريركية

الأنطاكية على الروم غير المتّحدين وسترى في الباب التالي ما أجراه من القسوة على البطريرك كيرلس تاناس الكاثوليكي وبعض الأساقفة الخاضعين لسلطته واستمرّ في البطريركية من سنة ١٧٢٤ إلى ١٧٦٦م كما يؤخذ من الكتاب الأرج الذاكي ومن السلسلة الواردة لنا من قبل غبطة السيّد ملاتيوس دوماني البطريرك الحالي والظاهر من هذا الكتاب ومن السلسلة المذكورة أنه بعد وفاة سليبستروس سنة ١٧٦٦م خلفه البطريرك بتليمون ولم يذكر فيهما من أين كان ولا ما كان من أعماله وآثاره لأنّه لم يعش بطريركاً إلّا سنة واحدة وخلفه البطريرك دانيال سنة ١٧٦٧م واستمرّ في البطريركية إلى سنة ١٧٩٣م أي ستاً وعشرين سنة، وبعد وفاته في السنة المذكورة خلفه البطريرك انثيميوس وبقي مترئساً على الروم غير المتّحدين في بطريركية أنطاكية عشرين سنة أي من سنة ١٧٩٣ إلى سنة ١٨١٣م. انتهى.

عد ١٠٤٩

بطاركة أنطاكية على الروم الملكية المتّحدين في القرن الثامن عشر

إنّ جميع بطاركة أنطاكية الذين ذكرناهم من القرن الثامن إلى الآن يراد بهم بطاركة الروم الملكية، ومن القرن التاسع بعد الشقاق الذي كان بين القديس اغناطيوس بطريرك القسطنطينية وفوتيوس الذي تغلّب عليه ولاسيما في القرن الحادي عشر بعد أن عمم ميخائيل شيلولاريوس البطريرك القسطنطيني الانفصال عن الكنيسة الرومانية ومدّه إلى باقي البطركيات الشرقية كان السواد الأعظم من بطاركة أنطاكية منفصلاً عن طاعة الكرسي الروماني وندر من كان منهم كاثوليكياً أو ميالاً إلى المذهب الكاثوليكي بنوع أنّه لا يمكن وضع سلسلة لبطاركة أنطاكية الروم الملكيين الكاثوليكيين قبل أواخر القرن السابع عشر الذي به ابتدأ يقام بطاركة روم ملكية كاثوليكيون على كرسي أنطاكية تمتد سلطتهم إلى أبناء ملّتهم المقيمين في بطريركيتي اسكندرية وأورشليم ولذلك تحتّم علينا أن نذكر هؤلاء البطاركة الكاثوليكيين.

ففي سنة ١٦٧٢ ارتقى إلى المقام البطريركي البطريرك كيرلس وكان حلبياً

وميالاً إلى المذهب الكاثوليكي واجتمع البطريرك اسطفانوس الدويهي بطريرك الموارنة به وبأربعة من مطارينه أحدهم أفتيميوس أسقف صور وصيدا، وجرى الجدال بينهم على عقائد الإيمان فأورد لهم الدويهي حججاً قاطعة وأدلّة ساطعة على صحّة المذهب الكاثوليكي ولزوم تمسّكهم به وبنعمة الله ومع ميلهم إلى ذلك صمموا على المجاهرة بهذا المذهب المقدّس ثمّ اجتمع أولئك الأساقفة مع غيرهم سنة ١٦٨٠م في طرابلس يتداولون في الوسائل اللازم اتّخاذها لنشر هذا المذهب بين أبناء ملّتهم ولم يستطع البطريرك كيرلس أن يشهد مجمعهم حذراً من شدّة المراقبة له من قبل الروم. وفي سنة ١٦٨٨م حصل خلاف بين الملكية فانتخب المضادون للبطريرك كيرلس بولس الدمشقي ابن الخوري فضل‌الله الدبّاس بطريركاً عليهم وسمى أثناسيوس فعزل البطريرك كيرلس في مجمع من الأساقفة المحازبين له فوقع التشاق والخلاف بين البطريركين وبين المحازبين لكل منهما وطال الخلاف إلى أن اتّفق البطريركان على أنّ البطريرك كيرلس يستمرّ في بطريركية أنطاكية ويوقّع البطريرك الأنطاكي حالياً وأثناسيوس يكون رئيس أساقفة حلب ويوقع البطريرك الأنطاكي سابقاً.

ولـمّا علم البابا اكليمنضوس الحادي عشر أنّ البطريرك كيرلس يجاهر بالمعتقد الكاثوليكي بعث إليه برسالة مؤرخة في ٩ كانون الثاني سنة ١٧١٧م يحرّضه بها على إذاعة الإيمان الكاثوليكي ويشجّعه على الثبات وعدم المبالاة بالمصاعب التي تعرض له في هذا الطريق ولـمّا بلغته رسالة البابا كتب دستور إيمانه وأرسله إلى الحبر الروماني مع عصاه الحبرية مبيّناً له أنه يجب استلام هذه العصا من قداسته لأنه راعي الرعاة وخليفة بطرس رئيس كنيسة المسيح كلّها فسرّ الحبر الروماني بجوابه وطابت نفسه به وأرسل إليه رسالة أخرى مؤرّخة في ٣٠ أيّار سنة ١٧١٨م شاكراً له ومبيناً مسرّته في حسن تصرّفه لكنّه لم يثبته التثبيت الرسمي ولم يرسل إليه درع الرئاسة المعتاد ثمّ توفّي هذا البطريرك إلى رحمة الله في ٥ كانون الثاني سنة ١٧٢٠م.

وبعد وفاة البطريرك كيرلس سنة ١٧٢٠م خلفه أثناسيوس الدبّاس المذكور وأرسل دستور إيمانه إلى رومة ومدحه المطران جرمانوس فرحات بقصيدة تراها في

ديوانه لكنّه لم يثبت على الإتّحاد بالكرسي الروماني بل عاد إلى المخالفة له، وشَهَر الكتاب الموسوم «بصخرة الشك» وطبعه على نفقته سنة ١٧٢١م بانكلترا، وترجم كتاب غبريل الفيلادلفي المشحون بالطعن بالإيمان الكاثوليكي. ويعزو إليه صاحب الكتاب الأرج الذاكي كتباً أخرى تضاد التعليم الكاثوليكي. ويظهر من رسائل نعمة الله ابن الخوري توما الحلبي الذي كان كاتباً لأثناسيوس المذكور أنّ نعمة الله سعى لديه عند احتضاره أن يكتب إلى البطريرك القسطنطيني أن يرقي سليبستروس الآتي ذكره إلى بطريركية أنطاكية فكتب إليه بذلك وأجابه البطريرك القسطنطيني إلى ذلك وكذلك عرب نعمة الله المذكور مقالة لأثناسيوس في الماء الحار الذي يصبّه الروم في الكأس رداً على أفتيموس مطران صور وصيدا الكاثوليكي كل ذلك يثبت أنّ أثناسيوس الدبّاس كان متقلباً في إيمانه وقد أحصاه الروم غير المتّحدين في عداد بطاركتهم الذي نشروه في الكتاب الأرج الذاكي، وفي سلسلة بطاركتهم المرسلة إليّ من قبل غبطة بطريركهم الحالي كما مرّ. لكنّه لم يقم على الكرسي الأنطاكي إلّا مدّة قصيرة لمرض اعتراه وعاجلته المنية في ٢٤ تموز سنة ١٧٢٤م فانتخب الملكية المتّحدون كيرلس تاناس ابن أخت المطران أفتيميوس الصيفي الكاثوليكي مطران صيدا في ٢ أيلول سنة ١٧٢٤م بطريركاً على أمّتهم. وأمّا الملكية غير المتّحدين فأقيم عليهم الشماس سليبستروس القبرصي الأصل بطريركاً فإنه كان في القسطنطينية فرقاه بطريرك الروم القسطنطيني إلى بطركية أنطاكية ونال أمراً من البابا العالي بواسطة سفير إنكلترا بأن ينفي البطريرك كيرلس تاناس وبعض الأساقفة المحازبين له، وأتى إلى حلب مبدياً كل نوع من القسوة، ثمّ ارتحل إلى دمشق سنة ١٧٢٥م فاضطرّ البطريرك كيرلس أن يفرّ إلى لبنان فانتصر له البطريرك يعقوب عواد بطريرك الموارنة وأساقفته ورفعوا كتب شهادة وتوصاة به إلى سفير فرنسة لدى الباب العالي، فوقعت بيد البطريرك سليبستروس ووشى بهم لسليمان باشا العظم والي دمشق بأنهم مساعدون للملكية الكاثوليكيين العصاة عليه وعلى الدولة العلية فجهز عسكراً وأرسله إلى دير قنوبين مقرّ بطريرك الموارنة، ففرّ البطريرك ونهب العسكر الدير وقبض على بعض رهبانه ورهبان دير قزحيا، وعلى أخي البطريرك يعقوب وطرحوا في السجن بطرابلس، ونهب أكثر قرى جبة بشري. وافتدى بعض أعيان الموارنة رهبانهم وأخا بطريركهم بمبلغ من المال ثمّ قبض

البطريرك سليبستروس على جراسيميوس مطران حلب وأرسله إلى المنفى إلى جبل اتس فاستمرّ في منفاه ست سنين ونصف السنة مكابداً مشاق النفي والتضييق إلى أن استحصل الحلبيون أبناء أبرشيته أمراً برجوعه إلى حلب. وقد ذكره السمعاني مادحاً ثباته في مقدّمته على كتاب قانون الرهبانية الشويرية، وأراد سليبسترس القبض على نوافيطوس مطران صيدنايا ففرّ إلى لبنان ومنه إلى رومة حيث توفّي سنة ١٧٣٠م. وذكره السمعاني أيضاً في مقدّمته المذكورة وعقد سليبسترس مجمعاً في دمشق أعلنوا به تشبّثهم بالقضايا الخمس خلافاً لتعليم الكنيسة الرومانية.

أمّا البطريرك كيرلس تاناس فرفع إلى الحبر الروماني دستور إيمانه ملتمساً تثبيته ومنحه درع الرياسة، ونرى البابا بناديكتوس الرابع عشر يخاطب الكرادلة بشأن تثبيت البطريرك كيرلس المذكور في الديوان السري الذي عقده في ٣ شباط سنة ١٧٤٤م بما ملخّصه: «لما كان البطاركة الملتطخون بوصمة البدعة قد تغلّبوا على الكرسي الأنطاكي كان بطاركة القسطنطينية يفرغون جِدَّهم لاخضاع بطريركية أنطاكية لسلطتهم ولاسيّما بعد أن اختصّوا بأنفسهم اسم بطريرك مسكوني، وأخذوا ينتخبون البطاركة لأنطاكية ويرقّونهم إلى المقام البطريركي وعلى هذا النمط خلط الملكية أنفسهم بالروم وتسموا روماً ملكية، إلى أن عرض بطرس الثالث البطريرك الأنطاكي في القرن الحادي عشر للبابا لاون التاسع ارتقاءه إلى بطريركية أنطاكية والتمس منه التثبيت فثبته، وقد اتّحد دوروتاوس الأوّل بالكنيسة الرومانية في المجمع الفلورنسي التيلي، إلّا أنّه بعد ذلك تسكّعت هذه البطريركية بظلمة الانفصال عن الكنيسة الرومانية ولم يعد يتلألأ فيها نور الرجوع إلى الإيمان القديم إلّا في آخر القرن السابع عشر وكان أوّل من نهج السبيل إلى هذا الرجوع السيّد اوفتيميوس الملكي مطران صور وصيدا واتبعه كيرلس البطريرك ثمّ أثناسيوس وأرسل كلاهما دستور إيمانهما إلى هذا الكرسي الرسولي، فلم يثق الكرسي الرسولي بذلك كل الثقة ولم يرَ ملائماً أن يمنحهما درع الرياسة. إلّا أنّه قد قام الآن على الملكية بطريرك آخر يسمى كيرلس أيضاً فهذا ارتقى في القرن الحاضر إلى المقام البطريركي واستحقّ وحده التثبيت من الكرسي الرسولي، لأنّه قدّم أدلّة لا يشوبها ريب على طاعته لهذا الكرسي

المقدّس، وظهر باسلاً بالمجاهرة بالإيمان القويم ضدّ سليبستروس الذي غصب الكرسي البطريركي» (مجلّد ٢ من براءات هذا البابا في الحاشية عدد ٦).

وقد خاطب البابا بناديكتوس الرابع عشر البطريرك كيرلس في براءة تثبيته له بما ترجمته: «أيّها الأخ الموقر كيرلس الكاثوليكي بطريرك الروم الملكيين الأنطاكي إنّنا عندما نتذكّر أنّ كنيسة الروم الأنطاكية الشريفة التي انفصلت من مدّة متطاولة عن الكرسي الروماني وكان يدبّرها بطاركة ملطّخون بوصمة البدعة قد نيط تدبيرها الآن باخوتك وعهد بحمايتها إلى راعٍ شرعي، يتولانا سرور لا مزيد عليه وينسينا الكآبة القديمة العهد التي كانت شاملة لنا لأنّه تغلّب على هذه الكنيسة أساقفة مخالفون لهذا الكرسي الرسولي. ولعمري إنّنا نرى نفسنا ترتكض فرحاً إذ نجد أنّ اسم البطريرك الأنطاكي الروم الكاثوليكي أمكن أن يكتب بكل طمأنينة في سجلات الكنيسة الرومانية» (مجلّد ١ من براءات هذا البابا صفحة ٣١٢).

وفي سنة ١٧٤٥م تعطّفت الذات الشاهانية على البطريرك كيرلس بالبراءة العالية فسار إلى دمشق واستولى على الدار البطريركية ولكن لم يدم ذلك إلّا مدّة نحو ثلاثة أشهر لأنّ البطريرك سليبسترس سار إلى الآستانة العلية وجدّد براءته ثمّ عاد إلى دمشق وأجرى على الكاثوليكيين قسوة عنيفة. وفي سنة ١٧٥٩م دعا البطريرك أساقفة ملّته وكاشفهم بأمر استقالته من المقام البطريركي واختياره له القس اغناطيوس جوهر ابن بنت أخيه فخالفه في ذلك أربعة أساقفة فأصرّ على الاستقالة والعمل برأيه فتنزل عن البطريركية ورُقّي إليها نسيبه المذكور وسمّي أثناسيوس. واستأثرت رحمة الله بالبطريرك كيرلس في ١ كانون الأوّل ويروى الثاني في سنة ١٧٦٠م وله من العمر خمس وسبعون سنة، وكانت وفاته بدير المخلّص ودفن في كنيسته. ثمّ أنّ المطارين الأربعة الذين خالفوا البطريرك في ترقيته أثناسيوس جوهر إلى البطريركية وهم مكسيميوس مطران حلب وأثناسيوس مطران بيروت وباسيليوس مطران صيدا وباسيليوس مطران بعلبك رفعوا دعواهم إلى البابا اكليمنضوس الثالث عشر وشاركهم في التشكي من ذلك مجمعا الرهبانيتين المخلصية والشويرية والاكليرس الدمشقي، فأبطل البابا المذكور بسلطانه تنزل البطريرك كيرلس وانتخاب أثناسيوس وأقام مكسيموس حكيم مطران حلب بطريركاً عليهم سنة ١٧٦٠م

وأرسل إليهم الأب دومينيكيوس لانزا من الدومينيكيين قاصداً رسولياً كما يظهر مس براءتي البابا المذكور المؤرختين في ١ آب سنة ١٧٦٠، ومن تقرير قدّمه القس سمعان الصبّاغ لمجمع نشر الإيمان المقدَّس بالوكالة عن المطارين الأربعة المذكورين، وعن رئيسي الرهبانيتين المخلصية والشويرية.

أمّا البطريرك مكسيموس حكيم الحلبي الذي اختاره البابا اكليمنضوس الثالث عشر فلم يعش في البطريركية إلّا سنة وبضع أشهر، رقّى فيها بعض أساقفة، واتّخذ أثناسيوس مطران بيروت معاوناً له لأنه كان شيخاً، وأقام في دير القديس يوحنّا بالشوير وعاجلته المنية في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٧٦١م وله من العمر ستّ وسبعون سنة، ودفن في كنيسة دير القديس يوحنا المذكور وله كتاب وسمه بمنهاج التوبة وكتاب آخر في العقائد الكاثوليكية والأسرار البيعية.

وبعد وفاة البطريرك مكسيموس وقع الخلاف بين الأساقفة على انتخاب خليفة له فاغناطيوس مطران حلب وباسيليوس مطران صيدا وأثناسيوس مطران بيروت ويوسف مطران حمص وفيلبوس مطران بعلبك انتخبوا أحدهم أثناسيوس الدهان مطران بيروت بطريركاً في ٢٦ كانون أوّل سنة ١٧٦١م، ودُعي توادسيوس وأقام في دير القرقفة. وكان السيّد أثناسيوس جوهر المار ذكره يطمع بأن يكون بطريركاً فساءه انتخاب البطريرك توادوسيوس فرقّى القس جبرائيل المبيض إلى أسقفية قانا الجليل ودُعي جراسيميوس، والقس غريغوريوس الحدّاد إلى أسقفية قارة إذ تنازل له عنها يوسف مطران حمص وكلاهما من الرهبانية المخلصية، فانتخباه مع غيرهما من الأساقفة بطريركاً. وسار السيّد جوهر إلى رومة ومعه المطران مكسيميوس سلال وغيره آملاً إثبات بطريركيته.

وعرض البطريرك توادوسيوس ومنتخبوه من الأساقفة الأمر إلى الكرسي الرسولي والتمسوا تثبيته وإتحافه بدرع الرئاسة، فصدر أمر الحبر الروماني بتثبيت البطريرك توادوسيوس على يد قاصده السيّد لانزا المار ذكره، فدعا القاصد البطريرك والأساقفة ورؤساء الرهبانيات فاجتمعوا بدير القمر. وتلا عليهم الأوامر الرسولية بتثبيت البطريرك توادوسيوس فأبدى حينئذٍ الجميع الطاعة، ونقل البطريرك السيّد باسيليوس جلفاف من أسقفية صيدا إلى كرسي بيروت، وسمى السيّد جوهر مطراناً على صيدا.

وعاد السيّد جوهر من رومة كئيباً سنة ١٧٦٤م، وفي السنة التالية اجتمع بالمطارين محازبيه فانتخبوه ثانية بطريركاً، فرقى القس بطرس نعيمي إلى أسقفية صور، فاستدعى القاصد الرسولي البطريرك توادوسيوس والأساقفة المطيعين فاجتمعوا في دير القدّيس ميخائيل بزوق مكايل ورفعوا عريضة للبابا اكليمنضوس الثالث عشر بما جرى، فأصدر في ١١ أيلول سنة ١٧٦٥م براءة وبّخ فيها السيّد جوهر والأساقفة محازبيه، وأبطل بطريركيته الثانية، ورشق بالحرم من قاموا بهذا الصنيع. فكانت في الأمّة اضطرابات حملت بعضهم إلى اتباع الطقس اللاتيني فلم يثبت الحبر الروماني ضمهم إلى هذا الطقس. وسنة ١٧٦٨م كتب السيّد جوهر والأساقفة محازبوه إلى البطريرك توادوسيوس يبدون خضوعهم له ويلتمسون حلهم من التأديب المطلق عليهم فاستدعاهم إلى بيروت فحضروا إليها طائعين فحلهم من التأديب فكان بذلك سرور أبناء الملة وساد السلم والسكينة فيها.

وفي سنة ١٧٨٨م توفي البطريرك توادوسيوس الدهان إذ كان له من العمر تسعون سنة واستمرّ في البطريركية ستاً وعشرين سنة وبضعة أشهر وكانت وفاته بدير القديس أنطونيوس القرقفة حيث اجتمع أساقفة الملّة في ٢٧ نيسان من السنة المذكورة، فانتخبوا السيّد أثناسيوس جوهر مطران صيدا المار ذكره. وعرضوا ذلك للكرسي الرسولي وأوفدوا بهذه المهمّة اغناطيوس صروف مطران بيروت إلى رومة فنال من الحبر الروماني تثبيت البطريرك أثناسيوس جوهر في ٣٠ آذار سنة ١٧٨٩م وعاد مصحوباً بدرع الرئاسة له وجعل هذا البطريرك إقامته في دير المخلّص. ولم تطل مدّة بطريركيتهِ فقد قضى نحبه في ١١ تشرين الثاني سنة ١٧٩٤ في دير إيليا النبي بقرية رشميا ودفن في كنيسة الدير المذكور، وفي ٣٠ كانون الأوّل سنة ١٧٩٤م اجتمع الأساقفة في دير إيليا النبي بقرية رشميا وأصاب انتخابهم السيّد كيرلس سياج الدمشقي مطران حوران، وكان قد رقي إلى الأسقفية سنة ١٧٦٣م لزيادة حزب البطريرك أثناسيوس جوهر، والتمس الأساقفة من الكرسي الرسولي إثباته ولا نرى ذكراً لاثباته من الحبر الروماني، فنظنّ أنّ المنية عاجلته قبيل تثبيته لأنه توفي في ٢٥ حزيران سنة ١٧٩٦م في عيتنيت من قرى البقاع العزيز، ودفن في كنيستها وكان سليم القلب لا غشّ فيه متواضعاً محباً للجميع.

فاجتمع أساقفة الملّة على اثر وفاته فانتخبوا السيّد أغابيوس مطر الدمشقي مطران صيدا بطريركاً فسرّ أبناء الملّة بانتخابه وكتب الأساقفة إلى الكرسي الرسولي ملتمسين له التثبيت فثبته البابا بيوس السادس الحبر الروماني سنة ١٧٩٧م ونرجئُ الكلام فيه إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

عد ١٠٥٠
بطاركة أورشليم في القرن الثامن عشر

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في القرن السابع عشر بذكر دوزيتاوس الثاني الذي توفي سنة ١٧٠٧ فانتخب خلفاً له خريسنتوس وكان ابن أخي دوزيتاوس كما يظهر من الذيل المعلّق على كتاب عمّه دوزيتاوس في تاريخ بطاركة أورشليم المطبوع ببوخارست سنة ١٧١٥م وكان خريسنتوس على جانب من العلم مجملاً بسجايا حسنة أقام مدّة بباريس وجعله عمّه أكسرخوس في قيصريّة فلسطين وأرسله بطاركة الروم في المشرق إلى قيصر الروس وانتخب بطريركاً في ٨ شباط سنة ١٧٠٧م بعد وفاة عمّه بيوم واحد، وله كتاب في فروض الكنيسة الشرقية. قال لكويان أخذت عن هذا الكتاب خلاصة ونشرتها باللاتينية، وأثنى عليه ثناءً طيّباً ديمتريوس بروكوبيوس وقال إنّه كان ضليعاً بالأسفار المقدّسة خبيراً بكتب الآباء عالماً باليونانية واللاتينية، درس على علماء القسطنطينية وإيطاليا وتجوّل بأوروبا وجدّد كنيسة أورشليم سنة ١٧١٩م وزيّن قبر المخلّص برخصة سنية من السلطنة. وله كتاب في مبادئ الجغرافية في اليونانية الحديثة مثل كتابه في الفروض وهذان الكتابان طبع الأوّل منهما بباريس والثاني ببوخارست. وذكر العلّامة السمعاني في جملة الكتب التي أحضرها من المشرق إلى المكتبة الواتيكانية (مجلّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٦٣١) رسالة لخريسنتوس البطريرك الأورشليمي أنفذها إلى أبرشيته يتكلّم فيها على طبع كتاب يشتمل على ست وستين خطبة لأثناسيوس البطريرك الأورشليمي وخطبة لفم الذهب في الفصح والقيامة. كتب هذا الكتاب في حلب سنة ١٧٢١م. وذكر له أيضاً رسالة

مجمعية من المجمع الذي عقد بالقسطنطينية سنة ١٧٢٢م ورأسه أرميا البطريرك القسطنطيني وشهده أثناسيوس بطريرك أنطاكية ولم يكن في هذه السنة بطريرك لأنطاكية إلّا أثناسيوس الدبّاس (كما مرّ)، وخريسنتوس البطريرك الأورشليمي، واثنا عشر حبراً بين رؤساء أساقفة وأساقفة، وأرسلت هذه الرسالة إلى أهل بطريركية أنطاكية بالعربية واليونانية ليدافع الروم بها ضدّ رئاسة البابا، وعن انبثاق الروح القدس من الآب وحده، وعن استعمال الخمير وانكار المطهر، وسعادة القديسين بعد القيامة، وتحريم أكل المخنوق ولزوم الصوم يوم السبت، وفيها تنديد باللاتينيين لعدم مناولتهم الأطفال القربان المقدّس، وعدم مسحهم بالميرون إلّا المرضى المدنفين. واختتم لكويان كلامه بأنّه يظهر له من رسالتين واردتين من طرابلس أنّ البطريرك خريسنتوس توفي سنة ١٧٣٣م وخلفه ملاتيوس في شهر آذار من السنة المذكورة والمقال عنه أنّه كان لين العريكة قليل التعصّب لمذهب أمّته.

إلى هنا كان اعتمادنا في تاريخ بطاركة أورشليم على العلّامة لكويان في مؤلفه المشرق المسيحي مع زيادات عليه، وأمّا كلامنا الآتي في هؤلاء البطاركة إلى آخر تاريخنا فنعتمد فيه على سلسلة لهم تكرم بارسالها إلينا غبطة البطريرك دميانس بطريرك أورشليم الحالي، وعلى كتاب أتحفنا به يشتمل على سلسلة بطاركة أورشليم وهو تأليف الشمّاس غريغوريوس أستاذ المدرسة اللاهوتية بأورشليم مطبوع باليونانية في هذه المدينة سنة ١٨٦٢م.

ومما ذكر في الكتاب والسلسلة عن ملاتيوس المذكور البطريرك الأورشليمي أنّه لم يرقَ إلى البطريركية سنة ١٧٣٣م كما ذكره لكويان بل سنة ١٧٣١م، وأنّه لما كانت البطريركية الأورشليمية يومئذٍ في ضيقة وملاتيوس شيخ غير قادر على سد إعوازها استقال من البطريركية وتخلّى عنها إلى برتينيوس من أثينا سنة ١٧٣٧م فعني هذا البطريرك بسد فاقة البطريركية وحشد ثروة لها بواسطة مناشير أذاعها على الروم في كل جهة، فحسنت حال البطريركية حتى أنشأ كنيسةً في الناصرة على البئر التي كانت العذراء تستقي الماء منها على ما يقولون. واستمرّ هذا البطريرك على الكرسي الأورشليمي تسعاً وعشرين سنة، ورأى أنّ شيخوخته لا تطيق تحمّل مهامّ البطريركية فتنازل عنها سنة ١٧٦٦م إلى أفرام من أثينا أيضاً

وكان أستاذ اللاهوت في قبرص، وذهب برتينيوس يقضي ما بقي من عمره في القسطنطينية حيث توفي بعد مدّة وجيزة، وكانت في أيام البطريرك افرام الحرب المار ذكرها بين الدولة العلية والروسية واشتدّت المنازعات بين الروم واللاتينيين على الأماكن المقدّسة.

وفي سنة ١٧٧١م توفي البطريرك افرام بعد أن أقام بالبطريركية خمس سنين فأجمعت آراء الأساقفة في القسطنطينية وأورشليم على انتخاب صفرونيوس السادس وكان حلبياً ومطراناً على عكا ونائباً بطركياً، واستمرّ على بطريركية أورشليم أربع سنين ثمّ نقل سنة ١٧٧٥م إلى بطريركية القسطنطينية، وأقيم له خلفاً على كرسي أورشليم أبراميوس الكرجي، فشرع هذا البطريرك في مرمة الأماكن المقدّسة بأورشليم وتحسين حالها والجدّ بكل ما يعود بالنفع على بطريركيته، واستمرّ على ذلك اثنتي عشرة سنة ثمّ توفّاه الله سنة ١٧٨٧م وخلفه بروكوبيوس الراكوزي، وكان متروبوليت قيصرية فلسطين ومجملاً بالغيرة لكنّه كان طاعناً بالسنّ تنتهكه الأمراض فأقام بالبطريركية سنة واحدة، ودعا إليه أفتيموس وكان مطراناً على قيصرية فأرشده إلى ما يدبر به كنيسة أورشليم وتخلى له عن بطريركيتها سنة ١٧٨٨م، فأقام أفتيموس بالبطريركية عشرين سنة، وكانت بينه وبين اللاتينيين والأرمن منازعات كثيرة على الأماكن المقدَّسة، ويقال إنّه كان يحسن معرفة اللغات اليونانية والعربية والفارسية، وله تآليف بالعربية منها كتاب «الهداية» و«تفسير المزامير» طبعت على نفقته بفيانا، وتوفي سنة ١٨٠٨م وعمره تسعون سنة. انتهى.

الفصل الثاني

نعرفهم من المشاهير الدينيين في القرن الثامن عشر

عد ١٠٥١
الشماس عبدالله زاخر

هذا العالم بحلب ودرس العلوم البيعية على العالم الشهير الخوري بطرس الآتي ذكره. ويروي بعضهم أنّه هو الذي جعله يعتنق الإيمان الكاثوليكي حلب وأتى إلى لبنان في ٢١ من تشرين سنة ١٧٢٢م وأقام أوّلاً بزوق سروان يعد أدوات المطبعة التي أنشأها بعد ذلك في دير القديس يوحنا شوير حيث أتمّ معدّاتها ونشر بها كتباً عديدة منها فصول العهد القديم تي تستعمل في طقس الروم الملكية وكتب فروضهم وصلواتهم وطبع فيها كتاب المجمع اللبناني لملّتنا المارونية وله عدّة تآليف تشهد بطول باعه عه أوّلها الكتاب الذي وسمه بالبرهان اليقين حيث أثبت القضايا الخمس ا الروم غير المتّحدين. والثاني رد على رسالة لمطران فيلادفيا الروم وسماه: لشفي من سم الفيلادلفي». ولمّا وردت الرسالة المشار إليها قبلاً من سطنطينية إلى البطريركية الأنطاكية ألّف كتابه الثالث سمّاه: «التفنيد لعنيد» وقد طبع مختصر له في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ثمّ أذاع مطران عكا كتاب تعليم مسيحي اشتمل على ما يخالف المعتقد فألّف كتابه الرابع وعنوانه: «الرد على ذوي الانفصال والصد» وكتابه نوانه: «البرهان الصريح في سري دين المسيح» وطبعه بمطبعته. وله أيضاً هبة في لزوم حفظ القوانين الرهبانية ومقالة طويلة سمّاها «المحاماة الجدلية

على الكلمات الربية». وله أيضاً كتاب ردّاً على مذهب البروتستانت، ورسالة ضد معتقد الأرمن، وله فتاوى كثيرة في مسائل مختلفة وقد نقح كتاب تفسير المزامير وكتاب تفسير الأناجيل. وذكر له صاحب مختصر طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين كتاباً كبير الحجم أرسله إلى الأب بطرس فرماح اليسوعي ولم يبين لنا ما هو هذا الكتاب. وقد بقي عبدالله زاخر عامياً متبتلاً. وفي آخر حياته أبرز النذور الرهبانية وتوفي راهباً في ٢٠ آب سنة ١٧٤٨م.

عد ١٠٥٢

الخوري نقولا الصايغ والخوري يواكيم مطران

الخوري نقولا الصايغ هو من طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين ولد سنة ١٦٩٢م وقد انضوى سنة ١٧١٦م إلى رهبانيتهم المعروفة بالحناوية والشويرية نسبة إلى دير القديس يوحنا بالشوير، وقد ابتدأت هذه الرهبانية سنة ١٦٩٧م على ما في كتاب الدر المنظوم للصالح الذكر البطريرك بولس مسعد أو سنة ١٧٠٠م كما في كتاب مختصر تاريخ هذه الطائفة. أسّسها أوّلاً في الدير المذكور راهبان خرجا من دير بلمند واعتنقا المذهب الكاثوليكي ورقي الخوري نيقولاوس إلى درجة الكهنوت سنة ١٧١٩م ثمّ انتخب رئيساً عاماً في رهبانيته سنة ١٧٢٧م، فأقام على هذه الرئاسة ثلاث سنين واستعفى منها في المجمع التالي لكنّه أكره على قبولها سنة ١٧٣٣م وبقي عليها إلى آخر حياته، فأحسن تدبير الرهبانية وزادها نموّاً ونجاحاً وبنى عدّة مساكن في دير القديس يوحنا المذكور، وأنشأ فيه كنيسة القديس نيقولاوس، وقد نازعه الروم غير المتّحدين هذا الدير مرّتين فلم يتمكّنوا من تملّكه. وله مصنّفات منها كتاب «التقدمة لخدمة عيد الجسد» وكتاب «فرائض الرهبان والراهبات» المثبت من الكرسي الرسولي سنة ١٧٤٧م. وللسيد العلّامة السمعاني مقدّمة على كتاب فرائض الرهبان هذا ناطقة بفقاهته كباقي مؤلفاته، وكانوا قبل ذلك اتّخذوا قوانين رهبان القديس أنطونيوس اللبنانيين الموارنة دستوراً لسيرتهم إلى أن ثبت الكرسي الرسولي فرائضهم المذكورة.

وللخوري نقولا ديوان شعر معروف طبع ببيروت مرّات، ومنه قصيدة رثاء لأستاذه المطران جرمانوس فرحات مطلعها:

إلّا أنّ مغنى المجد ثلث دعائمه   وربع سناء الفضل أعفت معالمه

ومنها قوله:

أمامي وذخري بل غناءي ونعمتي   غنمت به غنى تجل غنائمه
فان كنت من يلفى الآه فانني   لظالم نفسي شر ظلم وظالمه
حلبت به وسع الإناء معارفاً   يلازمني جنح الدجى وألازمه

وكانت وفاته سنة ١٧٥٦.

وأمّا الخوري يواكيم مطران فهو يوسف بن موسى المطران من بعلبك ولد بها سنة ١٦٩٦م ودخل الرهبانية الحناوية في ٧ حزيران سنة ١٧٣١م وسمي يواكيم وأخذ العلم عن الشمّاس عبدالله زاخر المذكور ونبغ فيه وخدم الأنفس الروحية بحلب وحمص وبعلبك، واشتهر بخطبه ومواعظه وتآليفه فله من المصنّفات: «الايصاغوجي في المنطق» تتداوله أيدي الطلبة الذين لا يحسنون اللغات الأوروبية، وكتاب: «الإيضاحات النطقية» وهو مطوّل في المنطق، وكتاب «التكميل»، وكتاب «منارة القدّاس» مطوّل أيضاً، وكتابا مواعظ في آحاد السنة كلّها وفي الأعياد إلى غير ذلك. وتوفي بمدينة عكا سنة ١٧٧٢م. اعتمدنا في تراجم هؤلاء المشاهير على كتاب مختصر تاريخ الطائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين.

عد ١٠٥٣
نعمةالله ابن الخوري توما الحلبي وأولاده

نلخّص ترجمة نعمةالله المذكور عن مقالة نشرها في مجلّة المشرق الأب جرجس منش الحلبي الماروني هو نعمة الله ابن الخوري توما الحلبي، ولد في أواخر القرن السابع عشر بحلب ويظهر أنّه كان من طائفة الروم الملكية غير المتّحدين، لكنّه اعتنق الإيمان

الكاثوليكي في مبادئ القرن الثامن عشر، وكان قد درس العلوم حتى الفقه على أدباء حلب وفقهائها، واستخدمه البطريرك أثناسيوس الدبّاس كاتباً له، ووجد له مجموعة سماها: «عجالة راكب الطريق لمن رضي تقليد التلفيق» وهي مشتملة على تسع وسبعين صورة لمناشير وصكوك وغيرها وسبع وسبعين رسالة في أبواب الترسّل كالتهنئة والتعزية والشكر والنصح الخ، ونحو خمسين قصيدة من شعره أكثرها في مدح الفضلاء منهم البطريرك أثناسيوس الدبّاس والمطران جرمانوس فرحات مطران الموارنة بحلب والخوري نيقولاوس الصائغ المار ذكره، وله رسالة مسهبة إلى الأب جبرائيل فرحات قبل تسقفه وجوابها قصيدة فرحات البائية المثبتة في ديوانه المطبوع صفحة ٦٤ وفي مجموعته هذه اثنتا عشرة رسالة أنشأها باسم البطريرك أثناسيوس الدبّاس وجراسيميوس ومكسيميوس أسقفي حلب إلى الأحبار الأعظمين والكرادلة وبعض الأساقفة وتعريب مقالة للبطريرك أثناسيوس المذكور في الماء السخن الذي يصبّه كهنة الروم في الكأس ردّاً على السيّد أفتيميوس الصيفي مطران صور وصيدا. ومن مقالاته رسالة يبين فيها اندهاشه مما لقيه عند الشيخ أبي نوفل الخازن قنصل فرنسة في بيروت وختم مجموعته بمقالة سمّاها: «خلاصة حب الفؤاد بنصح الآباء للأولاد». وقد سعى نعمة الله لدى البطريرك أثناسيوس الدبّاس عند احتضاره أن يكاتب البطريرك القسطنطيني ليرقي سليبسترس القبرصي إلى بطريركية انطاكية فكاتبه ووافقه في ذلك بعض أعيان حلب فرقي البطريرك القسطنطيني سليبسترس إلى هذه البطربركية بعد وفاة البطريرك الأنطاكي وقد ندم الحلبيون بعد ذلك على هذا المسعى لأنّ سليبسترس أذاقهم الأمرّين.

وقد عرضت لنعمة الله مصائب ومحن كموت بعض أولاده وفقد ماله وفقره حتى احتاج إلى بيع كتبه العزيزة وفي ذلك يقول:

يا رب قد بعتُ كتبي فحسبي الذل حسبي

بعتُ الصفي[1] برخيص ومثله المتنبي

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي.

وابنٌ هاني ويا ما هنئت بهِ وصحبي
وكذا القلائد[1] لمّا غلت قلائد كتبي

ويعرف من أولاد نعمة الله ثلاثة: توما وجبرائيل وأنطون. أمّا توما فسافر إلى مصر سنة ١٧٥٥ وقال والده عند وداعه:

ولما قضى التوديع فينا قضاءه وزفت مطايا البين ركب الترحلِ
فقلت لأصحابي ودمعي قد جرى قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

ولتوما رحلة من حلب إلى اللاذقية فبيروت فمصر. وجبرائيل توفي فرثاه أبوه بقوله:

يا لقومي اعذروني ضاق بي وسع الفضا
يا لقومي ضاق ذرعي عيل صبري وانقضى
يا لقومي ضاع رشدي فيما ألقي القضا
يا لقومي غاب جبرائيل عني ومضى

ولجبرائيل هذا مجموعة أهداها والده لأحد أصحابه لئلا تزيد شجونه بعد موته، ورسائل نعمة الله المذكور آخرها في تاريخ سنة ١٧٦٧، ولكن يظهر أنّ ابنه جبرائيل توفي سنة ١٧٧٥ ورثاه بما مرّ فان صحّ ذلك كانت وفاته تلك السنة أو بعدها.

(١) قلائد العقيان.

عد ١٠٥٤
الخوري يوحنا عجيمي

هو من طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين ولد في ٢٠ أيّار سنة ١٧٢٤ بقرية جون من أعمال جنوبي لبنان وأرسل إلى رومة سنة ١٧٣٧م لاقتباس العلوم في مدرسة مجمع نشر الإيمان المقدَّس وأقام بها تسع سنين عاكفاً على تعلّم اللغات اليونانية واللاتينية والإيطالية والافرنسية، ثمّ العلوم الكنسية العالية كالفلسفة واللاهوت الخ. ولمّا أتمّ دروسه سار إلى باريس فأقام بها أربع سنين يتضلّع باللغة الافرنسية، وفي ٢٥ كانون الثاني في سنة ١٧٥٠م عاد إلى وطنه. وفي السنة الثالثة رقّاه البطريرك كيرلس تاناس إلى الشماسية ثمّ إلى درجة الكهنوت متبتلاً، وعاد بعد ذلك في ١ أيلول سنة ١٧٥١م إلى فرنسة فأقام مدّة ورجع ثانية إلى وطنه في ١٠ كانون الثاني سنة ١٧٥٣. وفي سة ١٧٦٢ بىى لنفسه من ماله كنيسة على اسم القديس يوحنا المعمدان بقرية جون وهي باقية إلى اليوم معروفة باسمه، وسار سنة ١٧٨٠م مرّة أخرى إلى أوروبا فتوفي بها سنة ١٧٨٥م في مملكة النمسا. وله بعض تآليف منها: كتاب «التختيكون الكنسي» المشهور، ومقالة طعن بها الموارنة والقديس يوحنا مارون معتمداً على قول يعزى إلى توادورس أبي قارا رئيس أساقفة كاريا أو حران الذي كان في أواخر القرن التاسع محازباً لفوتوس ضدّ القدّيس اغناطيوس البطريرك القسطنطيني. ثمّ عاد في المجمع الثامن المسكوني إلى المعتقد الكاثوليكي (على ما روى غرافيسون في تاريخه للقرن التاسع مجلّد ٣ صفحة ١٤١).

فمقالة الأب عجيمي هذه ردّها الخوري أنطون القيالي البيروتي تلميذ مدرسة الموارنة برومة وترى ردّه لها مثبتاً في كتاب المحاماة عن الموارنة الذي طبع حديثاً في بيروت، ولكن طبع أحد خصوم الموارنة مقالة الأب عجيمي في مصر وأردفها ببعض أقوال ادّعى أنها تؤيّد زعمه، وزعم الأب عجيمي وسمى كتيّبه: «الحجة الراهنة ضدّ الموارنة» ولم يتعرّض لشيء من رد الأب القيالي على تلك المقالة فاضطررت إلى تفنيد ذلك الكتيّب بمقالة وسمتها: بـ«الرد على الحجّة المسمّاة راهنة وهي واهنة». ونشرت هذا الرد جريدة «المصباح» في بيروت ويظهر من التقرير الذي قدّمه القس سمعان الصبّاغ لمجمع نشر الإيمان المقدّس من قبل المطارين الأربعة الذين شكوا

البطريرك كيرلس تاناس بإقامته نسيبه أثناسيوس جوهر بطريركاً ان القس يوحنا عجيمي المذكور إنّما هو الذي حمل البطريرك كيرلس على تنازله وترقيته نسيبه أثناسيوس جوهر إلى مقام البطريركية (طالع الدر المنظوم صفحة ٢٥٠).

عد ١٠٥٥
السيّد جرمانوس آدم

لم يكن السيّد جرمانوس آدم من المشاهير الذين توفوا في هذا القرن الثامن عشر بل في أوائل القرن التاسع عشر ولكن آثرنا وضع ترجمته في جملة مشاهير القرن الثامن عشر لأنّه نبغ واشتهر فيه. ولد هذا السيّد بحلب ونشأ وتأدّب بها بل انتظم في سلك اكليروسها وبعد ذلك أرسل إلى مدرسة مجمع نشر الإيمان برومة فتلقى العلوم السامية بها كالفلسفة واللاهوت والتاريخ بعد أن أتقن من اللغات اللاتينية واليونانية والإيطالية والفرنسية، وعاد بعد ذلك إلى حلب فرقاه البطريرك كيرلس الدهان سنة ١٧٧٤م إلى أسقفية عكا ثمّ نقل إلى كرسي حلب سنة ١٧٧٧م، وكانت إقامته وهو مطران بلبنان بزوق مكايل ودير القديس يوحنا بالشوير. ولمّا أمر البابا بيوس السادس بطريرك الموارنة وأساقفتهم أن يعقدوا مجمعاً طائفياً لاصلاح بعض الشؤون جعل المطران جرمانوس آدم قاصداً له في هذا المجمع فعقد في بكركي سنة ١٧٩٠م بحضرة البطريرك يوسف اسطفان وقاصد البابا المطران جرمانوس المذكور وأساقفة الطائفة ويعرف بمجمع بكركي الأوّل وسيجيء كلامنا فيه.

وفي سنة ١٨٠٦م عقد البطريرك أغابيوس مطر مجمعاً لطائفته الملكية الكاثوليكية في دير القدّيس أنطونيوس المعروف بدير القرقفة، وكان المطران جرمانوس آدم هو المؤلّف لرسوم هذا المجمع فأدخل بينها بعض آراء منبوذة من الكنيسة الرومانية آخذاً إيّاها عن أسقف بيستويا بإيطاليا الذي كان قد اجتمع به في فلورنسا، وطبعت أعمال هذا المجمع في مطبعتهم الشويرية سنة ١٨١٠م. لكنّ الكرسي الرسولي بعد التحري فيها مدّة طويلة لم يقبلها بل نبذها البابا غريغوريوس

السادس عشر ببراءة مؤرخة في ١٦ أيلول سنة ١٨٣٥م. وللسيد آدم كتاب سماه: «البراهين اليقينية في حقيقة الأمانة الأرثوذكسية» أثبت فيه القضايا الخمس التي ينكرها الروم غير المتّحدين. وله كتاب في التعليم المسيحي ونبذة في إرشاد معلّمي الاعتراف لكنّه كتب كتاباً آخر يظهر منه أنه ينكر رياسة البابا العامة، فانتقد هذا الكتاب البطريرك يوسف التيان بطريرك الموارنة وأرسل إلى السيّد آدم مقالة انتقاده فكتب آدم ردأً عليها، فانثنى البطريرك يوسف التيان برد مسهب بيّن فيه أنّ قضايا السيّد جرمانوس هي القضايا نفسها التي علّمها أسقف بيستويا ونبذها الكرسي الرسولي. وردّ التيان هذا موجود في مكتبة مدرسة القديس يوحنا مارون بكفرحي قد طالعته فيها مخطوطاً مدّة إقامتي بهذه المدرسة لتعليم طلبتها الفلسفة واللاهوت من سنة ١٨٥٥م إلى سنة ١٨٦٠م وقد رأيت نسخة أخرى منه في مكتبة الكرسي البطريركي ببكركي وكانت هذه المناقشة بين البطريرك يوسف التيان والسيّد آدم سنة ١٧٩٩م.

على أنّ السيّد آدم قبل وفاته كتب وصيته وفي جملة ما قاله فيها إنّه يخضع كل ما ألّفه أو كتبه لحكم الكنيسة المقدّسة الرومانية فيقبل ما تقبله ويحرم ما تحرمه. وكانت وفاته في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٠٩م.

ملحق

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأوّل

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

عد ١٠٥٦
المشايخ آل خازن وآل حبيش في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر من كانوا من آل خازن قناصل لدولة فرنسة في بيروت، وأنّ الشيخ حصن بن فياض الخازن كان في هذا المقام، وبعد وفاته صير ابنه الشيخ نوفل الخازن قنصلاً لفرنسة في بيروت وبقي في هذه القنصلية إلى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فكان الشيخ نوفل قنصل فرنسة في بيروت كاتباً فيه.

وبعد أن انتقلت الولاية على جبل لبنان من آل معن إلى آل شهاب في أواخر القرن السابع عشر كان مدبرو الأمراء الحاكمين من آل شهاب غالباً من الموارنة وأبقوا آل خازن على ولايتهم بكسروان وآل حبيش على ولايتهم بغزير وما يليها، ولما تولى الأمير يوسف علم الدين اليمني على لبنان بمساعي محمود باشا أبي هرموش كما مرّ واضطرّ الأمير حيدر موسى الشهابي الحاكم حينئذٍ أن يفرّ من وجهه سار أولاً إلى كسروان معتصماً بالمشايخ آل خازن وآل حبيش ولما تقوى عليه

عسكر الأمير يوسف علم الدين ودخلوا غزير وأحرقوها ترك الأمير حيدر عياله في كسروان فخبأهم المشايخ آل خازن في بعض قراهم، وكانوا يقدمون خفية كل ما يلزم لنفقتهم ونفقة الأمير حيدر الذي اختبأ مع بعض خواصه في الهرمل، ثمّ لـمّا سئمت نفوس أعيان البلاد ولاية الأمير يوسف علم الدين لجأ أعيان القيسية إلى الخازنيين ليكاتبوا الأمير حيدر شهاب المذكور أن يعود إلى البلاد فيناصروه جميعاً على اليمنية فحضر الأمير حيدر إلى المتن وكان معه الشيخ خازن الخازن وبعض أبناء عمّه وحضروا معه وقعة عندارا المشهورة حيث انتصر القيسية على اليمنية وظفروا بهم ظفراً تاماً فأقرّ الأمير حيدر المشايخ على ولايتهم في كسروان وكتب لهم الأخ العزيز، وكان في المصطلحات في تلك الأيّام أن يفرقوا بين طبقات الناس أن يكتبوا إليهم عزيزنا أو محبّنا أو أعز المحبين أو الأخ العزيز.

وفي ١٧٢٥م تولى الشيخ عبدالله بن فاضل الخازن ناحية عكار ولما كان راجعاً من دير قزحيا إلى كسروان التقاه نحو ثلاثين رجلاً من المشائخ الحمادية وأتباعهم وأرادوا إهانته لأنّه تولّى الناحية المذكورة وهم يدّعون أنّ لهم حق الولاية عليها فعاونه عليهم الرهبان فتملّص منهم. وشكا آل خازن الحمادية إلى والي طرابلس سليمان باشا العظم فأرسل عسكراً فنكل بالحمادية، ولكن نهب عسكره بلاد جبيل والبترون (عن سجل الرهبنة اللبنانية)، ولما اضطرّ البطريرك يعقوب عواد أن يبارح كرسيه قنوبين بسبب مناصرته للبطريرك كيرلس تاناس كما مرّ وأن يرقي الخوري يوسف صالح الدويهي الأسقفية ويُسلمه تدبير دير قنوبين، كتب له صكاً بذلك ووقع عليه مع بعض أساقفته. وكتب له بعض آل خازن أيضاً وثيقة مشعرة برضاهم بهذه الوكالة ليتهيبه المتاولة وغيرهم، ولما عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م شهده كثيرون من آل خازن وآل حبيش وترى تواقيعهم على آخره في النسخة المطبوعة حديثاً.

وفي سنة ١٧٥٠م لما اعتدى بنو منكر الشيعة على إقليم جزين وقتلوا رجلين من أصحاب الشيخ علي جنبلاط حشد الأمير ملحم الشهابي الرجال لكبت الشيعة المذكورين فتوجّه مع الأمير الشيخ ميلان الخازن ببعض رجال كسروان وعند اشتداد القتال في جباع الحلاوة أغار الشيخ ميلان برجاله على برج هناك

كان الشيعة قد اعتصموا به فأثخن فيهم وبدد شملهم فأكرمه الأمير وعظمت منزلته عنده. وفي سنة ١٧٧٠م لما افضت ولاية البلاد إلى الأمير يوسف الشهابي وتزلف إليه المشايخ آل خازن ولى الشيخ رامح بن حيدر بن قيس الخازن على لحفد وترتج ببلاد جبيل وجعلها اقطاعاً خاصاً به وبذريته وبقيت كذلك إلى أن الغى نظام لبنان الاقطاعات فيه.

عد ١٠٥٧
بطرس الشدياق وابن أخيه منصور وأولاده

إنّنا ننسّق ذكر الأعيان بهذا الفصل بحسب زمان اشتهارهم وخدمتهم لولاة البلاد. فبطرس الشدياق هو من سلالة رعد الحصروني جد المقدّم خاطر الحصروني الذي تقدّم ذكره في هذا التاريخ وفهد والد بطرس الذي سمّي الشدياق ارتحل من حصرون إلى كسروان بأولاده وعائلته وأقاموا بعشقوت. وفي سنة ١٧١٥م دعا الشيخ أبو شيبان الخازن بطرس الشدياق بن فهد وعهد إليه بمحاسبة الأموال الأميرية في ولايته بكسروان ثمّ جعله دهقاناً على عقاراته لما رأى فيه من الدراية والأمانة، إلى أن توجّه الشيخ المذكور سنة ١٧٢٣م إلى دير القمر ومعه الشدياق بطرس المذكور، فرأى الأمير حيدر الشهابي الوالي حينئذٍ ما رآه أبو شيبان في بطرس المذكور فطلبه منه وأقامه رئيساً لكتبته وأحبّه لصدق خدمته واخلاصه وجعله مدبراً له. ولمّا تولّى الأمير ملحم شهاب بعد والده الأمير حيدر أبقى الشدياق مدبراً له كما كان عند والده إلّا أنّه في سنة ١٧٢٧م تغيّر عليه لوشايات رفعها حساد الشدياق إليه فوضعه في محرس منفرداً دون أن يكشف له سبب تغيّره عليه فعظم الأمر على الشدياق حتى أخرجه عن دائرة رشده، واذ كان يوماً بالكنيف ضرب بطنه بسكين فخرقه وأغمي عليه، ولما أبطأ كشفه الحارس فرآه مطروحاً على الأرض وأعلم الأمير بذلك وأمر بإحضار طبيب عالجه فلم يشفَ، وكان مدبراً للأمير حيدر سبع سنين ولابنه الأمير ملحم ثماني سنين، وكان له ابنان ظاهر وخطّار قبض الأمير ملحم عليهما وعلى ابن أخيه منصور وضبط مالهم وخيلهم، ثمّ أمر بإطلاقهم

وارجاع بعض عقارهم، لكنّه وهب داري بطرس وابن أخيه منصور بعشقوت للشيخ أبي صليبي مرعب الخازن، فارتحل منصور إلى حارة الحدث ببعض أقربائه فتوطنوها وسكن ظاهر وخطار ابنا بطرس في بيروت.

وفي سنة ١٧٤١م سار منصور بأهله إلى بعلبك فخدم الأمير حيدر الحرفوش واستأجر منه أرضاً للزراعة، وقد قتل مصادفة أحد أقربائه رجلاً متواليّاً فطيب الأمير حيدر قلب منصور وأقربائه وأمر المتاولة أن لا يسوموهم ضراً ومن خالف أمره قتله، لمحبته لمنصور لاستقامته في تدبير أموره ولسعيه بالصلح بينه وبين الأمراء الشهابيين. وسنة ١٧٤٣م رجع منصور بأقربائه إلى حارة حدث بيروت، وسنة ١٧٥٧م أقامه الأمير ملحم الشهابي مدبراً لابن أخيه الأمير قاسم عمر وأرسلهما إلى دار السلطنة يلتمسان للأمير ملحم ولاية جبل الشوف وكسروان، وللأمير قاسم ولاية بلاد جبيل. ولمّا عرف بذلك الأمير منصور الشهابي أمر بقطع الأشجار التي لمنصور الشدياق في الحازمية ونال الأمير قاسم ومنصور أمراً سامياً إلى والي دمشق ليجيبوا الأمير إلى مطلوبه، لكن توفي والي دمشق قبل الإجابة فيئس الأمير قاسم من الفوز وصالح عمّه الأمير منصوراً وعوّض منصور الشدياق عما تلف له أو تكلف بيوتاً وعقاراً في قب الياس وأبقاه في خدمته، فسعى بعض المشايخ بتغيره على منصور وقتله. وكان منصور مأذوناً له أن يفتح الكتب الواردة للأمير ففتح ذاك الكتاب ثمّ ختمه وأعاده إلى الرسول فدفعه إلى الأمير فلم يخف الأمير ما فيه على منصور وطيّب قلبه، فقال له منصور لا تلقى خيراً عند عمّك الأمير منصور ما دمت أنا في خدمتك، واستأذنه بأن يفارقه ويتوجّه إلى بلاد بشاره، فأبى الأمير وألحّ منصور فرضي الأمير وأكرمه ودفع إليه كتاب توصاة إلى والي تلك البلاد، فارتحل منصور بأقربائه إلى قرية عين إبل فسكنها مدّة ثم انتقل إلى رميش، وسنة ١٧٦٣م دعاه الأمير قاسم إليه فأتى إلى حارة الحدث وعاد إلى خدمة الأمير قاسم مدبراً كما كان.

ومرض الأمير قاسم سنة ١٧٦٨م فجعل منصوراً وصياً على أولاده ودهقاناً لأملاكه، ثمّ استقال من الأمير منصور من هذه الوصاية سنة ١٧٧٠م فاستدعاه الأمير أفندي وأخوه الأمير سيّد أحمد الشهابيان واتّخذاه مدبراً لحكومتهما وبقي كذلك إلى أن فرّ الأمير سيّد أحمد شهاب سنة ١٧٨٥م من وجه أخيه الأمير

يوسف إلى حوران فسار منصور معه فأمر الأمير يوسف بقطع الأشجار التي له في الحازمية. وسنة ١٧٩٣م توفي منصور الشدياق بن جعفر وعمره سبع وستون سنة ودفن بحارة الحدث وله ثلاثة أولاد فارس ويوسف وسليمان.

أمّا فارس فاستدعاه الأمير يوسف الشهابي الوالي إلى خدمته سنة ١٧٨٦م وكان الشيخ سعد الخوري مدبّر الأمير المذكور يحب فارساً كثيراً فأحبّه الأمير يوسف ولمّا مرّ الأمير يوسف ببلاد بعلبك سنة ١٧٨٨م مطروداً من الأمير بشير قاسم الشهابي الذي كان قد أخذ الولاية أرسل الأمير جهجاه الحرفوش يقول للأمير يوسف تحوّل عن بلادي أو صليت عليك القتال، فارتبك الأمير يوسف بالجواب فقال فارس للأمير يوسف الجواب عندي. وشتم الرسول وضربه بدبوس من حديد وقال له اذهب فقل لأميرك من أنت حتى تمنع الأمير يوسف عن المرور فهو يأمرك أن تقوم حالاً من بلاد بعلبك أو فاجأك برجاله. ولما بلغ الأمير جهجاه هذا الجواب فرّ هارباً إلى بلاد الشرق وظلّ الأمير يوسف سائراً إلى الزبداني ثمّ إلى حوران، وأمر فارس الشدياق أن يقيم بدمشق وكيلاً له، ولمّا وعد الجزار الأمير يوسف بردّه إلى الولاية وحضر لديه إلى عكا كتب الأمير يوسف إلى فارس أن يلحقه إلى عكا فتوجّه ومعه خمسة عشر فارساً فأغار عليهم في الطريق عرب عنزه والسردية فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل بعضهم لكنّهم استظهروا عليه أخيراً ورموه عن جواده إلى الأرض، فنثر لهم نقوداً ألهاهم بها وفرّ من بينهم إلى قعدان البعيش شيخهم مستجيراً به فأجاره على عادة العرب، وردّ له ولفرسانه كلّ ما سلب منهم، ولم يمكن ورثة القتلى من العرب من مضرة نزيله. وسأله فارس أن يصحبه بمن يوصله إلى إقليم البلان فأصحبه بخمسين فارس، وعند وداعه قدّم له فارس سيفه وكان ثميناً، وسار متنكراً إلى عكا خوفاً من الأمير بشير. وسنة ١٧٩٠م لمّا حضر الشيخ غندور الخوري إلى عكا يسأل الجزار الولاية للأمير يوسف أنعم عليه بها وأمره أن يبقي الشيخ غندوراً رهناً عنده وأن يأخذ فارس الشدياق مدبراً له فكان كذلك. وفي سنة ١٧٩٨ دعا الأمراء أولاد الأمير يوسف فارساً بن منصور الشدياق لخدمتهم فأقام عندهم واستمرّ فارس في خدمتهم ثمّ خدمة الأمير بشير إلى أن توفي سنة ١٨١٧م.

عد ١٠٥٨

الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور

إنّ أسرة الخوري تنسب إلى الخوري صالح من عائلة مبارك. ارتحل الخوري صالح المذكور من كسروان إلى قرية رشميا سنة ١٧٠٠م، ويقال إنّ الخوري عبدالله من هذه الأسرة كان مع الأمير حيدر الشهابي الوالي في وقعة عندارا سنة ١٧١١م، وقبض على أميرين من اليمنية فأقطعه الأمير حيدر قرية رشميا ورفع عنها المال الأميري، وتعاقب الكهنة من هذه الأسرة واحدهم الخوري عبدالله ولد غندور، وغندور ولد الشيخ سعد، وسعد ولد الشيخ غندور اللذين نكتب ترجمتهما. فلمّا تولّى الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٧١م اتّخذ الشيخ سعداً ابن غندور مدبراً له فأحرز ثقته وعظم اعتباره لدى الأمير المذكور ولدى ملّته المارونية بل لدى الكرسي الرسولي كما سيأتي.

في تلك السنة اجتمع المشايخ آل حمادة ودهموا الأمير بشير حيدر الشهابي في العاقورة وهو يجبي الأموال الأميرية وعاونه عليهم شيخا بشري واهدن وغيرهما من أهل البلاد، ولمّا علم الأمير يوسف بذلك أرسل مدبّره الشيخ سعد بعسكر من قبل الجزار ومن رجال البلاد فأدرك الشيخ سعد المتاولة بقرية دير بعشتار فأغار عليهم وحاربهم من الظهر إلى المساء، فظفر بهم وفرّ الباقون مدحورين فتتبعهم الشيخ سعد إلى القلمون وأهلك منهم نحو مائة رجل، وقبض على الشيخ أبي النصر حمادة. وفي سنة ١٧٨٣م رهن الأمير يوسف عند الجزار مدبّره الشيخ سعد الخوري وأحضر ابنه الشيخ غندور سنة ١٧٨٤م وجعله مدبراً له عوضاً عن أبيه. وسار الجزار إلى الحج فأخذ الشيخ سعد معه إلى دمشق فاعتراه مرض ولمّا عاد الجزار من الحج سأله أن يرخّص له بالعود إلى بلاده لمرضه فرخّص له فحضر الشيخ سعد إلى جبيل ثمّ إلى زوق مصبح طلباً للتداوي عند جبور الجلدي الحلبي الماروني جدّ عائلة طبيب، فلم ينجع به العلاج فعاد إلى جبيل وتوفي بعيد ذلك سنة ١٧٨٥م وعمره ثلاث وستون سنة وقد رثاه المعلّم الياس ادّه بأبيات مطلعها:

فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرٌ وقد قرحتْ بالدمع منا المحاجرُ

والمصرع الأوّل في هذا البيت ختم به رثاءه وجعله تاريخاً لوفاته لكن مجموع حروف هذا المصرع بحساب الجمل سنة ١٧٨٦م.

وكان الشيخ سعد علماً للملة المارونية وعضداً لها وكان في أيّامه ابعاد البطريرك يوسف اسطفان إلى الكرمل بأمر البابا بيوس السادس بسبب الراهبة هندية، فرفع الشيخ سعد عرائض إلى الحبر الروماني وبعض كرادلة الكنيسة الرومانية مؤرخة في ١٥ آذار سنة ١٧٨٤م ملتمساً إرجاع البطريرك إلى كرسيه مبرئاً ساحته مما قذف به، وأوعز إلى أساقفة الملة ورؤساء الرهبانيات والمشايخ فاقتدوا به، وأرسل الشيخ سعد الخوري يوسف التيان تلميذ مدرسة الموارنة برومة إلى البابا وأصحبه برسالتين من الأمير يوسف حاكم البلاد إحداهما إلى الحبر الروماني والثانية إلى مجمع نشر الإيمان مبرئاً البطريرك مما طعن عليه ومترجياً عوده إلى مقامه. وترى صور هذه الرسائل مأخوذة عن السجلات البطريركية في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني في سنة ١٩٠١م. وكتب أيضاً الشيخ سعد رسائل أخرى بهذا الصدد إلى الكردينال رئيس المجمع المقدّس وإلى المنسنيور بورجيا كاتب المجمع وإلى الكردينال ديبرنس وغيرهم. وترى نسخ هذه الرسائل في الكتاب المذكور مع صورة جواب البابا بيوس السادس للشيخ سعد الخوري حيث يفتتحه بقوله: «إلى الإبن الحبيب والرجل الشريف الحسيب السلام والبركة الرسولية» حيث أفاض الكلام معه بما أخذ فيه على البطريرك، وانّه لما كان أقرّ بغلطه وعرف سوء تصرّفه أمر البابا بعوده إلى مقامه خاصة حباً بالطائفة المارونية لتشبثها الدائم بعرى الإيمان الكاثوليكي. وتاريخ هذا الجواب ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م. ولمّا توفي الشيخ سعد وبلغ خبر وفاته إلى رومة كتب الكردينال أنطونلي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدّس رسالة إلى البطريرك يوسف اسطفان يعزيه وطائفته فيها بهذه الخسارة العظيمة ويبين أمانيه بأنّ ابنه الشيخ غندور يخلفه بوجاهته وغيرته. وترى صورة هذا الجواب في الكتاب المذكور أيضاً. أمّا الشيخ غندور بن سعد فلم يكن أقل ذكاءً وغيرة ووجاهة من أبيه وكان الأمير يوسف اتّخذه مدبراً له منذ رهن أباه عند الجزار كما مرّ، وقد أحسن الخدمة وتناهى بالاخلاص لمخدومه وجدّ في السعي لراحة مواطنيه ونجاحهم، وقد أرسل البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة يومئذٍ الخوري

أنطون القيالي البيروتي إلى باريس سائلاً الملك لويس السادس عشر أن ينعم بقنصلية فرنسة على الشيخ غندور فتكرّم الملك عليه بها سنة ١٧٨٧م فكان قنصلاً لفرنسة ومدبراً لحكومة جبل لبنان. ويظهر أنّ الأمير يوسف كان قد كتب إلى ملك فرنسة يسأله أن ينعم على الشيخ غندور بالقنصلية وأن يواصل حمايته للموارنة كما يظهر من براءة الملك بإيلاء الشيخ غندور هذا المنصب المحفوظة في خزائن البطريركية وترى نسخة منها في كتاب المعلّم رشيد المار ذكره في خزائن البطريركية أيضاً صورة رسالة كتبها الأميرال دي كاستريس الفرنساوي إلى الأمير يوسف جواباً عن عريضة للملك بها بيّن له سرور الملك برسالته ودوام حمايته للموارنة وترى صورة هذا الجواب أيضاً في كتاب المعلّم رشيد المذكور.

وللشيخ غندور أيادي جزيلة على أهل لبنان ولاسيما أبناء ملّته المارونية وفي جملة مساعيه النافعة لهذه الملّة إغراؤه البطريرك يوسف اسطفان على تحويل دير عين ورقة الذي كان أقرباؤه قد أنشأوه لسكنى الراهبات مدرسة إكليريكية عامّة للموارنة. وفي خزائن أوراق البطريركية المارونية رسالتان أنفذهما الشيخ غندور إلى البطريرك يوسف اسطفان يرجوه ويحثّه فيهما على جعل هذا الدير مدرسة للموارنة. ويظهر أنّ البطريرك تردّد في الإجابة عندما وردت عليه الرسالة الأولى فانثنى الشيخ غندور مبيناً له لزوم هذا الأمر ومنافعه الجمّة وسهولة وضعه بالعمل لأنّ الدير خاص بعائلته. ومن جملة ما قاله في هذه الرسالة الثانية بحروفه: «ما هي الإفادة إذا راحوا ثمان راهبات من عين ورقة إلى السماء وكان إكليروس ينوف عن ثلاثة آلاف لا يحسنون قراءة الإنجيل». فقنع البطريرك وأقنع أقرباءه ودوّن صكاً مؤرخاً في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م بتحويل هذا الدير إلى مدرسة وترى صورة رسالتي الشيخ غندور هاتين بحروفهما في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة المذكور على أنّ صكّ تحويل دير عين ورقة مدرسة الذي ذكر في الكتاب المذكور ليس هو الصك الذي دوّن بذلك متضمناً قانون المدرسة ونظامها إلى غير ذلك ولـمّا عقد البطريرك يوسف اسطفان بأمر البابا بيوس السادس مجمع عين شقيق سنة ١٧٨٧م كان الشيخ غندور حاضراً به لأنّ الحبر الأعظم كان قد أمر أن يحضره سعد الخوري والده ويكون مساعداً على تنفيذ الأوامر الرسولية. ولـمّا كان سعد قد توفي

فأقيم ابنه مقامه وكتب الشيخ غندور إلى مشايخ الموارنة أن يشخصوا إلى هذا المجمع بحسب أمر البابا ودعوة البطريرك فلبى أكثرهم الدعوة ورفعوا إلى الشيخ غندور كتاباً يسألونه به أن تكون له العناية بأن يأمر هذا المجمع بإقامة المطارين عند السيّد البطريرك في قنوبين وبكركي ويمضون وقتاً بعد وقت لزيارة أبرشياتهم وسندوا ذلك إلى جملة اعتبارات فأمر هذا المجمع بذلك ولكن لم يحسن لدى الكرسي الرسولي أن يجيبهم إلى طلبهم بل آثر أن يقيم كل أسقف في أبرشيته كما رسم بالمجمع اللبناني. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

وقد سعى الشيخ غندور بطبع المجمع اللبناني فطبع الطبعة الأولى في دير القديس يوحنا بالشوير، وقد ولاه الأمير يوسف على مجدل معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز مدّة، ولمّا ردّ الجزّار الأمير يوسف الشهابي إلى ولاية لبنان سنة ١٧٩٠م رهن عنده ولده الأمير حسين ومدبّره الشيخ غندور ولم يلبث الجزار أن أعاد الأمير بشير قاسم إلى الولاية فأخذ يشكو من أنّ دسائس الأمير يوسف تمنعه من إجراء الأحكام وجباية المال فأمر الجزار بشنق الأمير يوسف الذي كان باقياً في عكا وشنق مدبّره الشيخ غندور كما مرّ. وقيل إنّ الشيخ غندور لم يشنق بل مات خوفاً فكذا يزول مجد العالم.

عد ١٠٥٩
المشايخ آل الضاهر

أنبأنا العلّامة البطريرك الدويهي أنّ أصل هذه الأسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطاركة وأنّهم عندما دكّت أهل إهدن منازل من اتبع اليعاقبة في بقوفا هاجر بيت الرز إلى كفرحورا بالزاوية في القرن السادس عشر وهم متشبّثون بالإيمان القويم وما زال اعقابهم إلى اليوم حكاماً على زاوية رشعين يقومون بمعاضدة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق أنطونيوس بن الرز . انتهى كلام الدويهي. وفي القرن الثامن عشر استمرّوا حكاماً للزاوية كان يوليهم عليها والي طرابلس أو ولاة لبنان. وفي سنة ١٧٥٠م كتب لهم

الأمير ملحم الشهابي الأخ العزيز كباقي مشايخ لبنان الكبار، وكان منهم الشيخ كنعان الظاهر وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه ونخوته. ويروون عن فراسته روايات غريبة وكانت بينه وبين بعض الطرابلسيين محاسدة وخصام فشكوه سنة ١٧٤١م إلى عبد الرحمان باشا والي طرابلس فقبض عليه وألقاه في السجن وعرض عليه أن يسلم فأبى وأكثر له من الوعد إذا طاوعه ومن الوعيد إذا خالفه فاستمرّ مجاهراً بإيمانه لا يحيله عنه حائل وتيقّن أنّ الباشا مصمّم على قتله فاحتال حتى اجتمع بالخوري ميخائيل من إهدن فاعترف عنده اعترافاً عاماً ويسّر له الله أن يناوله القربان المقدّس زاداً أخيراً وبعد ذلك أمر الباشا بقطع رأسه عند باب التباني فنفذ الأمر والتقليد الذي ينقله الشيوخ أنّ الله صنع آيات كثيرة إلى من زاروا مدفنه وأنّ بعض النصارى قطعوا يده بعد مقتله ووضعوها في كنيسة العذراء المعروفة بسيدة الحارة في طرابلس فأجرى الله آيات لمن تبرّكوا بها ولا نعلم أهو كنعان ضاهر الوارد اسمه في جملة أعيان الموارنة الذين شهدوا المجمع اللبناني أم غيره. ويترجح عندنا أنه هو هو إن صحّ أنّ مقتله كان سنة ١٧٤١م. واستمرّ آل الظاهر على إقطاعهم الزاوية يولي الأمراء الحاكمون واحداً منهم عليه إلى أن ألغى نظام لبنان الاقطاعات سنة ١٨٦١م.

عد ١٠٦٠
المشايخ آل الدحداح

إنّ هؤلاء المشايخ ينتسبون إلى جرجس الدحداح من العاقورة، وفي مبادئ هذا القرن الثامن عشر كان أحدهم الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس ضليعاً في اللغة التركية حسن الخط بها وباللغة العربية، فاستخدمه الأمير حسين الحرفوش، ثمّ انتقل إلى خدمة الشيخ اسماعيل حمادة فوهبه بعض عقارات في عمل الفتوح فارتحل نحو سنة ١٧٠٥م إلى الكفور بالفتوح ثمّ إلى عرمون بكسروان. وتوفي يوسف المذكور سنة ١٧١٢م وكان ابنه موسى قد استخدمه الأمير منصور شهاب سنة ١٧٦١م، وبقي أخواه سليمان ومنصور يخدمان أولاد الشيخ اسماعيل حماده المذكور كأبيهما، وعلّم موسى ابنيه نصيفاً وسلوماً اللغة التركية وأجاد نصيف الخط والانشاء. وفي

سنة ١٧٦٣م اتّفق موسى وأخوه منصور مع الشيخ سعد الخوري على طلب ولاية بلاد جبيل للأمير يوسف الشهابي وبذلا ما بوسعهما من هذا القبيل. ولمّا نجح هذا المسعى وتولى الأمير يوسف بلاد جبيل والبترون استخدم الأمير يوسف ابني أخيهما سليمان وهما يوسف ونادر مع كتبة ديوانه وجعل ناصيف بن موسى جابياً للمال الأميري، واستحضر أخاه سلوماً من خدمة زوجة الأمير مراد منصور شهاب وعيّنه بخدمته. وفي سنة ١٧٧١م جعل الأمير يوسف عمل الفتوح عهدةً لبني الدحداح ولمّا أرسل أخاه الأمير حيدراً عاملاً على بلاد جبيل أرسل معه بعض المشايخ الدحادحة، ولمّا حاصره أخوه الأمير سيّد أحمد في قلعة جبيل نجده المشايخ برجال الفتوح فأنعم عليهم الأمير يوسف ببعض عقارات في ساحل بلاد جبيل. وفي سنة ١٧٨٠م توفي الشيخ منصور بن يوسف الدحداح بعرمون فأبقى الأمير يوسف ابنه يوحنا معززاً كأبيه. ولمّا تولّى الأمير بشير الكبير البلاد سنة ١٧٩٠م وانهزم الأمير يوسف إلى نواحي دمشق كان مع الأمير يوسف بعض المشايخ الدحادحة، ولمّا نزل إلى عكا وحبسه الجزار وحبس من كان معه من الدحادحة وهم سلوم ويوسف وابراهيم فطلبهم الأمير بشير من الجزار وحبسهم في دير القمر، وطلب أحدهم نصيفاً من أخيه الأمير حسن فانهزم بعياله إلى الضنيّة. ولمّا تولى الأمير حيدر والأمير قعدان سنة ١٧٩٢م أخرجا المشايخ الدحادحة من السجن ثمّ تولّى أولاد الأمير يوسف فاستعملوا المشائخ المذكورين في الكتابة لهم. ثمّ تولى الأمير بشير الكبير سنة ١٧٩٥م ففرّ الشيخ سلوم الدحداح باخوته مع أولاد الأمير يوسف إلى جبيل فكتب إليه الأمير بشير يهدده بأنّه إذا لم يرجع باخوته من جبيل إلى خدمته يأمر بهدم مساكنهم بعرامون وبقطع أشجارهم. فرجع الشيخ سلّوم إلى خدمة الأمير بشير واخوته إلى خدمة أخيه الأمير حسن. ولمّا تغلّب أولاد الأمير يوسف على الأمير بشير سنة ١٧٩٩م وانهزم الأمير بشير وأخوه الأمير حسن إلى الحصن صحبهما من آل الدحداح سلوم ويوسف وابراهيم ومنصور ابن سلّوم ثمّ توجّه الأمير بشير إلى مصر لمقابلة الصدر الأعظم بواسطة الأميرال سميث الانكليزي فصحبه الشيخ سلوم وبقي يوسف وابراهيم ومنصور ابن سلوم مع الأمير حسن في الحصن، وبقي بعض آل دحداح في خدمة الأمراء الشهابيين في القرن التاسع عشر كما سترى في تاريخه.

عد ١٠٦١

مشايخ جبة بشري وطردهم المتاولة منها

قد مرّ ذكر كثيرين من حكام جبة بشري في القرون السابقة كالشدياق خاطر الحصروني ومقدّمي بشري والشيخ أبو كرم الحدثي وأبو جبرائيل يوسف وأبو كرم بشاره جدّ آل كرم من إهدن وغرضنا الآن الكلام على من كان من مشائخ هذا العمل في القرن الثامن عشر. قد رأيت في ما مرّ أنّ المشايخ آل حمادة المتاولة تولوا مرات بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وعزلوا أو طردوا من هذه الولاية، إلا أنّه في أواخر القرن السابع عشر أي سنة ١٦٩١م قرّر محمّد باشا والي طرابلس المشايخ الحمادية على إقطاعاتهم فتولى الشيخ حسين بن سرحال على بلاد البترون وابنه الشيخ اسماعيل على الكورة، والحاج موسى بن أحمد حمادة على الجبة، وأولاد حسن ديب على الضنيّة. ولكن في سنة ١٦٩٢م غيّر والي طرابلس من كان سالفه قد ولاهم فنصب في بلاد جبيل حسين آغا بن الحسامي، وفي بلاد البترون المقدّم قيدبيه ابن الشاعر، وفي الزاوية والجبة الشيخ ميخائيل بن نحلوس من إهدن ابن أخت كرم أبي بشاره وهو من قيل عنه في الأغاني الشعبية:

يحرس دينك يا نحلوس   حميت الضيعة بالدبوس
جامع رشعين هديته   وفي زغرتا دقّيت ناقوس

إلى أن اغتال رجل متوالي اسمه ابن الشقراني الشيخ المذكور في الضنية وعادت الولاية على الجبّة إلى بيت أحمد حمادة، فكانت فتنة بينهم وبين الشيخ عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل حمادة فهزمهم عبد السلام إلى الهرمل سنة ١٧٠٣م، وأقام في الجبّة نحو أربعين يوماً، وحضر إليه بعض وجوهها خيفة من شرّه وفرّ بعضهم، وفرض ضريبة على قرى الجبّة ومن لم يدفع ما أصابه منها أخذ رجاله طاسات النساء وسلاح الرجال والمؤن. وكتب إلى طرابلس يلتمس الولاية على الجبّة فلم يعطها حينئذٍ. وفي سنة ١٧١٥م حكم جبّة بشري أولاد أبي محمّد عيسى وأولاد عمّهم حسين المشطوب مشتركين ثمّ قسّموا البلاد مناصفة

فأخذ حسين من أبي محمّد عيسى بشري وقنويين وقيطو وبزعون، وأسعد ابن أخيه موسى أخذ حصرون وكفرصغاب وبلوزا وتولا وكرمسدي وراسكيفا، وأخذ أولاد حسين المشطوب النصف الآخر وكانوا ثلاثة وهم أبو ناصيف وأبو حسين وأبو قاسم فأخذ أبو ناصيف إهدن وحدها، وأبو حسين صالح أخذ عين طورين ومزرعة التفاح وبنشعي وقنات وبرحليون وحماطورا وكفرصارون وبيت زعيتر في بان، وأخذ أخوهما أبو قاسم دير قزحيا وحدشيت وبقاعكفرا، وكان في حكومتهم شيء من العدل والإستقامة واقتنوا أملاكاً سموها بكاليك مزيارا وسبعل وسرعل ووطا الرامات وكفرفو وبان وحوقا وثلث سرعل ودير نهرا والحدث وطرذا وبقرقاشا ونيحا وبنهران ومتريت. على أنّ أولاد هؤلاء المشايخ لم يسلكوا مسلك آبائهم بل عكفوا على السلب والنهب والجور حتى القتل. ومن سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٧٥٩م سلبوا راحة الأهلين ونكّدوا عيشهم وقتلوا كثيرين. وكان حينئذٍ من مشايخ القرى المشهورين الشيخ جرجس بولس من إهدن والشيخ عيسى الخوري والشيخ حنا ضاهر كيروز من بشري والشيخ أبو سليمان عواد من حصرون والشيخ أبو يوسف الياس من كفرصغاب والشيخ أبو خطار من عين طورين والشيخ أبو ضاهر من حدشيت. فائتمر المشايخ المتاولة على قتلهم فقتلوا منهم الشيخ أبا ضاهر من حدشيت واغتالوا كثيرين من وجوه الأهلين، وحملتهم الجسارة على أن يرسلوا ليقبضوا على المطران يواكيم يمين من إهدن فلم يكن أهل الجبة ليطيقوا هذا الجور ولا ليتحمّلوا هذا الذل والعار فالتقى أهل إهدن رجال المتاولة الآتين للقبض على المطران، وأوقدوا عليهم النار وأشغلوا بهم السيوف وطردوهم وتتبّعوا أثرهم إلى درج قنويين وخيّم الظلام بينهم. وفي النهار التالي غصّت إهدن بالآتين إليها من باقي القرى وقدس المطران يواكيم بكنيسة القديس جرجس بإهدن وحلف جميعهم يمين الأمانة وعدم الخيانة، وقبضوا على رجل متوالي واشتركوا في قتله جميعاً، وجعلوا مشايخ القرى المار ذكرهم مشايخ لهم وحكاماً عليهم مكان المشايخ المتاولة، وأبقوا قسمة قرى البلاد كما كانت في أيّام المتاولة. ونزل هؤلاء المشائخ إلى طرابلس وكان واليها حينئذٍ عثمان باشا الكرجي فالتزموا أي استأجروا منه قرى بلادهم ودفعوا المال المرتب عليها وكان ذلك سنة ١٧٥٩م.

وأقام هؤلاء المشايخ ثلاثة بكباشية من البلاد وهم بشاره كرم من إهدن وأبو ضاهر الفرز من بشري وأبو الياس العفريت من حصرون وعيّنوا رجالاً من البلاد للمحافظة، وكان عثمان باشا والي طرابلس يشجّعهم ويمدّهم بالمساعدات لكثرة ما كان المتاولة يقدمون عليه من التعديات في الزاوية وحدود طرابلس، وكان المشايخ يلتزمون قراهم منه ولذلك كانوا يسمونهم ملتزمي جبة بشري. وسنة ١٧٦١م هاجم المتاولة قرية بشري آتين من بعلبك إذ كان بعض المشايخ والأهلين في الساحل فدخلوها وقتلوا منها أبا ضاهر الفرز البكباشي، وجبور أصيلة، وأبا أنطونيوس سكر، وأبا رزق جعجع، وجبّور رحمة ونهبوا القرية ثمّ رجع المتاولة ثانيةً من بلاد بعلبك وبلاد جبيل بنحو ألفي رجل فالتقاهم مشايخ الجبة في أرض بشري وانتشب القتال بين الفريقين نحو ثماني ساعات ودارت الدوائر على المتاولة فانذعروا وقتل منهم اثنا عشر قتيلاً. وفي سنة ١٧٦٣م سيّر عليهم والي طرابلس محمّد باشا ابن عثمان باشا المذكور عسكراً إلى جبّة المنيطرة وقسمه إلى قسمين: أرسل فريقاً على طريق الجبل وكان معهم بشاره كرم البكباشي المذكور ورجاله، وفريقاً على طريق الساحل وكان معهم الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفرحاتا، فعسكر الجبل شتت المتاولة فهرب بعضهم إلى ناحية بعلبك وفرّ بعضهم في وادي الميحال نحو الساحل فالتقاهم العسكر الآتي من الساحل فنكّل بهم وأحرق مزارعهم التي كانت بساحل جبيل، ولكن بينما كان بشاره كرم عائداً مع رجاله تحت المغيرة كمن له بعض المتاولة فقتلوه وستة من رجاله.

وفي سنة ١٧٦٤م توجّه مشايخ الجبّة إلى الأمير منصور الشهابي فولاهم على بلادهم وأمدّهم أيضاً بمحافظين لردع المتاولة عن التعدي فلم يكن ذلك كافياً لكبتهم عن إقلاق أهل البلاد إلى أن كان ما ذكرناه في عدد ١٠٤٢م من أنّ المشايخ الحمادية دهموا الأمير بشير حيدر نائب الأمير يوسف الشهابي في بلاد جبيل وهو في العاقورة ومعه شيخا بشري واهدن فقاتلهم وظهر عليهم وأبعدهم عن العاقورة، ثمّ حضر لنجدته رجال الجبة وبلغ الخبر الأمير يوسف فوجه مدبره الشيخ سعد الخوري بعسكر فأدركهم الشيخ سعد في دير بعشتار وأثخن فيهم وظلّ يطردهم إلى القلمون وكان ذلك سنة ١٧٧٧م. وعلى هذا النحو استمرّ مشايخ

الجبة المذكورون يحكمون بلادهم أي بيت كرم في إهدن وما يليها، وبيت حنا ضاهر وبيت عيسى الخوري في بشري وما يليها، وبيت أبي سليمان عواد في حصرون وما يليها، وبيت أبي يوسف الياس بكفرصغاب وما يليها، وبيت أبي خطّار بعنطورين وما يليها، كما كانت القسمة في أيّام المتاولة إلّا بعض تغيّرات. وكان حكام البلاد يولون من اختاروه من كل من هذه البيوت على إقطاعاتهم إلى أن ألغيت الإقطاعات بحكم نظام لبنان سنة ١٨٦١م ووضع المشايخ يدهم على بكاليك المتاولة واستمرّوا على ذلك إلى أن صالح المشايخ أهل القرى البكاليك على حقوقهم بها أو باعوهم هذه الحقوق. انتهى عن كتاب تاريخ لأحد هؤلاء المشائخ أنطونيوس أبي خطار واعتماداً على التقليد المحفوظ في هذه البلاد.

عد ١٠٦٢
المشايخ أبناء ادّه وغيرهم

أصل هذه الأسرة من ادّة إحدى قرى بلاد جبيل وأوّل من عرفناه من وجوهها هو الشيخ يوسف إدّه خدم الأمراء آل معن في آخر مدّتهم ثمّ انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين فنال حظوة لديهم ودعوه شيخاً وكان متزوجاً بامرأة من أسرته اسمها قمرة ولها أخوان منصور وبطرس إدّه استدعاهما إليه وأدخلهما على الأمراء الشهابيين فسروا بذكائهما وحديثهما ورأوا فيهما ملامح النجابة والأمانة والفراسة واختصّوهما بخدمتهم واكرامهم، فخدم الشيخ منصور الأمير منصور الشهابي فأقامه على تدبير شؤونه وأملاكه، وجعل بطرس رئيس الشرط. ولما أفضت ولاية الجبل وبيروت إلى الأمير يوسف الشهابي في حياة عمّه الأمير منصور عظم أمر أبناء ادّة وكان منصور معدوداً من أهل السيف والقلم، وأمّا أخوه بطرس فاشتهر بالسيف أكثر من اشتهاره بالقلم. ومن مساعيهما الحسنة بناء كنيسة القديس جرجس في بيروت للموارنة وكانت صغيرة فكبّراها بنفقتهما ونفقة مطران بيروت حينئذٍ وهو المطران يوسف فاضل، وقد كتب على مذبح هذه الكنيسة: قد تمّ بناء هذا الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور اده. والمعلوم أنه

عاونه على ذلك أخوه الشيخ بطرس وابن أخته الشيخ الياس الآتي ذكره. ثمّ توفّي الشيخ منصور ببيروت سنة ١٧٦٩م وقبره في جانب الكنيسة المذكورة مكتوب عليه: قد درج هنا الشهير ذكره والجليل قدره الشيخ منصور ادّه الجزيل التقوى والعبادة الذي بعد أن تمّم سعي حياته البارة بعمل هذه الكنيسة وجميع أعمال البر محبوباً من الله والناس انتقل بغتة إلى مقر الراحة من هذا العالم بتحسّر، وبكاه جميع القبائل وذلك في اليوم الخامس في شهر شباط سنة ١٧٦٩م، وتوفي أخوه الشيخ بطرس ببيت شباب سنة ١٧٨٦م.

وولد ليوسف ادّه المذكور سنة ١٧٤١م ولد سماه الياس وبرع بالكتابة والإنشاء، ولما توفي أبوه سنة ١٧٦٦م خلفه في رتبته وكتب في ديوان الأمير يوسف ابن الأمير ملحم الشهابي إلى أن رآه أحد عمّال الجزّار عند الأمير يوسف فعجب من حذاقته وطلبه من الأمير يوسف فاستكتبه إلى سنة ١٧٨٦م، وغضب الجزار وقتئذٍ على ميخائيل وبطرس السكروج كاتبيه ثمّ على يوسف مارون وقتله وعيّن مكانه لكتابته الياس ادّه فأقام في خدمته مدّة راضياً عنه، ثمّ سخط عليه وأرسل جنوداً استاقوه إليه من الكنيسة يريد قتله، على أنّه تمكّن بفصاحته وحذاقته أن يستعطفه إليه فرضي عنه وأهداه محبرةً من فضة، لكن المعلّم الياس ما برح واجساً منه خائفاً على نفسه. وبعد مدّة استأذنه بأن يحضر إلى بيروت ليأخذ عياله إلى عكا فأذن له بأن يغيب شهراً وكان ذلك سنة ١٧٨٧م فأخذ يفكّر بوسيلة للنجاة من شراك هذا الظالم وعوّل على الفرار إلى حلب، فسار إليها واختبأ في الدار الأسقفية لطائفته وأقام هناك عدّة سنين، فحنّ إلى وطنه وانتهز فرصة محاربة نابوليون بونابارت لعكا فرجع إلى وطنه ووجد الجزار ضبط أملاكه في بيروت وفي جملتها أربعة دور عند باب الدركة، فتوجّه إلى الجبل إلى بيت الدين فأكرمه الأمير بشير الكبير الشهابي ولكنّه لم يأمن على نفسه هناك من سخط الجزار، فتوطّن مدّة في جهات جبيل مستخفياً إلى وفاة الجزار سنة ١٨٠٤م. وبعد وفاته استخدمه الأمير بشير المذكور لكنّه عاد إلى بيروت يسعى في استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه التي ضبطها الجزار فاسترجع الأملاك التي كانت في الجبل بعدالة الأمير بشير، وأقام حينئذٍ مدّة ببيروت إلى أن بلغه كتاب من مصطفى آغا متسلم طرابلس وكان من

أصدقائه بأن الملك اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماه يطلبه ليكون كاتباً عنده، فتوجّه إلى حمص فرحّب به الملك اسماعيل وأعزّه ورأسه على كتبة ديوانه وأقام هناك خمس سنين. وفي سنة ١٨١٠م كانت نفرة بين يوسف باشا كنج والي دمشق والأمير بشير كادت تفضي إلى الحرب بينهما فأرسل الملك اسماعيل المعلّم الياس اده ليسعى بالسلم بينهما ويسوي الخلاف فنجح بدرايته وأزال الخلاف، فكتب الأمير بشير إلى الملك اسماعيل يثني على مسعاه ويطلب منه المعلّم الياس ليكون في ديوانه، فأرسله الملك اسماعيل وأكرم مثواه الأمير بشير وأعزّه. ولكن غلت مراجل الحسد في قلوب أعدائه ونظرائه فسعوا به لدى الأمير بشير فتغيّر عليه وأمره أن يسكن بعبدا هو وعياله مبقياً له جعلاً سنوياً، فسكن بعبدا قرير العين إلى أن توفي بها سنة ١٧٢٧م وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن أمام الكنيسة ونقش على مدفنه تاريخ من نظم الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان يتردد ويتخرّج عليه بآداب اللغة وهو:

حكم الاله بما ارتضى ... واختار للفردوس عبده
والحال قال مؤرخاً ... هذا رضى الياس اده

وكان الياس اده شاعراً وله كثير من النظم ولا يخلو نظمه من أغلاط نحوية وخلل في أوزانه الشعرية ويعذر بذلك لأنّه لم يتخرّج بمدرسة بل كان يهتدي إلى النظم بالفطرة السليمة والسليقة الطبيعية.

ومنه قصيدة يمدح بها المطران جبرائيل كنيدر مطران حلب الماروني مطلعها:

أمنذرٌ ملك قد جاء للبشر ... أم طالع السعد وافى داحض الكدر
أم ضوء صبحٍ يلاشي ظلمةً دهمت ... أم البشير أتى في أطيب الخبرِ

إلى أن قال:

خذها إليك وان كانت مقصرةً ... فشأن مثلك ينفي العيب بالعُذرِ

واستر فاني تركت الشعر من زمنٍ   لشاغلٍ عنه غشى مقلة الفكرِ

ولـمّا بلغ خبر وفاة الجزار إلى الأمير بشير وهو بحضرته فاقترح عليه أبياتاً بديهية في موته فقال:

وافى السرور وصحّ ترجيح الأمل   بهلاك علجٍ لا يعادله مثل

عين المآثم والمظالم والردى   شرّ العوالم إن تفكر أو عمل

إلى أن قال:

لله درّك يا منون لقد بدت   منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

فاز الأنام وارخوه بمقصدٍ   هلك الشقي وإلى جهنّم قد رحل

ومن نظمه تاريخ لوفاة بطرس تابت:

لا تحزنوا يا آل قوم عشيرتي   إنّ البقاء في الدهر ماضٍ فائثُ

الموت حتمٌ للبرية شاملٌ   كل ابن أنثى لا محالة مائتُ

وكفى يقين حيث تاريخي روى   إني على إيمان بطرس ثابتُ

وتاريخ لوفاة منصورة امرأة بطرس المذكور:

إنّ التقيّة بالثرى قد أدرجت   وسعت لتلك الغاية المأثوره

طوبى لنفس ارخوها ببرها   ولجت لجنة ربّها منصورة

ومن نكتتِهِ أنه مات صديق اسمه ابراهيم وله أخ اسمه يحيى لم يكن يحبه فقال:

مات ابراهيم خلي   آه وأسفي عليه

ليته قد كان يحيى   ورحمة الله عليه

وله غير ذلك كثير طالع ترجمة الأب لويس شيخو له في المشرق لسنته الثانية صفحة ٦٩٣ وصفحة ٧٣٦.

وقد نصَّر الخوري ميخائيل فاضل البيروتي الأمير ابن الأمير حيدر الشهابي سنة ١٧٥٤م ثمّ نصَّر البطريرك يوسف اسطفان الأمير قاسم عمر شهاب وعائلته سنة ١٧٦٨م في غزير وقبلهم في الطائفة المارونية، ونصَّر بعده الخوري أنطون القيالي البيروتي من أولاد الأمير ملحم الأمير قاسم والأمير سيّد أحمد والأمير حيدر وتبعهم غيرهم من آل شهاب وآل بلمع حتّى أصبح أكثر هؤلاء الأمراء المقيمين بلبنان في آخر هذا القرن السابع عشر نصارى وموارنة، فلزم ذكرهم وحسبانهم من أعيان الموارنة. وكان من هؤلاء الأعيان أيضاً سمعان البيطار وهو ابن يعقوب بن سمعان البيطار الذي ارتحل من قرية جاج وسكن بكفيا ورزق هناك ثلاثة بنين توفي اثنان منهم وبقي الثالث واسمه يعقوب، ولما انسلخت ولاية الخوازنة عن القاطع وسلمت إلى الأمراء اللمعيين وكان يعقوب معزوزاً عند الشيخ أبي نوفل حصن الخازن رغب إليه أن يقيم بقرية غوسطا، فقدم إليها من بكفيا وولد له فيها سمعان صاحب الترجمة، وكان عاقلاً كريماً حسن الإدارة يعتمد عليه في مهام الحكومة، سلّمه الأمير يوسف الشهابي عمل البترون وجعله شيخاً به، فاهتمّ بعمران هذه البلاد ونجاح سكّانها وأظهر غيرة عظيمة على الأمور الدينية وأقنع الأمير يوسف حتى ملّك الرهبانية اللبنانية أديار حوب وكفيفان وميفوق وأنطوش جبيل وأنعم على رهبان دير الحقلة بمزرعة مستيتا ودير مار دوميط البوار وكنيسة القديسة صوفيا هناك وبنى كنيسة القديس بنديليمون بقرية بجدرفل وحسن بناء كنيسة بسبينا وساعد أهل البترون على بناء كنيستهم. وتوفي في مدينة عكا سنة ١٧٩٤م ودفن في ساحة كنيستها وخلفه ابنه يعقوب البيطار بمداركه واستقامته وحسن ديانته وغيرته. وكان في هذا القرن أيضاً من الأعيان جرجس باز وعبد الأحد باز مدبران لأولاد الأمير يوسف شهاب، لكن رأينا أن نرجئ أخبارهما إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

عد ١٠٦٣

البطريرك جبرائيل البلوزاوي

ولد هذا البطريرك ببلوزا إحدى قرى جبة بشري واتّخذ الطريقة الرهبانية ورقاه البطريرك جرجس البسبعلي إلى أسقفية حلب سنة ١٦٦٣م خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي الذي كان قد رقي إلى هذه الأسقفية سنة ١٦٥٠م، كما مرّ وأنشأ سنة ١٦٧٣م دير طاميش في جنوبي نهر الكلب وكان يسكنه متى عاد من زيارة أبرشيته الحلبية، ثمّ أنشأ سنة ١٧٠٠م دير مار اشعيا في أرض برمانا وأسّس فيه الرهبانية المعروفة الآن بالرهبانية الأنطونيانية أو رهبان مار اشعيا، ووضع لها قانوناً أثبته أوّلاً البطريرك اسطفانوس الدويهي ثمّ أثبته الكرسي الرسولي سنة ١٧٤٠م وقلّما يختلف عن قانون الرهبان اللبنانيين، وبقي مدبراً أبرشية حلب المارونية مدّة إحدى وأربعين سنة، وأكثر من مقتنى الأملاك لدير طاميش حتى صار من أعظم الأديار حينئذٍ. ولما توفي البطريرك اسطفانوس الدويهي في ٣ أيّار سنة ١٧٠٤م أجمع أساقفة الملة المارونية على انتخابه بطريركاً في ١١ أيّار من السنة المذكورة وثبّته البابا أكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب إيليا الكرملي الافرنسي، وبقي بعد أن صار بطريركاً، كما كان أسقفاً عائشاً العيشة الرهبانية ناسكاً متقشفاً، على أنّ أيام بطريركيته لم تكن طويلة لأنّه توفّي لرحمة الله في ٣١ من تشرين الأوّل سنة ١٧٠٥م، ودفن أمام معبد القدّيسة مارينا بقنوبين.

ولم نجد أنه رقى إلى الأسقفية إلّا ابن أخيه القس صافي البلوزاوي على أبرشية حلب في شهر تموز سنة ١٧٠٤م وسماه ميخائيل، وكان يسكن في دير طاميش حيث سكن عمّه وهو أسقف، تمّ إنّ المطران ميخائيل هذا تنزل لعجزه عن تدبير هذه الأبرشية وخلفه فيها سنة ١٧٢٥م القس جبرائيل فرحات الشهير ودعي جرمانوس وستأتي ترجمته.

عد ١٠٦٤
البطريرك يعقوب عواد الحصروني

هو ابن الخوري يوحنا عواد من حصرون درس العلوم بمدرسة الموارنة برومة فبرع فيها، ولمّا عاد إلى وطنه جعله البطريرك أسطفانوس الدويهي كاتباً له لمهارته في تعاطي الأعمال البطريركية ولفصاحته في تدوين الرسائل وتخرّجه في السياسة، قام بما عهد البطريرك به إليه أحسن قيام، ولذلك رقّاه هذا البطريرك إلى الأسقفية على مدينة طرابلس سنة ١٦٩٨م، ولمّا توفّي البطريرك جبرائيل البلوزاوي في ٣١ تشرين الأوّل سنة ١٧٠٥م اجتمع الأساقفة في ٥ تشرين الثاني من السنة المذكورة فانتخبوه بطريركاً وثبته البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب فرديندوس الكرملي سنة ١٧٠٦م. على أنّ سلامة سريرة هذا البطريرك وقلّة تحذّره أوقعتاه في عداوة كثيرين، واستمال أعداؤه وحساده أكثر مطارين الملّة فعقدوا مجمعاً وحكموا عليه بالعزل خلافاً للقوانين، واستدعوه إلى مجمعهم، وتقدّم مقدّم الأساقفة فعرّاه من الحلل الحبرية وأقاموه في دير لويزه كسروان محظوراً عليه الخروج منه، وانتخبوا بطريركاً مكانه المطران يوسف مبارك وعرضوا للكرسي الرسولي طالبين تثبيته، فلم يشأ البابا أكليمنضوس الحادي عشر أن يثبته بل أرسل الأب لورنسيوس حافظ الأرض المقدّسة ليفحص عن حقيقة ما كان، فأتى إلى كسروان وجمع الأساقفة والسيّد يوسف مبارك الذي انتخبوه بطريركاً وأخذ ما لزم من التقارير وأرسلها إلى الكرسي الرسولي وأتى بالبطريرك إلى صيدا وأقامه بدير الفرنسيسيين هناك.

وقد عهد البابا اكليمنضوس الحادي عشر بهذه المهمّة إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس، فاجتمع آباء المجمع بمجلس عام في ٢٠ آذار سنة ١٧١٣م فأبرزوا الحكم الآتي تلخيصه: «قد نظر آباء هذا المجمع بالوشايات الموردة على البطريرك يعقوب عواد الأنطاكي وتبصّروا بكل ما يتعلّق بذلك في عدّة مجالس فوجدوا شهادات الشهود المقدّمة على البطريرك باطلة ولا التحام ولا نظام لها، ثمّ تدبّروا الفحص الذي أجراه الأب الأكرم لورنسيوس الفاحص الرسولي وأمعنوا النظر في تقارير الشهود الذين أدّوا شهاداتهم بحضرته، وطالعوا أيضاً العرائض المرفوعة إلى الأب الأقدس من مطارنة وأساقفة وغيرهم في جبل لبنان، وأصغوا إلى ما قرره السيّد المطران جرجس بنيمين الإهدني الموكّل من قبل المذكورين، وبعد مراعاة كل ما وجب مراعاته والامعان المدقق في كل هذه الأمور حكموا بأنّ كل ما قذف به البطريرك يعقوب المذكور لا ثبات له ولا اعتماد عليه، ولاسيّما أنّ المطارين ما أمهلوه المهلة اللازمة ليحامي عن نفسه كما يقتضي العدل والصواب، ولذلك برروا ساحته لأنّه لم يثبت عليه ذنب يستحق شرعاً شيئاً من التأديب، وحكموا أيضاً أنّ المطارين والأساقفة لم يكن لهم حق ولا سلطة أن يحطّوه ويخلعوه من مقامه البطريركي، وأثبتوا رأي الأب لورنسيوس الفاحص الرسولي، وأرجعوا البطريرك إلى بطريركيته محافظةً على شأنه وكرامته، على أنّه لما كان تقرر أنّ البطريرك تنزل عن بطريركيته في تلك الفترة حكموا أنه لا بدّ من الفحص في مجلس آخر عن صحّة هذا التنزّل وحذراً من أن يتأتى ضرّ على الكرسي الرسولي أو على الإيمان الكاثوليكي، أمر آباء المجمع أن يكون الأقدم بين المطارين وكيلاً وناظراً على البطريركية، ولا يحق لأحدٍ أن يدعو هذا الوكيل بطريركاً ولا هو يسوغ له أن يطمع بالبطريركية لتدبيره شؤونها في تلك المدّة، وفرضوا على الجميع الصمت عن هذه الأمور، وأمروا كاتب المجمع أن يترجم حكمهم هذا إلى العربية ويشهره في لبنان وغيره وفي ٤ نيسان سنة ١٧١٣ عرض الكردينال يوسف ساكريني رئيس مجمع نشر الإيمان حكم الكرادلة على الأب الأقدس فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وفي اليوم الثامن من أيّار سنة ١٧١٣م عقد آباء مجمع نشر الإيمان مجلساً آخر عاماً بحثوا فيه عن صحّة تنزل البطريرك بعد إمعان النظر في التقارير المقدّمة

بهذا الشأن من كل جهة واعتبار ما يلزم اعتباره حكموا بتأييد البطريرك وإرجاعه إلى مقامه وكرسيه، وأن تردّ عليه كل حقوقه وأبرشيته، وعزلوا الوكيل الذي كانوا قد أقاموه في ٢٠ آذار وعزلوا أيضاً كل دخيلٍ وغاصب للبطريركية، وأعلنوا أن تنزّل البطريرك باطل. وكان قد تنزّل مرّتين الأولى لما أعادوه إلى البطريركية في ١٣ آب سنة ١٧١١م على شرط تنزّله عنها، والثانية في ١٤ من الشهر المذكور في دير حريصا بحضرة الفاحص الرسولي، وأبطلوا أيضاً الانتخاب المدعى به لبطريرك آخر والوكالة له ولاشوهما كأنّهما لم يكونا، وأمروا جميع المطارنة والأساقفة وجميع الاكليرس والشعب الماروني أن يعرفوا السيّد البطريرك يعقوب عواد وحده بطريركاً حقيقياً وشرعياً على الملّة المارونية جمعاء، وأن يهتمّوا بأن يمتثل الجميع هذا الحكم وكل من خالف قولاً أو فعلاً هذه المراسيم سقط بالتأديب الذي سنّته القوانين المقدّسة على مثل هؤلاء المخالفين والحل منه محفوظ إلى الحبر الأعظم والمجمع المقدّس. وفي ٩ من شهر أيّار عرض هذا الحكم على الأب الأقدس اكليمنضوس الحادي عشر فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وكتب البابا اكليمنضوس الحادي عشر بأثر ذلك براءة إلى المطارنة والأساقفة والاكليرس والأمراء والشعب الماروني مؤرخة في ٢ تموز سنة ١٧١٣م وتراها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٢٩. فالحبر الأعظم بهذه البراءة قرظ الموارنة على ثباتهم الدائم في الإيمان الكاثوليكي وطاعتهم المستمرّة للكرسي الرسولي، وأعرب عن شدّة انعطافه إلى هذه الملّة ومحبّته لها وعظمة استيائه ممّا حدث عندهم أخيراً بدسائس بعض أصحاب المآرب المقلقين من عزلهم بطريركهم، وأوضح أنّه وجّه عنايته الحبرية لتدارك هذا الأمر الخطير ووكل إلى آباء مجمع نشر الإيمان التحري بهذا الأمر. وبعد الفحص عن الدعوى بكل دقّة حكموا بأنّ عزل البطريرك كان مخالفاً للعدل وباطلاً من كل جهة وكذلك حكموا بأنّ تفرغه عن البطريركية باطل، فلهذا برروا ساحته وأعادوه إلى حقوق بطريركيته وعزلوا كل دخيل أيّاً كان وأثبت هو هذه الأحكام بسلطانه الرسولي وقال إنّه بعد صدور الحكم وصل إلى رومة القس أندراوس اسكندر بن سمعان الماروني من قبل المطران يوسف الريفوني وبيده عرائض ورسائل من البطريرك فطالعها آباء المجمع بتأنّ

فحكموا أنّ لا ثبات لها ولا اعتماد عليها وإنّما يلزم الاعتماد على الحكم السابق (هذه الفقرة الأخيرة لم نجدها في براءة البابا المثبتة ترجمتها في ذيل المجمع اللبناني لكننا وجدناها في نسخة أخرى).

ولما كانت هذه الدعوى قد انتهت الآن كان أملنا وطيداً بأنكم تسارعون إلى طاعة أمرنا والعمل بأحكام المجمع المقدَّس وتعرفون أنّ البطريرك يعقوب هو بطريرككم الحقيقي والشرعي وتقدّمون له الطاعة والتكريم، ومن المؤكّد عندنا أنّ الطاعة التي أثبتموها بدلائل كثيرة من قديم الزمان إلى الآن دون سائر الملل الشرقية هي الآن أكثر لزوماً وضرورة لاقتلاع الزوان الذي زرعه عدو بينكم الخ.

ولما شهرت براءة البابا وحكم المجمع المقدّس على الملّة المارونية أذعن الجميع لها ورجع البطريرك يعقوب إلى كرسيه ومقامه، ولكن ما برح بعض الخلاف والانقسام بين أبناء الملّة ورؤسائها، ولذلك نرى البابا اكليمنضوس الحادي عشر وجّه رسالة أخرى إلى البطريرك والأساقفة والأمراء والشعب مؤرخة في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م يدعوهم بها إلى إزالة بواعث الخلاف والسعي وراء السلام وتأليف الخواطر، وأرسل إليهم بهذه الرسالة الأب جبرائيل حوّا الراهب الحلبي اللبناني الذي كان برومة ليبلغهم بركته ورغائبه بأكثر تفصيل، وهذه الرسالة تجد ترجمتها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٤٢ .

وعاش البطريرك يعقوب بعد ذلك مكرماً مهاباً دائباً على عمل المبرّات والقيام بأعباء البطريركية أحق قيام، وأنبأنا العلّامة السمعاني في مقدّمة المجلّد الأوّل من مكتبته الشرقية أنّ هذا البطريرك عاونه كثيراً على وجدان الكتب الشرقية التي أحضرها إلى المكتبة الواتيكانية لا من لبنان فقط وليس من عند الموارنة وحدهم بل من دمشق وحلب وحمص ومصر أيضاً من عند الطوائف الأجنبية.

وأمّا الذين رقّاهم البطريرك يعقوب عواد إلى درجة الأسقفية فقد أخذنا أسماءهم عن سجلّات بطريركيتنا فهم:

الأوّل الخوري صافي الجميل من بكفيا رقاه سنة ١٧٠٦م وسمي الياس وتوفي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٦م في دير مار عبدا هرهريا ودفن به.

الثاني الخوري باسيليوس باسيل البجاني من بيت شباب رقاه سنة ١٧١٠م إلى كرسي طرابلس وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦م، وجاء اسمه في المجمع اللبناني وان لم يحضره لعجزه، وناب عنه القس ميخائيل العزيري الطرابلسي المسمّى غرسيه.

الثالث جبرائيل مبارك الغوسطاوي رقاه أخوه المطران يوسف الريفوني عندما تغلّب على البطريركية سنة ١٧١٣م إلى كرسي صيدا وتوفي في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م في ريفون.

الرابع الخوري سمعان عواد ابن أخي البطريرك يعقوب رقاه عمّه سنة ١٧١٦م إلى كرسي دمشق وكان متسلماً أبرشية صيدا وهو من آباء المجمع اللبناني.

الخامس القس عبدالله قرألي الحلبي رقاه سنة ١٧١٦م إلى كرسي بيروت وكان من آباء المجمع المذكور وتوفي في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢م في زوق مصبح ونقلت جثّته إلى دير لويزة وكان مدبراً لدير حراش ورتب القانون لراهبات هذا الدير، وفي سنة ١٧٢٧م دخل إليه ثماني عشرة راهبة.

السادس الخوري الياس محاسب من غوسطا رقاه في ١٤ أيلول سنة ١٧١٧م إلى كرسي عرقا ودبر دير مار شليطا مقبس، وكان يزور المتن والجرد وجبيل والبترون والفتوح وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٤٨م في دير مار شليطا المذكور.

السابع القس جبرائيل حوّا رقاه سنة ١٧٢٣م إلى كرسي قبرص وتوفي برومة سنة ١٧٥٢م.

الثامن القس جبرائيل فرحات الحلبي رقاه في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥م إلى كرسي حلب وسكن فيها وسمي جرمانوس وتوفي في ٩ تموز سنة ١٧٣٣م وستأتي ترجمته.

التاسع الخوري فرح الجميل من بكفيا رقاه سنة ١٧٢٦م إلى كرسي جبيل وسمي فيلبوس وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٧٧٤م في دير شويا.

العاشر الخوري يوسف صالح الدويهي ابن أخي البطريرك اسطفانوس الدويهي رقاه في ٢٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٢٨م إلى كرسي البترون ودعي اسطفانيوس وجعله نائباً بطريركياً ودبّر أبرشية بعلبك ومات في دير ريفون.

الحادي عشر الخوري يوسف ضرغام الخازن ابن أبي قانصوه الخازن رقاه سنة ١٧٢٨م إلى كرسي غوسطا ثمّ صار بطريركاً.

الثاني عشر الخوري اغناطيوس شرابية رقاه في ٢ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي صور وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٩ تشرين الأوّل سنة ١٧٤٧م، ويظهر أنّه كان يسكن في دير مار الياس بلوني ودير لويزة حيث توفي.

الثالث عشر الخوري يوحنا اسطفان رقاه في ١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي اللاذقية وتسلّم أبرشية بيروت وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي سنة ١٧٧٩م في عين ورقة.

الرابع عشر القس جبرائيل عواد بن عيسى أخي البطريرك رقاه في ٢٦ تشرين الأوّل سنة ١٧٣٢م إلى كرسي عكا وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٥ آذار سنة ١٧٦٣م.

الخامس عشر الخوري ميخائيل البلوزاوي الثاني بهذا الاسم رقاه في كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي بانياس وهو من آباء المجمع اللبناني.

السادس عشر هو القس جبرائيل حوشب رقاه إلى كرسي حلب في ١ كانون الثاني سنة ١٧٢٢م وحضر إلى المجمع اللبناني فلم يصل إلّا بعد نهايته فوقّع عليه وعاد إلى حلب سنة ١٧٣٧م.

السابع عشر القس طوبيا ابن الشيخ أبي كنعان قيس الخازن رقاه في ١ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي نابلس وسمي تارة مطران طرابلس وتارةً مطران قبرص وهو من آباء المجمع اللبناني موقعاً مطران قبرص، وتسلّم الوكالة على الكرسي البطريركي ثمّ صار بطريركاً .

وقد توفّي البطريرك يعقوب عواد في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م ودفن في كنيسة مار شليطا مقبس.

عد ١٠٦٥

البطريرك يوسف ضرغام الخازن

هو ضرغام بن أبي قانصوه فياض بن أبي نوفل نادر الخازن وقد تزوّج أوّلاً وولد له ولد اسمه ميلان، ثمّ توفّيت زوجته فصار كاهناً، ثمّ رقّاه البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧٢٨م إلى أسقفية غوسطا. ولما توفي البطريرك يعقوب المذكور في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م اجتمع الأساقفة في ٢٣ من الشهر والسنة المذكورين لانتخاب خلف له، فاختار ستة منهم: المطران عبدالله قرألي مطران بيروت، واختار ستة آخرون الياس محاسب مطران عرقا، واختار اثنان اسطفانوس الدويهي مطران البترون، وطال الخلاف بينهم وكان المطران يوسف ضرغام الخازن يحرّضهم على الاتّفاق ويلومهم على الخلاف ويبين لهم العثار الذي سيكون من تعمّدهم رغائب بشرية وعدم اتفاقهم بروح الرب على من يرون به أهلية لتمجيد الله ونفع طائفتهم، فأمّ رأيهم أخيراً على انتخابه فانتخبوه بطريركاً في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣م في دير ريفون وثبّته البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤م على يد موفده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون. وفي أيّامه سلمت مدرسة عينطورا ومدرسة زغرتا إلى الآباء اليسوعيين بشروط بيّنها الأب الرئيس العام لجمعية الآباء المذكورين بوثيقتين الأولى بشأن مدرسة عينطورا مؤرخة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م، والأخرى بشأن مدرسة زغرتا مؤرخة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م. وسيأتي ذكر هاتين المدرستين بأكثر تفصيل. وفي أيّامه أيضاً عقد المجمع اللبناني الشهير الذي هو دستور الأمور الروحية في طائفتنا إلى اليوم وسنفرد فصلاً برأسه للكلام في هذا المجمع. وفي أيّامه أيضاً وبعنايته جدّد لويس الخامس عشر ملك فرنسة الحماية للموارنة بموجب براءة مؤرخة في ١٢ نيسان سنة ١٧٣٧م، إقتداءً بأبيه لويس الرابع عشر الذي كان قد جدّد لهم هذه الحماية ببراءة مؤرخة في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م إعتماداً على الحماية التي بذلتها فرنسة للموارنة بموجب براءة القديس لويس التاسع ملك فرنسة عند شخوصه إلى قبرص وسورية سنة ١٢٤٩م.

وأمّا الكهنة الذين رقاهم البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية فلا نعرف منهم إلّا اسطفان عواد السمعاني الذي كان مع خاله السيّد يوسف سمعان

السمعاني في المجمع اللبناني وكان رقيباً فيه فرقاه البطريرك بعد ذلك إلى أسقفية أباميا. وقد عثرنا في السجلات البطريركية على رسائل من هذا المطران إلى البطريرك المذكور مؤرخة بعد المجمع المذكور، ولم نعثر في هذه السجلات على أسماء من رقاهم هذا البطريرك للأسقفية كما عثرنا على أسماء من رقّاهم غيره. ويظهر أنه من سنة ١٧٣٣م التي ارتقى فيها إلى البطريركية إلى سنة ١٧٣٦م التي عقد فيها المجمع اللبناني لم يسقف أحداً لأنّ جميع الأساقفة الذين وقّعوا على المجمع اللبناني كان سالفه البطريرك يعقوب عواد قد سقفهم إلّا المطران حبرائيل أسقف صارفية فقد كان البطريرك اسطفانوس الدويهي قد رقاه كما رأيت وأمّا هل رقى البطريرك يوسف ضرغام بعد المجمع اللبناني غير اسطفانوس عواد المار ذكره فلا نعلم ولم نجد في السجلات البطريركية أنه رقى اسقفاً آخر كما وجدنا أسماء من رقّاهم أسلافه وخلفاؤه. والله أعلم.

وتوفي البطريرك يوسف ضرغام في ١٣ أيّار سنة ١٧٤٢م في دير ريفون ودفن في كنيسة النبي الياس في غوسطا.

عد ١٠٦٦

البطريرك سمعان عواد

هو ابن أخي البطريرك يعقوب عواد رقاه عمّه إلى أسقفية دمشق سنة ١٧١٦م كما مرّ، وبعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن اجتمع الأساقفة في عين ورقة فانتخبوه بطريركاً فأبى قبول الانتخاب زهداً وتورعاً، فانتخبوا المطران الياس محاسب الغسطاوي أسقف عرقا، وكان المطران طوبيا الخازن غائباً فلم يقبل انتخاب المطران الياس المذكور بل اتّفق مع المطران جبرائيل من طائفة السريان فرقيا إلى الأسقفية كاهنين من قسوس دير لويزة وهما القس عبدالله حبقوق الذي توفي في ٧ آب سنة ١٧٥٨م بكفرصغاب والقس جرمانوس صقر من حلب فانتخباه بطريركاً في دير لويزة. وأظنّ أنّ بعض المطارين المجتمعين في عين ورقة كانوا قد انتخبوا المطران طوبيا حتى ساغ له أن يدّعي البطريركية وينازع المطران الياس عليها

وقدم كلّ من المنتخبين أي المطران الياس والمطران طوبيا العرائض للحبر الأعظم طالباً إثباته في البطريركية ووجه كلٌّ منهما موفداً إلى رومة لمحاماة دعواه مصحوباً ببينات وأدلّة على صحّة دعواه وسقوط دعوى خصمه منشأة من رجال فقهاء، فعين البابا بناديكتوس الرابع عشر بعضاً من كرادلة مجمع نشر الإيمان المقدّس ليجتمعوا أمامه ويفحصوا حجج كلّ منهما ويسمعوا تقريرات كلّ من موفديهما، فظهر للكرادلة أنّ الانتخابين باطلان ويلزم إعلان بطلانهما، وكان الحبر الروماني متردداً واجساً من المصاعب التي تكون من قبل الفريقين واستشار الكردينال فشنسيوس بترا رئيس مجمع نشر الإيمان الذي كان يثق بعلمه وسعة إطّلاعه على القوانين البيعية فأشار بإبطال الانتخابين، واستشار أيضاً العلّامة السمعاني الذي كان موقناً بعلمه واستقامته ومخبرته في بني ملّته فأشار بإيضاح بطلان الانتخابين واختيار المطران سمعان عواد الذي كان الأساقفة قد انتخبوه فأبى، فعول الحبر الأعظم على ذلك وكتب براءة مؤرخة في ١٦ آذار سنة ١٧٤٣م موجّهة إلى الأساقفة أبطل بها انتخاب المطران الياس والمطران طوبيا وأمر بأن يكون المطران سمعان عواد بطريركاً، وحتّم على المطارنة والأساقفة والاكليروس والأعيان والشعب أن يخضعوا لسلطته ويمتثلوا أوامره، وصرّح بأنّ انتخابه هذا البطريرك لا يقصد به تبطيل حقوق أساقفة الموارنة على انتخاب بطريركهم في ما يأتي من الزمان بل جلّ المقصد إزالة المنازعات وإرجاع الهدوء والسلامة. وكتب رسالة إلى البطريرك سمعان يعلمه بانتخابه ويأمره أن يباشر السلطان البطريركي على كل مخالف، وأرسل هذه الأوامر الرسولية إلى الأب يعقوب من لوكا أحد رؤساء رهبان القديس فرنسيس، وأمره أن يتوجّه بها إلى لبنان بمنزلة قاصد رسولي ويشهرها على رؤساء الملّة المارونية، وخوّله كل سلطة لازمة لتنفيذها. فتوجّه القاصد المذكور من القدس إلى كسروان ودعا إليه المطارنة والأساقفة وعلية الاكليروس والأعيان إلى دير حريصا فنشر عليهم أوامر عظيم الأحبار فأذعن جميعهم دون مخالف للأوامر الحبرية بملء الرضى والطاعة المخلصة، وأجابوا أجمعين بما قاله آباء المجمع الخلكيدوني أنّ بطرس تكلّم بلسان خليفته بناديكتوس الرابع عشر وأقبل جميعهم ينحنون أمام البطريرك سمعان مهنين له ومبدين عواطف الطاعة والسرور.

ورفع حينئذٍ البطريرك والأساقفة عرائض الطاعة والامتثال لأمر الأب الأقدس وأصحبها الاكليرس والأعيان بعرائض الشكر والثناء لقداسته، وعرض القاصد المذكور للبابا ولمجمع نشر الإيمان مبيناً باندهاش ما رآه من شعائر الطاعة للكرسي الرسولي عند الموارنة، فبلغت هذه العرائض إلى رومة سنة ١٧٤٤م وكان البطريرك قد وكّل إلى المونسنيور يوسف السمعاني أن ينوب عنه بالتماس التثبيت له من الحبر الأعظم فجمع امام الأحبار الكرادلة ومقدّمي البلاط الواتيكاني والرؤساء والأعيان في ٣ تموز سنة ١٨٤٤م ونطق بخطبةٍ يحق للموارنة أن يدوّنوها بالتبر ويخلدوا ذكرها ولا نتمالك من أن نورد بعض فقراتها وان كنّا أسلفنا ذكر بعضها. قال ونعم العلّامة القائل:

«لا شكّ في أنّكم تعلمون جيّداً أنّ الموارنة هم مسيحيون سريان يختصون بالبطريركية الأنطاكية لأنّهم يسكنون سوريا وسواحل فينيقيا وجبالها وفلسطين وقبرص ومصر وغيرها من الأمصار الشرقية، والسواد الأعظم منهم يقطنون في لبنان، ولا يفوت علمكم أيضاً أنّه لمّا فشت في أواخر القرن السابع بدعة القائلين إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية فالموارنة رغبةً في أن يصونوا ملّتهم ويوقوها ذلك الفساد عزموا على أن ينتخبوا لهم بطريركاً يثبت من الحبر الروماني ويستمدّ منه درع الرياسة. ولمّا مرّت قرون وأخذ السراكسة أنطاكية وطردوا منها اللاتينيين الكاثوليكيين فرّ هؤلاء اللاتينيون إلى جبل لبنان وقبلهم بطريرك الموارنة بالترحاب والمؤانسة والوداد، فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكره لذلك ويدعوه البطريرك الأنطاكي. وما برح بطاركة الموارنة يعرفون بهذا الاسم مع إنّهم نصبوا كراسيهم ثابتةً في جبل لبنان. وقد كان الموارنة كلّ حين كما هم الآن كاثوليكيين كلّ الكثلكة مرتبطين بالاتّحاد بالكرسي المقدّس باذلين الطاعة والاحترام التام للحبر الروماني ولبطريركهم، ولكن من حيث هم بشر فليس يعجب أن يحدث بينهم أو إن حدث نقص بشري في شأن بطريركهم وربّما يتذكّر بعضكم ما جرى في أيّام سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر من عزل البطريرك يعقوب وما التحق بذاك الحبر الجليل من الإهانة العائدة أيضاً إلى حقوق الكرسي الرسولي... ولمّا تأكّد البابا برارة

ذلك البطريرك وبراءته حكم برجوعه إلى كرسيه الذي حطّ عنه ظلماً فقدم الموارنة حينئذٍ دليلاً حديثاً على حسن طاعتهم وخضوعهم للكرسي الرسولي.

ونحمد الله على أنّه لم يصدر منهم في أيّام حبريتنا عزل بطريرك لكنّه حدث حادث كدرنا كدراً عظيماً وهو أنّه في سنة ١٧٤٢م انتقل إلى رحمة الله يوسف بطرس الخازن البطريرك، وعندما اجتمع المطارنة والأساقفة كالعادة لينتخبوا خلفاً له انقسموا إلى قسمين، فاختار بعضهم الياس مطران عرقا وبعضهم طوبيا مطران قبرص». وأردف البابا كلامه بإخبارهم عن عرائض المنتخبين له وارسال كل منهما موفداً إليه واختياره بعض كرادلة مجمع نشر الإيمان للفحص عن ذلك بحضرته وحكمهم ببطلان الانتخابين واستصوابهم تعيين بطريرك غير المنتخبين وتصويبه العمل برأيهم إقتداءً ببعض أسلافه في حوادث كهذه ذكرها لهم وإصداره الأوامر بذلك إلى أن قال: «فهذا ما لزم إيضاحه لكم قبل تلاوة رسالة البطريرك الذي اخترناه ورسائل المطارنة والأساقفة الموارنة فمنها تحيطون علماً بما قد جرى». فتقدّم المونسنيور يوسف السمعاني فرفع إلى قداسته الرسائل المذكورة فدفعها البابا إلى كاتب البراءات الرسولية وأمر فتليت أوّلاً باللغة العربية ثمّ تليت ترجمتها اللاتينية. وحينئذٍ استأنف قداسته الكلام فقال: «أفهمتم أيّها الإخوة المحترمون أنّه انتهى بعون الله القادر على كل شيء أمر انتخاب بطريرك بكل سلامة وعلى النحو الذي ألهمنا الله إليه... والمطرانان الياس وطوبيا المنتخبان قبلاً إلى البطريركية حالما سمعا بانتخابنا البطريرك سمعان عواد أذعنا وقدّما على الفور الطاعة والخضوع له وبيّنا بذلك عظم طاعتهما لهذا الكرسي الرسولي، فلا غرو أنّ المطارنة والأساقفة والطائفة المارونية جمعاء يستحقون الثناء الجزيل، ولذلك نجملهم من صميم فؤادنا بتلك المدائح السامية التي قرظهم بها أسلافنا الأحبار الرومانيون فقد شبههم بيوس الرابع بالألوف الكثيرة العدد التي لم تحنِ ركبها لباعال... وأثبت هذا القول اكليمنضوس الثامن وزاد عليه بأنّ الموارنة قدّموا دائماً وفي كل حين الطاعة للكنيسة الرومانية أم سائر الكنائس ومعلمتهن، وشبّههم البابا بولس الخامس بالورد بين الأشواك. وقال في حقّهم أوربانوس الثامن لم يذبل بهاء الكرمل ولم ينقص مجد لبنان لأنّ بطريرك الموارنة وأساقفتهم وكهنتهم وشعبهم يحترمون سلطان القديس بطرس ويكرمونه

بشخص الحبر الروماني». وختم البابا خطبته بمنح التثبيت للبطريرك فانبرى العلّامة السمعاني ففاه في ذلك المحفل بخطبة شكر لقداسته معدداً نعم الاباء وأسلافه على الملة المارونية ولا تسأل عمّا حوته تلك الخطبة من المعاني السامية والعبارات البليغة والأساليب الشائقة.

ثمّ أخذ البطريرك سمعان يتفانى بحراثة كرم الرب متجراً بالوزنات الخمس رابحاً أضعافها بجهاده غير ضنين بتعب أو نصب في سبيل نفع شعبه واقتياده إلى المراعي الخلاصيّة وتنكبه عن الضلال والاثم، مكدّاً مجدّاً بالوعظ والانذار والتعليم. ولمّا رأى أنّ مصلحة شعبه تقضي عليه بالاغتراب هاجر وطنه وكرسيه في دير قنوبين وأقام بدير مشموشه في الطرف الجنوبي من لبنان، فأنشأ هذا الدير وسلّمه إلى الرهبان اللبنانيين وتوفي به في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م. ولهذا البطريرك عدّة تآليف والذي نعرفه منها كتاب «النجاة» يشتمل على مواعظ بليغة مؤثرة، وكتاب في «اللاهوت الأدبي» ويتبعه كتاب في أسرار الكنيسة سمّاه «خزانة الأسرار»، وكتاب في «حلّ المشاكل الواردة في الأسفار المقدّسة»، وكتاب «عنوانه زيارة الأسقف الصالح» ضمّنه إرشادات للأساقفة في زيارتهم لرعاياهم.

وأمّا الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأوّل الخوري ميخائيل الصائغ رقاه في ٢٨ شباط سنة ١٧٤٦م إلى أسقفية دمشق وكان يدبر أبرشية بلاد جبيل والبترون.

الثاني الخوري أنطون محاسب من غوسطا رقاه إلى أسقفية عرقا سنة ١٧٤٨م وكان يدبر دير مار شليطا وأبرشية جبيل والبترون والفتوح وتوفي في ١٣ أيلول سنة ١٧٨٠م في الدير المذكور.

الثالث القس يواصاف الدبسي من بسكنتا رقاه سنة ١٧٤٨م إلى كرسي صور ويسمى مطران عكا وتوفي في ٢٦ حزيران سنة ١٧٦٠ في دير مار ساسين بسكنتا.

الرابع القس بطرس عطايا من رهبان مار اشعيا وأصله من ساحل علما رقاه سنة ١٧٤٩م على أبرشية طرابلس عاش خمسة أشهر وتوفي في ١٥ شباط سنة ١٧٥٠م في زمرين ببلاد الخوابي.

الخامس الخوري يوسف اسطفان من غوسطا رقاه في شهر آب سنة ١٧٥٠م إلى أبرشية بيروت وهو الذي صار بطريركاً.

السادس القس يمين الحاج بطرس من ساقية المسك من رهبان مار اشعيا رقاه سنة ١٧٥٢ على بانياس ودعي بطرس.

السابع الخوري يوسف ابن الشيخ أبي نصار ياغي حبيش من ساحل علما رقاه سنة ١٧٥٥ إلى أبرشية صيدا وتوفي في ٢ شباط سنة ١٧٧٠ في دير مار جرجس علما.

الثامن الخوري يواكيم يمين من إهدن رقاه في ٢٤ تموز سنة ١٧٥٥ وتوفي في ٢٦ حزيران سنة ١٧٨١ بزغرتا ودفن في كنيستها.

التاسع القس ارسانيوس عبد الأحد رقاه في ٦ أيلول سنة ١٧٥٥ على أبرشية دمشق ودير حراش وسمي مطران بعلبك وتوفي نحو سنة ١٧٨٨ في دير الرهبان برومة ودفن فيه.

العاشر القس طوبيا الراهب اللبناني ابن طربيه ابن الشدياق ابن المطران إسحاق الشدراوي رقاه ليكون وكيلاً على الكرسي البطريركي ودعي إسحاق باسم جدّه ولم نجد تاريخ سنة ترقيته ولكن عثرنا على أنّه توفّي بطرابلس في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٧٥٣.

الحادي عشر القس جرائيل صقر من حلب من الرهبان اللبنانيين رقاه إلى الأسقفية سنة ١٧٥٢ وتوفي في ٥ كانون الأوّل سنة ١٧٥٣ في دير حراش وعمره ثمانون سنة وهو أخو المطران جرمانوس الذي رقاه المطران طوبيا الخازن والمطران جبرائيل السرياني إلى الأسقفية مع القس عبد الله حبقوق لزيادة عدد الأساقفة المحازبين للمطران طوبيا، وكان ذلك في ٢٠ أيّار سنة ١٧٤٢. وتوفي المطران جرمانوس صقر في ١٨ أيلول سنة ١٧٦٨ وتوفي البطريرك سمعان بدير مشموشه في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦.

عد ١٠٦٧
البطريرك طوبيا الخازن

هو ابن أبي كنعان قيس الخازن رقاه البطريرك يعقوب عواد إلى أسقفية نابلس سنة ١٧٣٣م ودعي مطران قبرص، وبعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن انتخبه بعض الأساقفة للبطريركية، وانتخب باقيهم المطران الياس محاسب فأبطل البابا بناديكتوس الرابع عشر إنتخابهما كما مرّ. ولمّا توفي البطريرك سمعان عواد في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م اجتمع الأساقفة في ٢٨ منه وانتخبوه بطريركاً في كنيسة القديس يوسف بعينطورا وثبّته البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٧ آذار سنة ١٧٥٧م على يد موفده المطران ارسانيوس عبد الأحد الحلبي مطران بعلبك المار ذكره وكان يقيم في كسروان ولاسيما في دير مار روحانا البقيعة، وقد أنشأ هذا البطريرك دير القديس أنطونيوس في بقعاتا. أمّا الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأوّل القس ارسانيوس شكري الحلبي رقاه إلى أسقفية حلب في ٢٦ آذار سنة ١٧٦٢م وتوفي في شهر أيلول سنة ١٧٨٦م في دير عين شقيق حين احتماع مجمع هناك سيأتي ذكره ونقلت جثّته إلى دير لويزة.

الثاني الخوري ميخائيل فاضل البيروتي رقاه في ١١ حزيران سنة ١٧٦٢م إلى أسقفية صور وجعله نائباً للكرسي البطريركي ثمّ سلّمت إليه أبرشية بيروت سنة ١٧٨١م.

الثالث القس عبدالله الطرابلسي رقاه إلى أسقفية عرقا سنة ١٧٦٢م وسكن في دير النبي الياس بيلوني مدبراً بعض قرى كسروان وتوفي في الدير المذكور.

الرابع القس مبارك بن عبدالله مبارك من زوق مصبح رقاه سنة ١٧٦٣م إلى أسقفية الرها ودعي جبرائيل ودبّر أبرشية بعلبك وسكن دير ريفون وتوفي به سنة ١٧٨٨م بعد أن تنزل عن تدبير الأبرشية.

الخامس القس روفائيل الحاقلاني من زوق مصبح رقاه إلى أسقفية طرابلس سنة

١٧٦٥م وسمّي مطران دمشق أيضاً وتوفي في ٦ أيلول سنة ١٧٨٠م ودفن في دير لويزة.

وتوفي البطريرك طوبيا في ١٩ أيّار سنة ١٧٦٦ في عجلتون ودفن في كنيسة السّيدة بها المختصّة بعائلته.

عد ١٠٦٨
البطريرك يوسف اسطفان

هو أحد تلامذة مدرسة الموارنة برومة درس بها اللغات والعلوم الكنسية فبرع وفاق أقرانه وارتقى إلى درجة الكهنوت المقدّسة وتفانى بالغيرة على خلاص النفوس فرقاه البطريرك سمعان عواد إلى أسقفية أبرشية بيروت سنة ١٧٥٠م وبعد وفاة البطريرك طوبيا الخازن في ١٩ أيّار سنة ١٧٦٦م اجتمع الأساقفة فانتخبوه بطريركاً في ٩ حزيران من السنة المذكورة، ونال التثبيت من البابا اكليمنضوس الثالث في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧م على يد موفده الأب عبد الأحد أنطونيوس من لوكا أحد رهبان القديس فرنسيس، وجعل إقامته بدير مار يوسف الحصن بغوسطا الذي كان قد أنشأه من ماله في عقارٍ ورثه عن أبيه. وفي أيّام هذا البطريرك قد تثبتت قسمة الرهبانية اللبنانية إلى بلدية وحلبية فقد كان هؤلاء الرهبان قد أجروا القسمة بينهم في أيّام البطريرك سمعان إلا أنّه بقيت منازعات بينهم عرض أمرها لمجمع نشر الإيمان المقدّس فصدر أمر البابا اكليمنضوس الثالث عشر إلى البطريرك يوسف اسطفان وإلى رئيس الرهبان الفرنسيسيين ومحافظ الأرض المقدّسة أن ينظرا فيما بينهم من الخلاف ويزيلاه بما يريانه ملائماً، فاجتمع البطريرك والرئيس المذكور في دير حريصا في ٨ كانون الأوّل سنة ١٧٦٨م فدعيا الأب عمانوئيل من رشميا رئيس البلديين ومدبريه، والأب لويس الحلبي رئيس الحلبيين ومدبريه وعدّلا القسمة بينهما وأزالا الخلاف، ودوّنا صكاً بذلك وقّع عليه الرئيسان العامان والمدبرون، وعرضا الأمر للكرسي الرسولي فأثبت البابا اكليمنضوس الرابع عشر هذه القسمة سنة ١٧٧٠م.

إنّ أهمّ الأحداث التي كانت في أيّام هذا البطريرك هو أمر الراهبة حنّة عجيمي المعروفة بهندية وانخداعه بقداستها وصحّة إيمانها، ومحاماته عنها أوجبت الكرسي الرسولي أن يطلبه إلى رومة ويربطه عن التصرّف بسلطانه البطريركي، فالعابدة المذكورة كانت أصلاً من قرية بشري وهاجر أهلها إلى حلب فولدت بهذه المدينة وانضوت إلى أخوية قلب يسوع التي أنشأها الآباء اليسوعيون بحلب، ولحسن سيرتها وذكائها جعلت رئيسةً لهذه الأخوية ودار في خلدها أن تنشئ رهبانية تعرف: «بقلب يسوع الأقدس»، ولم ترَ محلاً أكثر ملائمة لذلك من جبل لبنان، فحضرت سنة ١٧٥١م إلى كسروان صحبة أحد الآباء اليسوعيين فأقامت أوّلاً في دير حراش وأخذت تبحث عن محل يناسب مقصدها فاشترت دير بكركي من الرئيس العام والمدبرين لرهبنة مار اشعيا بثلاثة آلاف وخمس مئة قرش، وكان المطران جرمانوس صقر الحلبي الساكن وقتئذٍ في دير حراش يعضدها ويعاونها على مشروعها، وكان لها أخ انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين قاومها أوّلاً لخوفه من عدم نجاحها، ولمّا رأى تقدّمها في مسعاها عاونها وابتدأت سنة ١٧٥٢ في توسيع بناء دير بكركي وإحكامه واتقانه، ثمّ جمعت إليه شابات اهتمّت بتثقيفهنّ وارشادهنّ في طريق الفضيلة والكمال، ثمّ ألبستهنّ الزيّ الرهباني فزاع سيط هذه الراهبة وكثرت راهباتها واشتهرن بحسن سيرتهنّ وتورعهنّ، وجمعت هندية أيضاً رهباناً وكلت إليهم تدبير أملاك الدير وقضاء مهامهِ الخارجية، ولما توفي المطران جرمانوس صقر معاضدها المذكور بذلت عنايتها في ترقية أحد رهبان ديرها إلى أسقفية حمص ودير بكركي القس ارسانيوس دياب سنة ١٧٦٨م وسمّي جرمانوس، وعظمت شهرة هندية حتى اعتدّها البعض قديسة وأكثر المؤمنون من التبرّع بالإحسانات على ديرها فزادت في بنائه وعزمت أن تبني كنيسة كبيرة في العرصة التي بين دير الرهبان إلى الغرب وسكن الراهبات إلى الشرق.

وفي سنة ١٧٧١م طلبت هندية من البطريرك يوسف اسطفان ومطارين الطائفة تثبيت قانون رهبانيتها الذي كانت قد جمعته من قوانين بعض الرهبانيات، فأبى البطريرك إجابة سؤالها إذ لم يكن لها إلّا دير بكركي، فألحّ عليه بعض المطارين والأعيان وارتأوا أن يضاف إلى رهبانية هندية دير مار يوسف الحصن ودير مار

جرجس علما وكان بهما راهبات عابدات، فحسن ذلك لدى البطريرك وأضاف الديرين المذكورين إلى بكركي وأثبت القانون.

وسنة ١٧٧٧م داخل بعضهم الريب في صحّة إيمان هندية فرفعوا عرائض إلى البابا بيوس السادس والمجمع المقدّس يدّعون بها أنّها تعلّم ضلالاً مخالفاً للإيمان القويم، فساء البطريرك وأكثر مطارينه هذا التشكي وغلب على أفكارهم أنّ ذلك دسائس مبغضين وأحبولات حاسدين فحاموها وزيّفوا تلك الأقوال، فأرسل البابا قاصداً يبحث عن الحقيقة فحضر إلى بكركي وأجرى الفحص فكانت خلاصته تقريره: «إني حضرت إلى بكركي وفحصت عن أحوال راهباته ومعتقدهنّ وسيرتهنّ وكذلك فحصت عن باقي جمهور الدير المنتمين إلى قانون قلب يسوع وكنت أخالني ألقي شبكتي في نهر متدفّق بالفضائل فوجدت أني ملقيها في بحر متموّج بالأعمال الصالحة وشعائر القداسة».

فشهادة هذا القاصد بعد فحصه زادت البطريرك وبعض الأساقفة تمسّكاً بهندية واعتباراً لصحّة إيمانها وبرارتها فاندفعوا إلى المحاماة عنها، لكن المضادين لها ما انفكوا يثلبونها ويطعنون في استقامة معتقدها، وكثر مضادوها وانضمّ إليهم بعض راهبات ديرها فاضطرّ المجمع المقدّس سنة ١٧٧٨م أن يرسل قاصداً آخر لإعادة الفحص عن تعليمها ولدى مطالعته كتاباً ألّفته وسمّته «اللاهوت السري» عثر به على ما يوجب الشك في صحّة معتقدها فانّها قالت فيه: «إنّ الإنسان الكاثوليكي إذا تناول القربان المقدّس حاصلاً على النعمة المبررة اتّحد بلاهوت المسيح اتّحاد لاهوته بناسوته سنداً إلى قول الرسول (قرنثية فصل ٧ عد ١٧) «من التصق بربّنا كان معه روحاً واحدة». فعرض الفاحص ذلك للمجمع المقدّس مع ما قرره له المضادون فأصدر البابا بيوس السادس أمراً مؤرخاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م قاضياً بإلغاء رهبانيتها وإبعادها وراهباتها عن ديرها بكركي، وموجباً اللوم الشديد على البطريرك لتغاضيه عنها ومحاماته لها، وأمر بتوزيع الراهبات في أديار كسروان التي للعابدات، وتعيّن لإقامة هندية الدير المعروف بدير سيدة الحقلة حيث قضت حياتها بالتوبة والورع وكانت وفاتها به سنة ١٨٠٢م.

أمّا البطريرك فطلب القاصد منه الرجوع عن أوامر كان قد أصدرها محاماة

لهندية، وأن يوقع على صورة إقرار كان المجمع المقدّس قد أرسلها ليذيلها بتوقيعه فلم يشأ أن يوقّع عليها كما كانت منشأة بل نقّحها وغيّر شيئاً فيها، وشكاه بعض خصومه أنّه التجأ إلى الذراع العالمي في هذه الأمور، ولمّا بلّغ القاصد ذلك إلى المجمع المقدّس صدر أمر الحبر الروماني بأن يكون مربوطاً عن التصرّف بسلطانه البطريركي وأن يشخص إلى رومة ليعطي جواباً عن محاماته لهندية وعن عصاوته برفضه التوقيع على صورة الإقرار المقدّمة له من القاصد الرسولي، وأقام السيّد ميخائيل الخازن مطران قيسارية ليكون مدبراً للبطريركية ما دام البطريرك مربوطاً، فسارع البطريرك بالطاعة للأمر وسار إلى دير النبي الياس في الكرمل ليسافر من حيفا إلى رومة فاعترى البطريرك هناك مرض منعه من السفر.

فعظم القلق في الطائفة وكان حينئذٍ الشيخ سعد الخوري مدبراً للأمير يوسف والي لبنان فجعله يكتب إلى البابا بيوس السادس رسالة يبرئ بها ساحة البطريرك من كل لائمة ويلتمس عوده إلى منصبه البطريركي. ورفع الشيخ سعد عرائض إلى البابا المشار إليه وإلى نيافة الكردينال رئيس المجمع المقدّس والمونسنيور بورجيا كاتب هذا المجمع والكردينال ديبرنس الفرنسي مذكراً إيّاه بحماية فرنسة للموارنة والكردينال كرسيني جواباً له عن كتاب كان قد أرسله إليه توصاة بالخوري يوسف تيان عند عوده من رومة إلى لبنان. وفي كل هذه العرائض كان الشيخ سعد يبرئ البطريرك من كل شائبة ومن كل مخالفة لأوامر الكرسي الرسولي، ويعتب لمعاملة البطريرك هذه المعاملة التي تكسر خاطر الطائفة وتحزن قلبها، وأوعز الشيخ سعد إلى الأساقفة ورؤساء الرهبانيات والأعيان ليرفعوا مثل هذه العرائض، وأرسل بها إلى رومة الخوري يوسف التيان المذكور وقد أثبت المعلّم رشيد الشرتوني (في كتابه سلسلة بطاركة الموارنة نقلاً عن السجلات البطريركية) صور كل هذه العرائض وشفعها باثبات مرسوم الجواب من البابا بيوس السادس إلى الشيخ سعد الخوري باللاتينية وترجمته العربية مؤرخاً في ١٨ أيلول سنة ١٧٨٤م مفتتحاً بقوله: «أيّها الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية. لم يخامرنا ريب البتة في عنايتك أيّها الابن العزيز والرجل الشريف بالمحافظة على الإيمان الكاثوليكي دون انثلام بل نثني عليك أطيب الثناء مقرين بأنّ إطفاء تلك النار البكركية كان خاصة

باهتمامك ويعزى إليك إزالة ذلك القلق اعتماداً على مراسيمنا الصادرة سنة ١٧٧٩م، ولم يخطر لنا ببال أن نوجب اللوم على أخينا المحترم البطريرك يوسف اسطفان لالتجائه إليك واعتضاده بك ليتمكّن من أن يقيم بحاجاته من المداخيل الزمنية لكرسيه البطريركية». ثمّ بيّن له أنّ ما أوجب اللوم على البطريرك إنّما هو ما بلغه عنه أنّه لم يشأ أن يوقّع على صورة الإقرار المرسلة إليه من المجمع المقدّس وتأليفه بحسب هواه صورة مخالفة للمرسلة إليه، كأنه قاض بدعواه، وأنّه التجأ إلى حكام عالميين ولم يلتفت إليك أنت مدبّر حاكمه المعلومة تقواك، وانّه لمّا كان أقرّ بغلطه نادماً عليه ووقع على صورة إقراره كما أرسلت إليه فوّض إلى قاصده الأسقف أنوش أن يحضر إلى كسروان ويرد البطريرك إلى كرسيه وحقوقه جزاءً لطاعته وإجابة لالتماس جمهور الأساقفة ورغائب الطائفة وتوصاة الأمير يوسف الجليل والسامي الاقتدار وتوسّله أي توسّل الشيخ سعد.

أمّا صورة الإقرار الذي قدّمه البطريرك حينئذٍ إلى البابا بيوس السادس فقد ضمّنها في براءته المنفذة إلى مطارين الطائفة وأعيانها مؤرخة في ٢٨ أيّار سنة ١٧٨٤م فنلخّصها عن هذه البراءة: «أنا المدوّن إسمي أدناه أقرّ وأعترف بغلطي واعتقادي الباطل بقداسة حنّة عجيمي راهبة دير بكركي وانخداعها وأقبل وأصادق على مرسوم المجمع المقدّس الأوّل المؤرّخ في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م والمثبت من سيّدنا البابا بيوس السادس الكلي القداسة (المتضمّن تحريم تعليم هندية) ثمّ إنّي أقرّ وأعترف أنّ هندية المذكورة كانت مخدوعة بخبث واضح وأنّ تخيّلاتها وأوحيتها ونبواتها التي كانت تتفاخر بها وجميع آرائها الحديثة المستغربة ولاسيّما زعمها أنّ جسدها ونفسها يتّحدان مع جسد المسيح ونفسه. فهذه كلها باطلة واختراعات وقحة ولا تخلو على الأقل من رائحة البدعة، ولهذا أنقض كل اعتقاد سلف مني بمثل هذه الخداعات والأوهام النفاقية وأبطل وألاشي كل فعل أظهرت به وشهرت شيئاً من هذه الأشياء ولاسيما منشوري المؤرخ في ١٧ أيّار سنة ١٧٧٧م وكل ما صدر مني لتأييد مثل هذه الأشياء المرذولة، ثمّ أقبل وأوقر واحترم المرسومين الآخرين المبرزين من مجمع نشر الإيمان المقدّس والمثبتين من قداسته في تاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م أيضاً. وقد تضمّن الأوّل منهما إبطال وإلغاء الرهبانية التي أنشأتها

الراهبة المذكورة تحت اسم أخوية قلب يسوع، والثاني يشتمل على الحكم المبرز علي بالمنع عن التصرّف بكل سلطان بطريركي إلى أن يتحسّن للأب الأقدس. واما نظراً إلى الأمر لي بأن أشخص إلى رومة لأجاوب أمام قداسته عن ذنوبي السالفة فكنت قد أخذت في السفر فمنعتني أمراضي عنه وأرسلت من يقرأ عذري فعفتني رأفة الأب الأقدس من المثول بشخصي وها أنذا قابل بطيبة خاطر أن أبقى مربوطاً إلى أن يرى قداسته أن يحلّني من هذا الرباط، وأقبل أن يكون السيّد ميخائيل الخازن متصرفاً بالسلطان البطريركي ما دمت مقيّداً بهذا الرباط».

ولـمّا كان بعض مطارين الطائفة قد رفعوا إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٧٤م عدّة مشكلات وقعت بينهم وبين البطريرك وسأل البطريرك المجمع المذكور أن يصغي إلى تقريراته في هذه المشاكل، وأرسل روفائيل الحاقلاني مطران دمشق وكيلاً عنه إلى رومة، ولدى التبصّر بحجج الفريقين حكم آباء هذا المجمع في ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧م في هذه المشكلات كما سيأتي، فلذلك أضاف البطريرك إلى إقراره المذكور قوله: «إنّني أقبل وأطيع مسرعاً جميع مراسيم مجمع نشر الإيمان المقدّس الصادرة في ٨ تموز سنة ١٧٧٤ ولاسيما المراسيم السبعة الصادرة منه في ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧م».

فهذه المشكلات ومراسيم الأجوبة الصادرة بشأنها هي سبعة وهذا ملخّصها: الأوّل أنّ البطريرك كان قد أجاز أكل الأطعمة المزفرة يوم الجمعة الواقع في اليوم التاسع بعد عيد جسد المسيح ونصحه المجمع المقدّس أن يبطل هذه الإجازة فعرض السؤال هل يلزم تكرار الأمر للبطريرك ليبطل هذه الإجازة فأجاب الآباء أن تتجدد مراسيم المجمع اللبناني (قسم ١ باب ٤ عد ٣ وعد ٥) حيث عينت في العدد الثالث الأصوام المفروضة وفي العدد الخامس رخص للبطريرك لضرورة عامة أن يجعل بدء صوم الرسل في ٢٥ حزيران وبدء صوم انتقال العذراء في ٧ آب وبدء صوم الميلاد في ١٣ كانون الأول. ونبه الطريرك أن لا يقدم على هذا الترخيص على إطلاقه بل في صوم واحد ومرّة واحدة بحسب مقتضيات المكان والزمان والمسوغات.

وعرض السؤال الثاني هل يستطيع بطريرك الموارنة أن يمنح غفرانات كاملة دون

إذن الكرسي الرسولي في أيام معيّنة فأجاب الآباء لا يستطيع ويلزم القاصد أن يعلن ذلك للموارنة.

والسؤال الثالث هل للسيّد البطريرك أن يلزم أساقفة الأبرشيات بأن يأخذوا منه مناشير لزيارة أبرشياتهم، فأجاب الآباء لا يلتزم الأساقفة أن يأخذوا منشور الإجارة منه عندما يزورون أبرشياتهم بالحق المعتاد لهم.

والسؤال الرابع أيجب أن يعين مبلغ دراهم يدفعه الأساقفة كل سنة للسيّد البطريرك على سبيل العشور وبأي شروط. فأجاب الآباء أنه يلزم أن يعيّن مبلغ يدفعه الأساقفة كل سنة للبطريرك وعيّنوا قدره ألفين وخمسمائة قرش كل سنة موزعة كما سيجيء. ويحق للبطريرك أن يعطي مناشير لجمع العشور لكل من المطارين الموجودين مرّة واحدة فقط بياناً لخضوعهم له، وكذلك المطارين الذين سيكونون عند دخولهم على الأبرشية لا غير. وأمّا المبلغ المعيّن فقيمته ٤٥٠ قرش على مطران طرابلس و ٣٥٠ على مطران حلب و٣٠٠ قرش على كل من مطارين جبيل وبعلبك وبيروت وصور وصيدا و٢٥٠ على كل من مطراني دمشق وقبرص مجموع ذلك قيمته ٢٥٠٠ قرش. وزادوا على ذلك أنّ هذا التعيين يدوم ست سنين إلى أن يرى المجمع المقدّس غير ذلك ويلزم كل مطران أن يطلب منشوراً من البطريرك لجباية العشور كل سنة ويدفع ما عليه للبطريرك دفعتين. ومن تأخّر عن الدفع بغير عذر مقبول حقّ للبطريرك أن يرجع عليه بالمطالبة بحقوقه الأولى.

والسؤال الخامس أيحق للبطريرك أن يعزل المطارنة من أبرشياتهم ويمنعهم من التصرّف بسلطانهم أو يجري عليهم ما يخفض شأنهم أمام الشعب لدواع غير كافية ودون مشورة المطارين ولا إعلام الكرسي الرسولي فأجاب الآباء لا يحق للبطريرك أن يعزل المطارين من أبرشياتهم أو يمنعهم من التصرّف الكلّي بسلطانهم دون مشورة مجمع المطارنة، وفي ما سوى ذلك له أن يؤدّبهم بحسب قوانين الكنيسة.

والسؤال السادس أيلزم الترخيص للرهبان بأن يجولوا في الأبرشيات لجمع الإحسان. وكان الداعي بهذا السؤال أنّ مجمعاً عقد بغوسطا نهى الرهبان عن الجولان بالأبرشيات لجمع الاحسان، فأجاب الآباء أن يلزم المحافظة على قوانين

الرهبان وعلى ما دوّن في المجمع اللبناني (قسم ٤ باب ٢ عد ٨) حيث قيل وليس للرهبان «أن يتسوّلوا أو يعثوا راهباً أو عالمياً في سبيل السؤال بلا رخصة من الرئيس المحلّي». وزاد الآباء على ذلك نصح الأساقفة أن يتساهلوا في منح الإذن للرهبان بالتسوّل متى تحقق عندهم احتياجهم إليه، وللرهبان أن يعرضوا أمرهم للسيّد البطريرك إذا امتنع الأسقف ضدّ الصواب عن إعطائهم الإذن بالتسوّل.

والسؤال السابع أيحق للبطريرك أي يقبل الكهنة أو الرهبان غير الخاضعين لرؤسائهم ويرخّص لهم بالذهاب إلى محل خلافاً لإرادة رؤسائهم فأجاب الآباء لا يحق له ذلك وفقاً لما تدوّن في المجمع اللبناني في قسم ٤ باب ٢ عد ٩ و ١١. فهذه خلاصة المراسيم التي قال البطريرك في إقراره إنّه يقبلها ويطيعها.

وقال بعد ذلك: «فجميع هذه المراسيم وغيرها مهما كانت مما انتشر أو سوف ينشر من أوامر المجمع المقدّس لأجل تدبير الطائفة المارونية أعلن أنني أقبلها وأوقّرها وأقوم بتكميلها بدون مخاتلة أو غش وأقدّم بكل خضوع إقراري واعترافي هذا أمام قداسة سيّدنا البابا بيوس السادس وأبتهل إليه أن يحلّني من كل تأديب التحق بي ويردني إلى نعمته وحنانه ويقبلني كابن نادم وتائب، ومتى تنازل وتقبّل توبتي الصادقة يردّني إلى التصرّف بالسلطان البطريركي وإلى تدبير طائفتي قاصداً أن أظهر نفسي في الزمان المقبل ابناً خاضعاً وطائعاً للكرسي الرسولي وأثبت كل ما قدّمته بقسمي عليه وبخط يدي وختمي أمام شاهدين في ٨ آذار سنة ١٧٨٤م. والتوقيع يوسف بطرس اسطفان البطريرك الأنطاكي والشاهدان على ذلك القس يوسف التيان مرسل رسولي والقس سمعان الصباغ مرسل رسولي.

ثمّ أردف البابا كلامه في براءته المذكورة المأخوذ عنها كل ما مرّ بقوله: «لا شكّ في أنّ من تاب حقيقة عن زلاته حقّ له أن ينال الغفران فلا هرون بعد توبته فقد كهنوته، ولا سمعان بعد ندامته على سقطته أضاع مقامه الأعلى الرسولي» ولذلك قد أمرنا الأسقف أنوش أن يسير سريعاً إلى كسروان ويردّ الأخ الموقر يوسف اسطفان إلى بطريركيته ويخوله مقامه السابق وسلطانه وجلّ رغائبنا أن تتّخذوا ذلك برهاناً أكيداً على حبّنا الأبوي للطائفة المارونية وعربوناً لاعتبارنا لها لغيرتها على

الإيمان الكاثوليكي وثباتها في الاحترام للسدّة البطرسية في ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م وهي السنة العاشرة لحبريتنا.

وأتمّ القاصد المذكور ما أمر به فدعا البطريرك من دير الكرمل وسار به إلى دير مار يوسف الحصن بغوسطا حيث كانت إقامته، فالتقاه أبناء الطائفة باحتفال عظيم شائق وبهجةٍ وسرورٍ فائق وشرع الأعيان والكهنة والأهلون يتقاطرون من كل فج لتهنئته وأقام البطريرك يوسف اسطفان مجدّاً مكدّاً في خير طائفته وحراثة كرم الرب وأرسل سنة ١٧٨٦م الخوري أنطون القيالي البيروتي إلى باريس لطلب قنصلية فرنسة للشيخ غندور بن سعد الخوري، فتكرّم الملك لويس السادس عشر عليه بها. وسنة ١٧٨٩م أمر بتحويل دير عائلة مار أنطونيوس عين ورقة إلى مدرسة عامة إكليريكية للطائفة وكان قبلاً ديراً للعابدات، فصار بعداً معهداً علميّاً رقى الطائفة في مدارج التقدّم والفلاح، وأجدى عليها بكثيرين من البطاركة والأساقفة والعلماء كما سترى. وعقد مع مطارينه المجمع المعروف بمجمع عين شقيق أو مجمع وطا الجوز سنة ١٧٨٧م، ومجمع بكركي الأوّل سنة ١٧٩٠م. وسوف نلخّص ما كان بهذين المجمعين.

وفي ١٢ نيسان سنة ١٧٩٣م ارتحل هذا البطريرك إلى دار البقاء في دير مار يوسف الحصن بغوسطا ودفن فيه وكان من العلماء الأعلام وله مؤلفات كثيرة وكانت عنده مكتبة جامعة تبددت من بعده ونقل بعضها إلى دير بكركي. ومن مؤلفاته كتاب بديع في قداسة يوحنا مارون تراه مطبوعاً في كتاب «المحاماة عن الموارنة»، ورسالة مطوّلة في تربية الأولاد كتبها لسكان أبرشية بيروت إذ كان مطراناً عليهم. وله بالسريانية عدّة فروض لتتلى في الكنائس أيّام أعياد القديسين يعقوب وليمناوس تلميذي القديس مارون والثلاث مئة وخمسين شهيداً تلاميذه والقديس افرام السرياني وغيره. وله أيضاً عدّة منظومات من المعروفة بالأفراميات التي يترنّم بها في القدّاس منها أفرامية للقديس مارون، وأفراميات للرسولين بطرس وبولس والاثني عشر رسولاً. وله أيضاً طلبات لبعض القديسين يترنّم بها في مساء أعيادهم، ورتب للخدمة في القدّاس في أعياد كثيرين من القديسين، وهو الذي هذب الرتب في طائفتنا وألّف بعضها كرتبة منح الغفران الكامل والبركة البابوية ورتبة تبريك الماء

يوم عيد القدّيسين بطرس وبولس ورتبة منح البركة بصورة العذراء المعروفة بسيدة الثوب، ألّفها وهو في الكرمل، ورتبة منح البركة بالصليب أيّام الجمعة في الصوم ورتبة الاستعداد للميلاد لتسعة أيّام قبل الميلاد ورتبة السجدة يوم عيد العنصرة إلى غير ذلك.

وأمّا الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأوّل الخوري ارميا نجيم من غوسطا رقاه إلى أسقفية الناصرة في ١٧ تشرين الأوّل سنة ١٧٦٧م وتوفي في ١٥ تشرين الأوّل سنة ١٧٧٥م في دير الحصن.

الثاني الخوري ميخائيل حرب الخازن من عجلتون رقاه إلى أسقفية قيصرية فلسطين في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٦٧م ثمّ دبر أبرشية دمشق والبطريركية مدّة منع البطريرك يوسف أسطفان عن التصرّف بها. وكانت وفاته في دير رام بودقن.

الثالث الخوري الياس الجميل الثاني بهذا الاسم رقاه في ١٢ كانون الثاني سنة ١٧٦٨م إلى أسقفية قبرص وتوفي في ٦ أيلول سنة ١٧٧٩م في شويا.

الرابع القس أثناسيوس الحاج موسى الشنيعي من غوسطا رقاه في ٢٩ حزيران سنة ١٧٦٨م وتوفي في أيلول سنة ١٧٧٨ ودفن بدير الحصن بغوسطا.

الخامس القس ارسانيوس دياب الحلبي رقاه إلى أسقفية حمص ودير بكركي سنة ١٧٦٩م وسمي جرمانوس وتوفي سنة ١٧٩٩م بدير القمر ودفن في كنيسة التلّة.

السادس القس ارميا نجيم الثاني ابن أخت المطران ارميا نجيم الأوّل رقاه إلى أسقفية الناصرة سنة ١٧٧٧م وكان نائباً بطريركياً وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٧٩م ودفن بدير الحصن.

السابع القس بولس اسطفان أخوه رقاه إلى أسقفية قورش ونيابة الكرسي البطريركي في حزيران سنة ١٧٧٧م، ثمّ سلمت إليه أبرشية جبيل والبترون وتوفي بمدرسة عين ورقة سنة ١٨٠٨م.

الثامن القس يوسف نجيم أخو المطران ارميا نجيم التاني رقاه في ١١ تشرين الأوّل سنة ١٧٧٩م إلى أسقفية بيروت وتوفي في ٦ آب سنة ١٨٠٢م في دير مار جرجس علما.

التاسع القس يوحنا الحلو من غوسطا رقاه إلى أسقفية عكا في ٦ آب سنة ١٧٨٨م وكان نائباً بطريركاً في الأشياء الزمنية وهو الذي انتخب بعداً بطريركاً.

العاشر الخوري يوسف التيان من بيروت رقاه إلى أسقفية دمشق في ٦ آب سنة ١٧٨٦م وكان نائباً بطريركياً في الروحيات ثمّ استقال من مطرانية دمشق وسلمت إلى المطران ميخائيل الخازن سنة ١٧٨٨م.

الحادي عشر الخوري دانيال الجميل رقاه إلى أسقفية قبرص في ٣٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٨٦م وسمّي فيلبوس وصار بعداً بطريركاً.

الثاني عشر الخوري جرجس يمين ابن المطران يواكيم من إهدن رقاه إلى أسقفية طرابلس في ١٨ أيّار سنة ١٧٨٧م وتوفي سنة ١٧٩٥م بزغرتا.

الثالث عشر الخوري جبرائيل كنيدر من حلب رقاه إلى أسقفية حلب في ٩ أيلول سنة ١٧٨٧م وتوفي بها سنة ١٨٠٢م.

الرابع عشر القس اغناطيوس الخازن من عجلتون رقاه إلى أسقفية نابلس في ٢٩ حزيران سنة ١٧٨٧م ثمّ سلّمت إليه أبرشية طرابلس بعد وفاة المطران جرجس يمين إلى أن توفي سنة ١٨١٩م بعجلتون.

الخامس عشر القس فرنسيس مبارك رقاه إلى أسقفية بعلبك بعد أن تخلى عنها المطران جبرائيل مبارك الثاني في ٢٦ آب سنة ١٧٨٧م ودعي بطرس وتوفي في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨م في دير ريفون وفي أيّامه رقي المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلّامة الشهير في رومة إلى مطرانية صور في ٣١ تموز سنة ١٧٦١. وتوفي في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٧٦٨م.

عد ١٠٦٩

البطريركان ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل

أمّا البطريرك ميخائيل فاضل فهو من بيروت وكان البطريرك طوبيا الخازن قد رقاه في ١١ حزيران سنة ١٧٦٢م إلى أسقفية صور وجعله نائباً بطريركيّاً إلى أن تسلّم تدبير أبرشية بيروت سنة ١٧٨١م. ولمّا توفي البطريرك يوسف أسطفان في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣م تأجّل اجتماع الأساقفة لانتخاب بطريرك بسبب الطاعون الذي كان مستحوذاً تلك السة في البلاد ولاسيّما كسروان إلى أن اجتمعوا في ١٠ أيلول سنة ١٧٩٣م، فانتخبوا المطران ميخائيل فاضل وأرسل الخوري جرجس غانم البيروتي إلى رومة ليستمدّ له التثبيت ودرع الرئاسة من الحبر الروماني فلم يبلغ إليها إلّا بعد وفاة هذا البطريرك التي كانت في ١٧ أيّار سنة ١٧٩٥م في دير حراش ودفن به، على أنّ البابا بيوس السادس أراد احصاءه في مصاف البطاركة إذ قال بخطبته في الإجتماع المنعقد لذلك في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦م: «ولمّا كانت غِيَر الزمان لم تسمح لنا بأن نمنحه التثبيت وهو حي نمنحه إيّاه وهو ميت ونريد أن يحصى في سلسلة بطاركة الموارنة ولو أحرمته المنية قبول زينة درع الرئاسة». ولا نعلم أنه رقى أحداً إلى الأسقفية إلّا الخوري جرمانوس قيس الخازن من عجلتون سنة ١٧٩٤م وهذا توفي في دير مار روحانا البقيعة سنة ١٨٠٥م.

وأمّا البطريرك فيلبوس الجميل فكان من بكفيا وكان البطريرك يوسف اسطفان قد رقاه إلى أسقفية قبرص في ٣٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٨٦م. وبعد وفاة البطريرك ميخائيل فاضل في ١٧ أيّار سنة ١٧٩٥م اجتمع الأساقفة في دير بكركي في ١٢ حزيران في السنة المذكورة وكان الأساقفة تسعة فاتّفقوا أن يرشّحوا للبطريركية المطران يوحنا الحلو والمطران فيلبوس الجميل المذكور ويرمي السبعة الباقون القرعة. فمن حاز أربعة أصوات كان بطريركاً فوقعت الأربعة أصوات للمطران فيلبوس المذكور وثبته البابا بيوس السادس في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦م على يد معتمده القس ارسانيوس القرداحي الراهب الحلبي اللبناني. وقبل أن يصل إليه درع الرئاسة عاجلته المنية في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦م في دير السيدة في بكركي حيث دفن.

ولا نعلم أنه رقى إلى الأسقفية سوى القس أقليمس الخازن من عجلتون على أبرشية جبيل والبترون وسمي اسطفان. ولما كان ذلك مخالفاً للقوانين البيعية لأنّ مطران هذه الأبرشية كان حيّاً وهو المطران بولس أسطفان المذكور فعزل عنها. وبعد وفاة المطران جرمانوس الخازن السالف ذكره سلمت إليه أبرشية دمشق سنة ١٨٠٥م وتوفي في ٣١ كانون الأوّل سنة ١٨٢٩م في دير مار موسى بلوني ودفن به.

ثمّ رقى البطريرك فيلبوس الخوري ميخائيل فاضل إلى أسقفية بيروت وسمي أنطونيوس لكن تغلّب عليه اسم المطران ميخائيل فاضل الثاني. وتوفي في ٦ تموز سنة ١٨١٩م.

وبعد وفاة البطريرك فيلبوس الجميل اجتمع الأساقفة في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م في دير بكركي فانتخبوا المطران يوسف التيان مطران دمشق قبلاً والنائب البطريركي بطريركاً، فكان السادس بهذا الاسم وثبته البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م على يد معتمده القس لويس بلبيل الراهب اللبناني الذي رقاه إلى أسقفية قبرص سنة ١٧٩٨. ونرجئ تكملة ترجمة هذا البطريرك إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث

مشاهير العلم الموارنة في القرن الثامن عشر

نحسب هذا القرن قرن الذهب في طائفتنا لكثرة علمائها فيه ولوفرة ما خلفوه من التصانيف البديعة والتآليف النفيسة حتى أفادوا الغرب بتواريخ المشرق ونقلوا إليه ما لا يحصى من آثار الشرقيين وكتبهم وكانوا كمشكاة استنار بضوئها أهل المشرق بعلوم أهل الغرب ورقوا مواطنيهم في مدارج العلم وشهد لهم علماء

الغرب بالفضل واعتمدوا على ما أثبتوه إلى الآن وتفاخر بهم أبناء جلدتهم شاكرين لهم ما أجدوا عليهم به. والفضل في كل ذلك للعهد العلمي الذي أنشأه لهم البابا غريغوريوس الثالث عشر فإنّ أكثر هؤلاء العلماء نبغوا منه وعنه أخذوا أنوار تعاليمهم النافعة وها نحن نأخذ بتدوين تراجم من عرفناه منهم وذكر ما علمناه من تآليفهم الغراء.

عد ١٠٧٠
القس يوسف الباني الحلبي

هو يوسف بن القس جرجس الحلبي ارتحل أسلافه من قرية بان بجبل لبنان إلى حلب الشهباء فولد ونشأ بها وأرسل إلى رومة طلباً للتخرّج بالعلوم في مدرسة الموارنة فنبغ وحاز قصبات السبق وارتقى إلى درجة الكهنوت وقال في حقّه القس جبرائيل فرحات (هو المطران جرمانوس فرحات لكنّه كتب ما يأتي قبل تسقيفه) في مقدّمة تفسيره لرؤيا يوحنا: «الأب الفاضل والعالم العامل ذخيرة ملّته المارونية وسراج الكنيسة الرومانية غذي بلبانها فترعرع وبني على أساسها فلم يتزعزع الذي ضاءت أشعّة شهب علومه في أفق شهبائه حتى استعشت. وأرضع بني حلب مما حلب من فواق ثدي فضله حتى عاشت ونعشت وأفاض مما فاض من معارفه على الطلبة المستفيدين قاصيها ودانيها ودان لنتيجة مقدّمات عمله الصادق بيانها بالفضل والتقدّم قاصيها ودانيها فأفادنا الدهر به ما كنا قبل نتمناه وجاد علينا بوجوده الرضى ما كان بغيره يأباه».

وقد أنبأنا الأب جبرائيل المذكور بلسانه أنّه قصد أم المدائن ابتغاء التخرّج بالعلوم فيها فأتقن معرفة اللغات وتضلع بعلوم الفلسفة واللاهوت وآب إلى حلب موطنه وكان يتقلّب بين أن ينفق بضاعته بترشيح الكلام أو أن يخلدها في بطون الأوراق بتوشيح الأقلام واعتمد على الثاني لأنّه يحيى بحياة الدهور والأزمان ولذلك ترجم إلى العربية عدّة من الكتب التي فاق معناها وراق مبناها منها: كتاب «ميزان الزمان وقسطاس أبدية الإنسان» وقد طبع هذا الكتاب مرّات منها طبعة في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت وأردفه بترجمة كتاب «الكمال المسيحي» في ثلاثة

أجزاء وهذا الكتاب أيضاً طبع مرات. ثمّ كتاب «المعرّف والمُعترف» في علم الذمة إلى غير ذلك في التأملات العقلية والرسائل الروحية. وقد عزا إليه القس جرجس منش الحلبي الماروني في ترجمة جرمانوس فرحات أربعة مجلّدات في تفسير الرسائل وخمسة في تفسير الأناجيل وثمانية في تفسير العهد القديم، وقال إنّ فرحات صحّح هذه الترجمات. ذكرت هذه الرواية على عهدته ومما لا شكّ فيه وأشهر تآليفه كتاب: «العنوان العجيب في رؤيا الحبيب» وهو تفسير لكتاب رؤيا يوحنا الحبيب أحد أسفار العهد الجديد وأغوصها معنى وأعسرها بياناً انتقاه من تفسيرات الأب كورينلوسن الحجري اليسوعي مقتصراً منها ما أمكن اقتصاره وزائداً عليها ما رأى زيادته لازمة. وقد فرغ من هذا التأليف سنة ١٧١٣م وقد عنيت وأنا كاهن بطبع هذا الكتاب سنة ١٨٧٠م بالمطبعة العمومية الكاثوليكية التي قنيتها بمساعدة الخواجا رزق الله خضرا بعد أن عارضته كلمة فكلمة بالنسخة التي خطتها يد معربها القس جبرائيل فرحات المذكور وبنسخة أخرى أخذت عنها.

إنّ ترجمات القسّ يوسف الباني هذه قد عرّبها كلّها القس جبرائيل فرحات وأظنّ أنّه عني بذلك قبل أن صير أسقفاً على حلب مدعوّاً بجرمانوس سنة ١٧٢٥م. وقد ذكرت في كتابي «سفر الأخبار في سفر الأحبار» أنّ للقس يوسف الباني أيضاً ترجمة تفسير العهد الجديد إلى العربية والذي أراه الآن أنّ ترجمة تفسير هذه الأسفار إلى العربية عدا الرؤيا إنّما هي للأب بطرس فرماج اليسوعي معرّبة بقلم المطران جرمانوس فرحات. ولم أعثر إلى الآن على سنة وفاة الأب يوسف الباني ولا أشكّ في أنّه توفي بعد سنة ١٧١٣ التي فرغ فيها من تأليف كتابه في تفسير الرؤيا كما صرّح بذلك.

عد ١٠٧١
المطران جرمانوس فرحات

ولد هذا النابغة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م من أسرة مطر التي ارتحلت من قرية حصرون بلبنان إلى حلب الشهباء فربّاه والداه بالتقوى والورع وتخرّج باللغة السريانية في مكتب الموارنة بحلب، ثمّ تعلّم اللغة الإيطالية ودرس التصريف

والنحو على الشيخ سليمان الحلبي المعروف بالنحوي ثمّ اشتغل في علم المعاني والبيان والعروض والقوافي والبديع ثمّ أتقن الفلسفة واللاهوت على العلّامة النحرير الخوري بطرس التولاوي الآتي ذكره. ولمّا أتى الأفاضل الثلاثة وهم جبرائيل حوا وعبدالله قرأالي ويوسف بن البتن من حلب إلى لبنان سنة ١٦٩٤م لتأسيس الرهبنة تبعهم جبرائيل فرحات بعد سنتين وانضمّ إلى المؤسسين المذكورين مجاهداً في طريقة السلك الرهبانية متفانياً بحب الله مضطرماً بالغيرة على خلاص النفوس عاكفاً على التأملات الروحية مجاهداً في الأعمال الصالحة مكبّاً على التأليف والتصنيف ونظم الأشعار الروحية والأدبية متغزلاً فيها بحب الله والفضيلة ومريم العذراء وقد انتخبه اخوته الرهبان رئيساً عاماً على رهبانيتهم في ثلاثة مجامع متتالية أي من سنة ١٧١٦م إلى سنة ١٧٢٥م ويظهر من بعض قصائده أنّه زار ضريح الرسولين في رومة أم المدائن.

وفي ٢٩ تموز من السنة المذكورة رقاه البطريرك يعقوب عواد إلى أسقفية حلب المارونية ودعي جرمانوس فازداد غيرة وجهاداً في القيام بأعباء مقامه الثقيلة مثابراً على الوعظ والإرشاد دائباً على عمل المبرّات غير منقطع عن التأليف والتصنيف والتعريب وغير تارك تأملاته وتقشفاته الرهبانية مصيّراً نفسه كلّاً للكل ليربح الكل للمسيح واعظاً شعبه بمثاله الصالح فوق وعظه بكلامه وخطبه البديعة والآخذة بمجامع القلوب الحاملة سامعيها على الفضيلة والرادعة لهم عن الرزيلة واستمرّ على ذلك سبع سنوات إلى أن دهمته المنية في ٩ تموز سنة ١٧٣٢م فسلبت من عصره حليته الفاخرة ودرته الباهرة وذهب لينال ثواب أعماله الصالحة ومبرّاته الوافرة لدى من لا يضيع أجر إسقاء كأس ماء فكيف يضيع أجر من قضى سنيّه كلها مجاهداً متفانياً بحبّه وعمل مرضاته.

وأمّا ما صنف وألّف وهذّب وعرب فكثير منه في اللغة كتابه باب الاعراب عن لغة الاعراب وهو معجم اللغة العربية انتقاه من قاموس الفيروزبادي وغيره من المعجمات وقد طبع هذا الكتاب الشيخ الكونت رشيد الدحداح وزاد عليه واستدرك بعض كلمات عن المؤلف وسمى كتابه. «أحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» وألحق المؤلّف بمعجمه كتاباً في العوامل العربية سماه الفصل المعقود حذا

به حذو ابن هشام الأنصاري في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب». ومن تآليفه «كتاب بحث المطالب وحث الطالب» جمع به قواعد التصريف والنحو بأوجز عبارة وأوضح إشارة. وقد طبع هذا الكتاب مرات لتداول أيدي الطلبة له في أكثر المدارس إلى الآن. ومن طبعاته طبعة المعلّم بطرس البستاني له ببيروت وقد ذيلها بحواشٍ كثيرة واستدرك على المؤلف ببعضها، على أنّ أكثر ما خطأه به كان من غرور النساخ أو سهوهم وبعضه لم يصب بتخطئته به. وقد انتقدت بعض ما جاء في تلك الحواشي بكتيّب ألّفته في خلال إقامتي في مدرسة مار يوحنا مارون مدرّساً لتلامذتها هذا الكتاب، على أنّ هذا الكتيّب لم أشهره حتى الآن. وللمؤلف كتاب بحث آخر أطول مما تتداوله أيدينا وأكثر بياناً وكان لديّ نسخةٌ من هذا المطوّل أخذت عن نسخةٍ خطتها يد المؤلف واعتمدت عليها في كثير مما عارضت به المعلّم بطرس المذكور. ومن كتبه في اللغة كتابه الموسوم «المثلثات الدرية» اقتدى فيه بمثلثات قطرب المشهورة جمع بها نظماً الأسماء المختلفة المعاني باختلاف حركة أوّلها بين الفتحة والكسرة والضمّة وشرحها شرحاً مسهباً روحياً وأدبياً وعلمياً ومنها كتابه الموسوم «ببلوغ الأرب في علم البديع» جمع به أنواع الجناس والبديع مرصّعاً إيّاه بالشواهد من بديعيات مَن سلفوه وغيرها. ومنها كتاب وسمه «برسالة الفوائد في فن العروض» ولم يكن معلوماً قبلاً بين مؤلفاته ولا منضوداً بسلك منظوماته. ومنها كتاب «ديوانه الشهير» وقد طبع مراتٍ ولكن قلّما نجد طبعة أو نسخة من هذا الديوان سلمت من خطأ النساخ وقد شرحه شرحاً مسهباً الخوري ارسانيوس الفاخوري الغزيري.

وله في الروحيات والدينيات تعريب ترجمات القس يوسف الباني المذكور وهي ترجمات كتاب «ميزان الزمان» وكتاب «الكمال المسيحي» ثلاثة أجزاء وكتاب «المُعرّف والمُعترِف، وكتاب «تفسير رؤيا يوحنا» و«تعريب ترجمات الأب بطرس فرماج اليسوعي في تفسيرات العهد الجديد في عدّة أجزاء». وللمؤلف أيضاً تعريب ترجمة أسفار العهد الجديد إلى العربية عن النسخة السريانية المعروفة بالبسيطة فانّه أصلح تلك الترجمة العربية ونقّحها وطبق بينها وبين الأصل السرياني ثمّ رتب منها الفصول التي تتلى كل يوم في القدّاس من الأناجيل ورسائل بولس الرسول. وفي

طبعتي الأخيرة لهذين الكتابين زدت في مطابقة تلك الفصول مع النسخة السريانية حتى يمكن القارئ أن يعتمد على أنّ الترجمة العربية هي طبق ما في النسخة السريانية البسيطة. وكذلك فعل الخوري يوسف العلم رئيس كهنتنا ببيروت في كتابه «أقرب الوسائل في تفسير الرسائل» حيث جعل كلام الرسول بالعربية مطابقاً للأصل السرياني. ولصاحب الترجمة أيضاً تعريب الكتاب المعروف «بريش قريان» مشتملاً على فصول من نبوات الأنبياء وكتاب «أعمال الرسل» و«رسائل بولس الرسول» تقرأ في الصلوات في الكنائس أيّام الأعياد وبعض آحاد السنة. وهو الذي رتب كتاب «السنكساري» أي تراجم القديسين وعربه وأصلحه كما تتداوله الأيدي الآن، إلا أنّ كثرة الأيدي التي نسخته أوقعت به كثيراً من الخطأ. والتقدّم في صناعة النقد في هذه الأيام كشفت لنا عن أغلاط كانت تظن في أيّامه صواباً ولذلك تراني في مطاوي كلامي في هذا التاريخ نبهت إلى ما رأيته في هذا الكتاب من الخطأ في ما حملني مساق تاريخي على الكلام فيه، وفي عزمي ان قدرني الله أن أنقّح هذا الكتاب وأطبعه حرصاً عليه من غفلة النساخ وتيسيراً لاقتنائه.

وله أيضاً كتاب: «ديوان البدع» جمع فيه أكثر البدع التي نشأت في بيعة الله وشيئاً من التفنيد لبعضها. وله أيضاً كتاب وسمه بـ«فصل الخطاب في صناعة الوعظ والخطابة» وهو بديع في نوعه ويغني عن كتاب فصاحة في بعض أقسامه، وهذا الكتاب قد طبعه جماعةٌ من البروتستانت ولم يخلوه من حذف وتحريف فأمر الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد بطبعه فطبع في مطبعة الرهبان اللبنانيين في دير طاميش سنة ١٨٦٧م عن نسخة بخط المؤلف وأمرني بتصحيح طبعه فأطعت الأمر وزدت عليه مقدّمة طبعت في أوّله. وله أيضاً بعض صلوات سريانية لتتلى في الكنائس أيّام بعض الأعياد إلى غير ذلك مما لم يخطر على ذاكرتي الآن. وقد ذكر القس جرجس منش الحلبي الماروني في ترجمته التي نشرتها مجلّة الشرق في سنتها السابعة تآليف وتصحيحات وترجمات أخرى كثيرة والظاهر من مؤلفاته واعراباته واقتطافاته وترتيباته ومن الكتب الكثيرة التي ترى بخط يده المباركة أنّه لم يصرف ساعة من زمانه إلّا في خدمة الخالق والاجداء بالفوائد على الخلائق رحمنا الله بصلواته ومنَّ علينا بأمثاله ببركاته.

عد ١٠٧٢

الأب بطرس مبارك

ولد هذا العلّامة بقرية غوسطا في نحو سنة ١٦٦٠م وتخرّج باللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة فحاز قصبات السبق على أقرانه وأتقن من اللغات سبعاً: العربية والسريانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والإيطالية والفرنسية. ولما رجع إلى الشرق سنة ١٦٨٥م رقاه البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى درجة الكهنوت وأعاده إلى رومة وكيلاً له، وسلم إليه بعض كتبه ليهتم بترجمتها ونشرها. ويظهر أنّه ترجم منها إلى اللاتينية كتاب «نسبة الموارنة» وكتاب «رد التهم عنهم» و«سلسلة بطاركتهم» إذ نرى العلّامة السمعاني والعلّامة لكويان يستشهدان بكلام الدويهي مأخوذاً عن هذه الترجمة. وإلى ذلك أشار الدويهي في رسالته إلى الخوري بطرس المذكور إذ أرسل إليه إجابة لطلبه ترجمة حياته ليثبتها في صدر الكتاب، وقد مرّ ذكر هذه الرسالة في ترجمة الدويهي. وبعد عوده من الشرق دعاه أمير توسكانا وأقامه على طبع الكتب الشرقية ثمّ أقيم مدرّساً للعلوم المقدّسة وربح أموالاً لم يرد أن ينفقها إلّا في سبيل الخير لملّته إرضاءً لله فأنشأ مدرسة في عينطورا وشرى لها من العقار ما يقوم ريعه بنفقة اثني عشر تلميذاً ثمّ سلّم تدبيرها إلى الآباء اليسوعيين الذين ضوى إلى جمعيتهم رغبةً في الزهد والانقطاع عن العالم. وإليك ملخّص ما قاله المجمع اللبناني (صفحة ٥٤٨ الطبعة الحديثة) إنّنا نثني خير الثناء على تلك النيّة التقوية الجديرة بالرجل المتورع ولدنا الحبيب الأب بطرس مبارك أحد الآباء اليسوعيين وأحد تلامذة مدرستنا الرومانية ومن كهنة طائفتنا وهو الذي مع ما أحرزه عند الجمهور من الشهرة علماً وتقى لم ينس شعبه ولا بيت أبيه بل نظر في خير أبناء ملّته فبنى لهم على عهدنا مدرسةً في سورية بقرية عينطورا وأجرى عليها الرزق ووكل تدبيرها إلى المرسلين اليسوعيين معلقاً على ذلك بعض شروط خيفة أن يلمّ بطائفتنا المارونية شيء من الضرر في المستقبل. وقبل الأب رتز رئيس الرهبانية اليسوعية هذا التسليم بشروطه وذيّله وأثبته بصك شرعي مؤرخ في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م» وسنجيء على ذكر هذه المدرسة. وأقام بعد ذلك الأب مبارك مجداً في إتقان الفضائل والكمال الرهباني عاكفاً على عمل المبرّات متفانياً بالغيرة على مجد الله مكبّاً على تأليف الكتب النافعة وترجمتها إلى أن توفاه الله لرحمته سنة ١٧٤٢م.

وأمّا ما ألّفه وترجمه فنعلم منه. ترجمته من السريانية إلى اللاتينية لمجلّدين من تآليف القديس افرام السرياني وألحق بترجمته مقدّمات بديعة دالّة على طول باعه ووفرة إطّلاعه وترجم قسماً من المجلّد الثالث من التأليف المذكور ولم يكمله بل أتمّه المطران اسطفانوس عواد السمعاني الآتي ذكره وألف مقالات ناقش بها يوحنا كوكليوس دلبرون في النوافير (رتب القدّاس) الشرقية. وله مقالة مسهبة في الرد على ريناودوسيوس في كلامه على بعض النوافير المنسوبة إلى بعض ذوي البدع وانسربت بين كتب الموارنة وليس فيها شيء يخالف المعتقد الكاثوليكي. وقد ذكر له هذه المقالة المطران اسطفانوس عواد السمعاني في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية (صفحة ٨٢ كتاب ٤٣) وقال إنّ هذه المقالة لم تطبع بعد. ولبطرس مبارك أيضاً ما ذكرناه من ترجمة كتب البطريرك اسطفانوس الدويهي العربية إلى اللاتينية وقد وضع المطران اسطفانوس عواد السمعاني ترجمة بطرس مبارك ونشرها باللاتينية في المطبعة الواتيكانية ونأسف لعدم اطّلاعنا على هذه الترحمة إذ لا بدّ أنها اشتملت على ذكر ما لا نعلمه من سيرة هذا الأب العالم العامل الذي يتفاخر به اليسوعيون ويحسبونه من كبار علمائهم وعلى كتب أخرى له فاتنا العلم بها.

عد ١٠٧٣

المطران جرجس بنيمين والخوري اندراوس اسكندر

أمّا المطران جرجس فهو ابن سركيس عبيد من إهدن تخرّج بدرس اللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة وصير كاهناً ثمّ رقاه البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى أسقفية إهدن في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م ويسمى المطران جرجس بنيمين واشتهر بغيرته على خلاص النفوس بعلومه ولاسيما مواعظه حتى لقّب «الكاروز». وأنشأ بقرية زغرتا مدرسة وكنيسة وعيّن لهما دخلاً كافياً لنفقة معلمين، ثمّ سلّم المدرسة إلى الآباء اليسوعيين بناءً على أن يقيموا بها معلّمين ويمارسون أعمال الرسالة في كنيسة زغرتا كما سيجيء في الكلام على هذه المدرسة. واعتزل الأسقفية وانضوى إلى جمعية الآباء المذكورين وأقام بمدرسة طائفتنا برومة مشتغلاً بتمرين طلبتها على

عمل الرسالات والقاء المواعظ وإليك ما قاله آباء المجمع اللبناني بحقّه: «ونثني ثناءً حسناً على غيرة الأخ المحترم المطران جرجس بنيمين الاهدني الطائر السمعة علماً وعظةً بكلمة الله، وكفى به رجلاً أنّه اعتزل مقام الحبرية اتضاعاً منه وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية الجليلة، وأقام بإذن رؤسائه بمدرسة طائفتنا المارونية الرومانية حيث كان فيها طالباً، وهناك هو باذل قصارى جهده في تمرين الطلبة الذين أتقنوا معرفة الطقس وفن الترتيل واللغتين السريانية والعربية على الوعظ وأعمال الرسالة المقدّسة، وهو إذ كان مطراناً أنشأ في قرية زغرتا مدرسة وكنيسة وعيّن لهما دخلاً كافياً لمعاش معلّم، وتوطيداً لدعائم هذه المدرسة. وإتقاناً لإدارتها عهد بتدبيرها إلى الآباء اليسوعيين». ونعرف له من التآليف كتاباً بالعربية اشتمل على تفنيد كل البدع المشهورة ولا نعلم الآن متى كانت وفاته لكننا نعلم أنّه كان حيّاً في ٣٠ أيلول سنة ١٧٣١م إذ زار بيت العذراء بلوراتا وأعطى حينئذٍ تقريراً في شأن هذا البيت.

وأمّا الخوري اندراوس اسكندر فقد ولد ونشأ بجزيرة قبرص ودرس اللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة ونبغ فيها وبرع ثمّ رقي إلى درجة الكهنوت وسمّي خوري الكنيسة البطريركية، واستخدمه الأحبار الأعظمون في جمع الكتب القديمة الشرقية إلى مكتبة الواتيكان، ونرى العلّامة السمعاني ذاكراً كتباً كثيرة فيها مبيناً أنّ الخوري اندراوس اسكندر القبرصي جلبها إلى هذه المكتبة، وفاز بمرتبة صكاك أو مسجّل رسولي من الطبقة الأولى، وأقيم معلماً للغة العربية في المدرسة الكلية المعروفة في رومة بمدرسة السابيانسا أي الحكمة وأستاذ اللغات الشرقية وترجمانها لدى الكرسي الرسولي ومجمع نشر الإيمان المقدّس ونعرف من تأليفه مقالة في ترجمة القديس مارون وثبات الموارنة الدائم في الإيمان الكاثوليكي بالإيطاليانية ومقدّمات علّقها على كتاب القدّاس بموجب رتبة طائفتنا الذي طبع تحت مناظرته سنة ١٧١٧م برومة.

ومن مبرّاته وقفه كل ما أحرزه من المال على مواطنيه الموارنة سكان جزيرة قبرص بموجب وصيّته المدوّنة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٧٢ من الطبعة الحديثة وملخّصها: «إنّ الخوري اندراوس اسكندر الماروني الصكاك الرسولي من الطبقة الأولى... لما رأيت الحاجة الروحية في أبناء طائفتي المارونية سكّان جزيرة قبرص

وطني العزيز عمدت أن أعيضهم عما لم أستطع عمله بنفسي لإقامتي برومة بخدمة الكرسي الرسولي قياماً بما توجبه علي نذوري التي أبرزتها بمدرسة الموارنة برومة، فتركت مبلغ ستمائة ريال روماني بباريس تحت يد رئيس الرسالات العام لليسوعيين في هذه المدينة، وإرادتي هي أن يصرف ريع هذا المبلغ في بدل راتب سنوي لتلميذ ماروني قبرصي يتعلّم في مدرسة عينطورا تحت نظارة الآباء اليسوعيين، وإذا تعذّر وجود تلميذ ماروني قبرصي فيصرف الربع المذكور عندئذٍ لمرسل في جزيرة قبرص من تلامذة مدرسة رومة أو مدرسة عينطورا أو من إحدى الرهبانيات المارونية يقيم هناك لتعليم الأحداث ومزاولة أعمال الرسالة وإذا تعذّر هذا أيضاً فأريد أن يصرف الريع المذكور في شراء أثاث وآنية مقدّسة توزع على كنائس قبرص المارونية بمعرفة مطران الجزيرة المذكورة، وإذا بطلت مدرسة عينطورا لداعٍ ما فأريد أن يحفظ هذا الربع من رأس المال بيد الرئيس العام المذكور ويدفع الريع كل سنة إلى رئيس مدرسة الموارنة برومة ليصرفه بمعرفة وكيل السيّد البطريرك في سبيل حاجات كنائس قبرص لمعاش معلّم أو مرسل فيها أو لشراء آنية مقدّسة لها واسأل السيّد البطريرك ومطران قبرص الماروني أن يتوفرا بتنفيذ وصيّتي هذه على الأوجه المبيّنة فيها. ولما كنت قد شريت ستة محلات في رومة بمبلغ سبعمائة واثنين وستين ريال دخلها كل سنة ثمانية عشر ريالاً رومانياً فأريد أن أحفظ لنفسي هذا الدخل ما دمت حياً، ومتى مت فوكيل السيّد البطريرك يستلم الدخل وينفقه حسنة اثني عشر قداساً عن نفسي ونفس والدي في كنيسة مدرسة الموارنة برومة، منها أربعة قداسات في أعياد القديس مارون وأحد الشعانين وانتقال العذراء والقديس يوحنا الإنجيلي، والثمانية الباقية تقدّس في آحاد وأعياد على اختيار رئيس المدرسة، وما فضل عن حسنة القداسات يرسله وكيل البطريرك لمعاش تلميذ أو كاهن ماروني يقيم بقبرص لمباشرة التعليم والرسالة وإذا تعذّر ذلك فيشرى بقيمة الدخل أثاث لكنائس قبرص. وأريد أن يحفظ ذكر دائم لوثيقتي هذه فتحفظ نسخة منها بمدرسة الموارنة وأخرى عند رهبان الموارنة في دير القديسين بطرس ومرشلين، وأخرى عند وكيل السيّد البطريرك، ونسخة في خزانة البطريركية. دوّن في ١٥ آب سنة ١٧٣٤م والتوقيع الخوري اندراوس اسكندر القبرصي الماروني، وشهود هذه الوثيقة جرجس بنيمين مطران إهدن سابقاً، الأب يواصاف دبسي رئيس دير القديسين بطرس ومرشلين.

اشعيا جاماتي الدمشقي الماروني ميخائيل لويس دي لوقا الماروني من قبرص» ولم نعثر إلى الآن على ما ينبئنا في أي سنة توفي بعد تاريخ وصيته هذه.

عد ١٠٧٤

العلّامة الشهير الخوري بطرس التولاوي

ولد هذا العلّامة سنة ١٦٥٧م ونشأ بقرية تولا ببلاد البترون من بيت زيتو وربّما كان الصحيح من بيت زيتون، وقد ذكر هو نسبه في مقدّمة كتاب تأملاته فقال إنّه عبدالله بن بطرس بن اسحق التولاوي البتروني، وأرسله البطريرك جرجس البسبلي إلى مدرسة الموارنة برومة سنة ١٦٦٨م لاقتباس العلوم إذ كان عمره إحدى عشر سنة، فتخرّج بهذه المدرسة بالعلوم والفنون فنبغ وفاق أقرانه وعاد إلى لبنان حائزاً شهادة الملفنة سنة ١٦٨٢م، فرقاه فيها البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى درجة الكهنوت على مذبح كنيسة العذراء بدير قنوبين الكرسي البطريركي، ثمّ أرسله سنة ١٦٨٥م إلى حلب واعظاً ومعلماً فاشتهر فيها بعلومه وذكائه حتى كان العلماء المسلمون أنفسهم يجلونه ويتهيبونه بل يستفتونه في مسائل فقهية أيضاً، لأنّه درس الفقه الإسلامي وكان فيه من المبرزين المجتهدين. ويروون عنه عدّة فتاوى بديعة كان يعتمد في بعضها على علم الطبيعيات الذي كان بارعاً فيه، ونما عرف قداسته وتقواه فكان يقصده القاصي والداني للاستفادة بمشورته الصالحة وللاغتراف من كنز علومه، ورقاه المطران جبرائيل البلوزاوي مطران حلب وقتئذٍ إلى مقام خوري بردوط ورأسه على كهنة حلب سنة ١٦٩٨م وأقام مدرسة مسيحية لا تنحط عن مدارس حلب الإسلامية الشهيرة في ذلك العصر، وتتلمذ له كثيرون فنبغوا واشتهروا وعدُّوا من علماء النصارى المشاهير منهم العلّامة المطران جرمانوس فرحات الذي رأيت ترجمته، والمطران عبدالله قرألي مطران بيروت والمطران جبرائيل حوا مطران قبرص، والقس عبد المسيح لبنان، والقس عطاالله ونده، والشماس عبدالله زاخر، والخوري نيقولاوس الصائغ الملكيان الكاثوليكيان، ومكرديج الأرمني وغيرهم من العلماء المسيحيين الحلبيين في ذلك العصر.

وكان مع ذلك مدمناً الوعظ وارشاد النفوس مشهوراً فيهما بالفصاحة والبلاغة تغص الكنائس بالمتقاطرين لسماع وعظه من كل ملّة، ويقصده لينعم بارشاده كل من رغب في الخلاص والتقوى، وهو لا يبرح مكباً على التأليف والتصنيف. فنعرف من تأليفه بالعربية كتاب «المنطق» مشهوراً باسمه وكتاب غراماطيق للغة السريانية وكتاب «مجموع المجامع المارونية» و«مجموعة دعوى المرسلين» و«ترجمة القديس توما الكمبيسي» و«أخبار المجمع التريدنتي» و«رسالة في عبادة الوردية» وكتاب «ردّ على قضايا الروم الخمس» و«ترجمة تأمّلات توما الكمبيسي» و«تعريب أعمال المجمع التريدنتي» وكتاب «مواعظه» في مجلّدين و«كتاباً في الالهيات أو علم ما وراء الطبيعة» و«كتاباً في الطبيعيات» و«كتاباً في اللاهوت الاعتقادي» في خمسة أجزاء وكتاباً سماه «مرآة النفوس في عمل الرياضات الروحية» إلى غيرها من كتب مواعظ وتأمّلات روحية ومقالات ورسائل وفتاوى في الفقه الكنسي والعالمي. وأدركته المنية في سنة ١٧٤٥م ومضى ينال ثواب جهاده ومبرّاته حالداً في الجنان.

عد ١٠٧٥

ترجمة العلّامة يوسف سمعان السمعاني

كان من الأسرة السمعانية عدّة مشاهير في هذا العصر منهم المطران يوسف شمعون السمعاني، رقاه البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى أسقفية طرابلس في ١٤ تموز سنة ١٦٧٥م، وتوفي في ١١ كانون الأوّل سنة ١٦٩٥م، وهو عم صاحب الترجمة، وله تأليف في علم الذمّة. ومنهم البطريرك يعقوب عواد والبطريرك سمعان عواد المار ذكرهم. والذي فاق كل من تقدّمه أو اشتهر بعده من هذه الأسرة وغيرها إنّما هو العلّامة المونسنيور يوسف سمعان السمعاني رئيس أساقفة صور حلية دهره وفريد عصره، ونأخذ ترجمة هذا النابغة المنقطع النظير عن سجل حرر عند موته وحفظ في خزانة كنيسة القديس بطرس الكبرى برومة صندوق ٢٢ رزمة ٢٧، استنسخ لنا نسخة منه المرحوم الخوري يوسف السمعاني عند وجوده برومة بداعي المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٦٩م مصادقاً عليها أنّها طبق الأصل المحفوظ في الكنيسة المذكورة من الأب أنريكوس دي بليني أحد الخوارنة الموظفين بهذه

الكنيسة، ومتسلّمي خزاينها فكلامنا في ترجمة هذا العلّامة وتعداد مؤلفاته هو ترجمة هذا السجل.

ولد يوسف سمعان السمعاني السرياني الماروني في طرابلس الشام (هو من حصرون ولكن فريق من سكان هذه القرية يصرفون مدّة من السنة في حي بطرابلس يسمى حارة الحصارنة من زمان مديد) في ٢٧ تموز سنة ١٦٨٧م من أسرة حسيبة ورباه منذ حداثته تربية تقوية عمّه يوسف السمعاني مطران طرابلس، وكان رجلاً ورعاً مشهوراً بعلمه وأرسله صغيراً عمره تماني سنين إلى مدرسة الموارنة برومة فبرع بالعلوم الإلهية والبشرية براعة دلّت على ما سيكون له من رفيع المقام بين العلماء، ولمّا أتمّ دروسه واستعدّ للرجوع إلى وطنه عهد إليه البابا اكليمنضوس الحادي عشر أن يصنع فهرستاً لاتينياً للكتب الشرقية المخطوطة التي كان نسيبه الياس السمعاني رئيس كهنة الكنيسة الأنطاكية قد أرسلها عن قرب إلى المكتبة الواتيكانية وان يلخّص فحاويها، فأتمّ ما عهد إليه به الحبر الروماني بأحسن أسلوب وعلّق على الكتب المذكورة حواشي نفيسة وكثيرة موعبة بالفقاهة والفوائد جعلت البابا يراه أهلاً لأن يعين مترجماً للكتب العربية والسريانية والكلدانية التي في المكتبة الواتيكانية، وأقامه على ذلك في ١٠ آذار سنة ١٧١٠م. وفي ٤ تموز في السنة المذكورة نال رتبة الملفنة في الفلسفة واللاهوت ثمّ سمّي مستشاراً في اللجنة التي أقامها البابا المذكور لاصلاح الأسفار المقدّسة التي يستعملها الشرقيون. وفي سنة ١٧١٥م أرسله الكرسي الرسولي إلى الشرق إجابةً لطلب نسيبه يعقوب بطرس عواد بطريرك أنطاكية للتفتيش على الكتب المخطوطة الشرقية فأتى منها إلى رومة بكتب وافرة العدد من كل ناحية من سورية ومصر وكان منها مادة غزيرة لوضع مؤلفه الشهير الموسوم بالمكتبة الشرقية الاكليمنضوسية الواتيكانية.

وفي ٣٠ من شهر أيلول سنة ١٧٣٠ سماه البابا اكليمنضوس الثاني عشر حافظاً ثانياً للمكتبة الواتيكانية، ثمّ في ٣ من كانون الثاني سنة ١٧٣٩م خلف كرلوس ما يولي مطران حمص في الرئاسة على هذه المكتبة، فعكف بغيرة لا يعروها ملل على إتمام هذه الخطة إلى حين وفاته مجدياً على العلم بفوائد لا تقدّر، تدلّنا على ذلك المؤلفات الكثيرة التي ألّفها أو جعل غيره من العلماء يؤلفونها. وكان منذ ١٢ كانون الأوّل سنة ١٧١٣م قد سُمّي اكليريكياً ذا جعل في كنيسة

زعيم الرسل الكبرى برومة تمّ رقي إلى درجة الكهنوت في ٢١ تموز سنة ١٧١٩م خادماً النفوس في هذه الكنيسة إلى أن سمّي في ١٦ كانون الأوّل سنة ١٧٣٨م قانونياً في جملة الكهنة القانونيين فيها، ثمّ عيّن مستشاراً في مجمع نشر الايمان المقدّس في مشاغل الكنائس الشرقية، وفي المحاماة عن الإيمان الكاثوليكي ونشره، وسماه البابا اكليمنضوس الثاني عشر في جوقة خدّام غرفته camèriere سنة ١٧٣٢م ثمّ سماه سنة ١٧٣٥م في جوقة رؤساء غرفته Prelat Domestique مع الترخيص باستعمال التاج والعكاز، وقد أرسله البابا المذكور قاصداً إلى طائفته لاصلاح التهذيب البيعي فعقد مجمعاً بلبنان لم يسمع بمثله في الشرق منذ قرون وأتمّ ما قصده البابا على أحسن مما كان ينتظر، ثمّ سماه كرلوس الرابع ملك نابولي وصقلية وهو ملك إسبانيا أيضاً باسم كرلوس الثالث مؤرخاً لمملكة نابولي سنة ١٧٣٩م. وفي السنة التابعة نال أن يحسب من أعيان هذه المملكة كالمولودين فيها.

وكان البابا بناديكتوس الرابع عشر كثيراً ما يستشيره وأدخله في عداد المستشارين في مجمع الفحص المقدّس، فعاون هذا المجمع بكتاباته المتواترة التي كادت تكون في كل يوم وسماه البابا اكليمنضوس الثالث عشر عضواً في الديوان المعروف بديوان التوبة في ٢٤ أيلول سنة ١٧٥٩م، ثمّ سمّاه مهرداراً أي حافظ الختم في ١ شباط سنة ١٧٦١م، ثمّ رقي إلى مطرانية صور في ١ كانون الأوّل سنة ١٧٦٦م ولما كان قد بلغ من العمر إلى الحادية والثمانين صرفها في ممارسة الفضائل والجهاد واكتساب محبّة الجميع واعتبارهم رقد بالرب في ٣١ كانون الأوّل سنة ١٧٦٨م برومة متزوداً بالأسرار المقدّسة التي طلبها، ودفن في كنيسة القديس يوحنا الإنجيلي بمدرسة الموارنة ونقش على صفيحة ذكراً لهذا الرجل ملخّص ما رويناه من ترجمته».

عد ١٠٧٦
مؤلفات السمعاني

إنّ ما سنذكره في هذا الفصل أيضاً هو مترجم عن السجل الواتيكاني السابق ذكره «مؤلفات يوسف سمعان السمعاني مطران صور التي طبعت إلى الآن».

المكتبة الشرقية الاكليمنضوسية الواتيكانية وهي تشتمل على ذكر الكتب المخطوطة السريانية والعربية وتنسيقها وترجمة كل مؤلف من مؤلفيها وتراها مقسّمة في أربعة مجلّدات المجلّد الأوّل في المؤلفين السريان الكاثوليكيين طبع برومة في مطبعة نشر الإيمان سنة ١٧١٩م، المجلّد الثاني في المؤلفين السريان المونوفيزيتيين أي أصحاب الطبيعة الواحدة، المجلّد الثالث في المؤلفين السريان النساطرة، المجلّد الرابع في السريان النساطرة ومقالة في السريان أصحاب الطبيعة الواحدة.

كتاب في استعمال كهنة الروم أو غيرهم من الكهنة الشرقيين سر التثبيت، طبع برومة بمطبعة القاعة الرسولية سنة ١٧٢٥م.

التاريخ الشرقي لبطرس الراهب المصري قد ترجم هذا الكتاب أوّلاً ابراهيم الحاقلي من العربية إلى اللاتينية، ثمّ أعاد ترجمته يوسف السمعاني وألحق به أربع مقالات، طبع بالبندقية سنة ١٧٣١م.

مونولوجيون أي سنكساري الروم نشر أوّلاً باليونانية بأمر الملك باسيليوس ثمّ طبع باليونانية واللاتينية مقسوماً إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوّل يشتمل على قصص القديسين في أيلول وتشرين الأوّل وتشرين الثاني، والقسم الثاني على قصصهم في كانون الأوّل وكانون الثاني وشباط، وهذا القسم ترجمه البابا اكليمنضوس الحادي عشر قبل ارتقائه إلى الحبرية العظمى، والقسم الثالث يشتمل على قصصهم في الأشهر الستة الباقية وهذا القسم ترجمه يوسف سمعان السمعاني وأعاد النظر في ترجمة القسمين السابقين، وطبع باوربان سنة ١٧٢٧م.

مؤلفات القديس افرام السرياني اليونانية ترجمها يوسف سمعان السمعاني إلى اللاتينية في ثلاثة مجلّدات، وعلّق عليها مقدّمات وحواشي وفهرستاً لجميع مؤلفات القديس افرام المطبوعة أو المخطوطة الموجودة في المكتبات. طبعت هذه الترجمة برومة بمطبعة الواتيكان سنة ١٧٣٢ وسنة ١٧٤٧م.

مقالة له قدّمها إلى الكردينال انبيال رئيس أساقفة البانو في القديسين بونيفاشيوس وريدمتون وأوطيخوس الكاهن الشهيد طبعت برومة ١٧٤٨م.

غراماطيق أي كتاب نحو اللغة اليونانية طبع باوربان في جزئين.

تأبين لفريدريك أغوسطوس الثاني ملك بولونيا ألقاه في كنيسة القديس اكليمنضوس برومة في ٢٢ أيّار سنة ١٧٣٣م وطبع بمطبعة الواتيكان.

تأبين ألقاه في كنيسة الواتيكان الكبرى في ٢٢شباط سنة ١٧٣٠م في جناز البابا بناديكتوس الثالث عشر وطبع برومة سنى ١٧٣٢.

خطبة في انتخاب الحبر الروماني ألقاها للكرادلة الكليّيّ السموّ في كنيسة الواتيكان الكبرى وطبعت سنة ١٨٤٠م.

براءة رسولية باسم البابا أكليمنضوس الثاني عشر أثبت بها نظام تدبير المكتبة الواتيكانية والمحافظة على كتبها وكان السمعاني رئيس المكتبة المذكورة قد جمع قوانين هذا النظام وطبعت بالمطبعة الواتيكانية سنة ١٧٣٩م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م لتثبيت سمعان بطرس عواد بطريركاً على أنطاكية مع رسالة منفذة من البطريرك والأساقفة إلى امام الأحبار المشار إليه طبعت في مطبعة نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٤٤م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٤٢م لتثبيتة انتخاب بطرس ورتبت بطريركاً على أرمينيا وكيليكيا ومنحه درع الرئاسة، طبعت في مطبعة مجمع نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٤٢م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٨ آذار سنة ١٧٥٧ لتثبيت البطريرك طوبيا الخازن في بطريركية الموارنة الأنطاكية وإيلائه درع الرئاسة، طبعت بمطبعة نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٥٧م.

قوانين وفرائض الرهبان السريان الموارنة اللبنانيين أنشأها هذا العلّامة بالعربية واللاتينية وعلق في فاتحتها رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان ضمّنها الكلام على أصل رهبانية القديس أنطونيوس الكبير في سورية وجبل لبنان وانتشارها فيهما. طبعت برومة.

وله رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان المنسوبين إلى القديس أشعيا في أصل الرهبان في جبل لبنان طبعت برومة سنة ١٧٤١م.

وله رسالة إلى الرئيس والراهبات الملكيات الباسيليات في أصل الراهبات الباسيليات بسورية وجبل لبنان طبعت برومة بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٧٦٤م.

كلندريات الكنيسة كلّها يشتمل على أسماء القديسين وصورهم وأيّام أعيادهم مأخوذة عن التماثيل والصور والكتب القديمة المخطوطة طبع برومة من سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٧٥٥م في ستة مجلّدات بقطع ربع.

مجموعة المؤرخين الإيطاليين مأخوذة عن كتب مخطوطة في المكتبة الواتيكانية وغيرها من المكتبات علّق عليها مقدّمات وحواشي طبعت برومة سنة ١٧٥١ إلى سنة ١٧٥٣م في أربع مجلّدات قطع ربع، وفيها شروح وافية في تاريخ مملكتي نابولي وصقلية.

مكتبة الناموس الشرقي الكنسي والمدني في خمسة مجلّدات: المجلّد الأوّل يشتمل على مجموعة لقوانين كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٢م قطع ربع، المجلّد الثاني يشتمل على دستور الحقوق المدنية في كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٢م بالقطع المذكور، المجلدات الثالث والرابع والخامس تشتمل على حاشية على دستور الحقوق البيعية والمدنية في كنيسة الروم طبعت برومة سنة ١٧٦٣ وسنة ١٧٦٤ وسنة ١٧٦٩م بالقطع المذكور.

وله رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان الروم الملكيين الباسيليين في أصل أديار الرهبان الباسيليين وانتشارها في الكبادوك وسورية وجبل لبنان، طبعت بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٧٥٨م.

وله أيضاً ما يأتي ذكره من المؤلفات المخطوطة بعضها كان كاملاً وبعضها مبتدئاً فيه، فأبادها حريق وقع في غرفة مكتبته وفي مكتبة اسطفانوس عواد السمعاني مطران حماة في المخادع التي بجانب المكتبة الواتيكانية في ٣٠ آب سنة ١٧٦٨م.

المجلّد الخامس من المكتبة الشرقية يشتمل على التّرجمات السريانية والعربية للأسفار المقدّسة. المجلد السادس في كتب السريان البيعية. السابع في مجموعات

المجامع السريانية. الثامن في مجموعات المجامع العربية. التاسع في ترجمات كتب المؤلفين اليونان إلى السريانية والعربية. العاشر في المؤلفين العرب النصارى. الحادي عشر والثاني عشر في المؤلفين المسلمين.

تكملة مؤلفه كلندريات الكنيسة كلّها: المجلّد السابع في كلندريات اليونان والروم. المجلّد الثامن في الكلندريات القديمة عند السريان والموارنة واليعاقبة والنساطرة. التاسع في الكلندريات القديمة عند الأرمن. العاشر في الكلندريات القديمة عند المصريين والأحباش. الحادي عشر والثاني عشر في الكلندريات القديمة عند اللاتينيين.

وقد أتمّ مؤلّفه مجموعة المؤرخين الإيطاليين المطبوعة في أربعة مجلّدات بالمجلّدات الآتية: المجلّد الخامس والسادس في المؤلفين القدماء من مملكتي نابولي وصقلية. المجلّدات السابع والثامن والتاسع والعاشر تشتمل على ما بين أحوال نابولي وصقلية ويليها بيان أحوال غيرهما من نواحي إيطاليا كمملكة لمبردية وأمريات رومة وسيولاتو وتوسكانا وغيرها.

وله مؤلف آخر في صور القدّيسين وذخائرهم: المجلّد الأوّل في صور القديسين الفسيفسية (أي المنقوشة بالفسيفساء) والمصوّرة أو المنحوتة المحفوظة في الكنائس القديمة في الشرق والغرب. الثاني في صور القديسين المحفوظة في الكتب القديمة اللاتينية واليونانية والكتب الشرقية. الثالث في صور سيّدنا يسوع المسيح. الرابع في صور العذراء أم الله المكرّمة في الشرق والغرب. الخامس في الأماكن المقدّسة بفلسطين وفي ذخائر سيّدنا يسوع المسيح والعذراء القديسة. إنّ قسماً من المجلّد الأوّل من هذا التأليف أشهره يوحنا بوتاريوس في مقالة نيقولاوس اليماني في أخربة لاتران المطبوعة سنة ١٧٥٦م من صفحة ١٣٥ إلى صفحة ٢٠١، وقسم آخر كبير من هذا التأليف نجا من الحريق وهو محفوظ بيد ورثة السمعاني المؤلف.

وله أيضاً تأليف وترجمة مجمع الموارنة اللبناني الذي عقده البطريرك يوسف الخازن وأساقفة ورؤساء الموارنة سنة ١٧٣٦ بجبل لبنان برئاسة السمعاني القاصد الرسولي من قبل البابا اكليمنضوس الثاني عشر، وقد أنشأه بالعربية وترجمه إلى اللاتينية. والنسخة اللاتينية التي أثبتها البابا بناديكتوس الرابع عشر محفوظة في

خزانة أوراق مجمع نشر الإيمان المقدّس. والنسخة العربية التي عورضت بالأصل فوجدت مطابقة له نجت من الحريق وهي بيد ورثة السمعاني.

وله أيضاً أوخاليجيون الكنيسة الشرقية وهو يشتمل على الطقوس ورتبة القدّاس والفروض البيعية ورتب الأسرار والتكريسات والبركات مضافاً إليها شروح من علماء شرقيين وغربيين غير مطبوعة قبلاً. وهذا التأليف مقسوم إلى سبعة كتب: الأوّل في أوخاليجيون السريان المارونية. الثاني في أوخاليجيون الكيسة السريانية اليعقوبية. الثالث في هذه الرتب في الكنيسة السريانية النسطورية. الرابع فيها في الكنيسة الملكية. الخامس فيها في الكنيسة الأرمنية. السادس فيها في كنيسة القبط المصرية. السابع فيها في كنيسة الأحباش.

وله أيضاً مؤلف في مجامع الكنيسة الشرقية مقسوم في ستة مجلّدات وأكثرها لم يشهر قبلاً كلّه أو بعضه وهو مأخوذ عن كتب شرقية مخطوطة: المجلّد الأوّل في مجامع الكنيسة السريانية المارونية. الثاني في مجامع الكنيسة الكلدانية النسطورية. الثالث في مجامع السريان اليعاقبة. الرابع في مجامع الأقباط. الخامس في مجامع الأرمن. السادس في مجامع الروم والالبانيين والروتانيين.

وله أيضاً تسعة كتب في التاريخ الشرقي: الكتاب الأوّل في السريان الموارنة. الثاني في الروم الملكية. الثالث في الدروز والنصيرية. الرابع في المسلمين. الخامس في القبط. السادس في السريان اليعاقبة. السابع في الأحباش. الثامن في السريان النساطرة. والتاسع في الأرمن.

وله تسعة كتب في تاريخ سورية القديمة والحديثة: الكتاب الأوّل في وصف سورية بالإيجاز. الثاني في فلسطين. الثالث في فينيقيا. الرابع في سورية وسورية المجوفة وسورية الفراتية. الخامس في ما بين النهرين. السادس في أشورية أي بلاد الأشوريين وهي العراق. السابع في كيليكيا. الثامن في العربية أي بلاد العرب. التاسع في جزيرة قبرص. ثمّ إنّ الكتابين الثامن والتاسع وقسماً من الكتب نجت من الحريق وهي بيد ورثة السمعاني.

وله أيضاً مقالة لاهوتية في صحّة الرسامات التي يباشرها أساقفة مصر ومقالات أخرى وتقريرات ومباحث في مواد شتى وحل مشاكل موردة من نصارى الشرق

ومحولة إليه من مجمع نشر الإيمان المقدّس ومجمع الفحص، ولم تزل أصولها محفوظة في خزائن المجمعين المذكورين ولو جمعت لتألف منها عدّة مجلّدات ضخمة.

وله أيضاً غراماطيق سرياني مطوّل ألّفه بالعربية ووضع عليه الحركات السريانية نجا من الحريق وهو باقٍ عند الورثة، وله أيضاً كتاب منطق بالعربية نجا من الحريق وهو بيدهم أيضاً.

وله أيضاً كتاب في الالهيات أي علم ما وراء الطبيعة بالعربية وكتاب لاهوت اعتقادي بالعربية وكتاب في تفسير الآيات الغامضة في العهدين القديم والحديث. ولهذه المؤلفات عدّة نسخ باقية إلى الآن. «هذا ختام ما جاء في السجل الواتيكاني».

ومن كتابه الأخير وهو تفسير الآيات الغامضة الخ. مخطوطة في مكتبة بطريركية الموارنة ولا أعلم لماذا أغفل كاتب السجل المذكور ذكر كتب أخرى للسمعاني ولا نشك في أنّه مؤلّفها. منها فهرست الكتب الشرقية القديمة المخطوطة في المكتبة الواتيكانية الذي ألّفه بمعاونة ابن أخته اسطفانوس عواد السمعاني. ومنها كتابه في البطريركيات الأربع وبطاركتها الذي ألّفه بالعربية بمعاونة البطريرك سمعان عواد وهما يدرسان معاً برومة. ولهذا الكتاب الأخير عدّة نسخ ومنها كتاب في اللاهوت الأدبي ألّفه بالعربية موسوماً بشرح الوصايا العشر ونسخته الأصلية في مكتبة الرهبان الموارنة برومة.

وقد أشار السمعاني في بعض كتبه الباقية إلى بعض كتبه المفقودة فقال في كتابه كلندريات الكنيسة (مجلّد ١ صفحة ٣٠١): «وتركت جانباً طبع هذا الكتاب لأشتغل في تكملة بعض كتب كنت قد بدأت فيها أخصّها: «كتاب سورية القديمة والحديثة» وكتاب «تاريخ المجامع» وكتاب «رتب نصارى الشرق» الذين انقسموا منذ قرون إلى سريان وملكية وأرمن وقبط ولأشتغل أيضاً بما يتعلّق بتاريخ إيطاليا وفقهائها وسأشهر عن قرب فهرستاً دالّاً على ذلك». إلى أن قال بعد ذلك إنّه يلزمه أن يتم كتابه كلندريات الكنيسة ليتفرّغ لجمع المواد اللازمة لكتابه في صور القديسين. وقال في آخر كتابه التاريخ الشرقي: «وكان في عزمي أن ألحق بذلك تاريخ بطاركة السريان الملكية والموارنة والنساطرة وتاريخ الأرمن والجركس

والأحباش ولكن رأيت أنّ سلسلة تاريخية مدققة لا يمكن إلحاقها بتاريخ للخلفاء والسلاطين والمسلمين لكنني لتكلملة ما عزمت عليه سوف أستعين بالكتب السريانية والعربية المأتي بها حديثاً إلى المكتبة الواتيكانية. ولمّا كان طابع هذا التاريخ يلح عليّ بتكملة طبعه أجلت إلى وقت آخر تكملة هذا التاريخ الشرقي». وقد أشار إلى تآليف أخرى في المجلّد الأوّل من المكتبة الشرقية إذ قال: «والمجلّد الرابع سوف يشتمل على ذكر المؤلفين اليونان واللاتينيين وغيرهم المترجمة مؤلفاتهم إلى السريانية سواء كانوا كاثوليكيين أم من أولي البدع... وسلسلة البطاركة السريان الموارنة والملكية واليعاقبة والنساطرة مأخوذة عن الكتب المخطوطة بالمكتبة الواتيكانية». فأعجب بهذا الرجل الذي يعجز رجل وإن مغرماً، بالمطالعة عن أن يقرأ في حياته ما ألّفه هو في أوقات فراغه من باقي أعماله.

عد ١٠٧٧
اعتبار الأحبار الأعظمين للعلامة السمعاني

يدلنا على علو منزلة هذا النابغة العلّامة حقيقة عند الأحبار الأعظمين الذين كانوا في أيّامه ما أولوه إياه من المناصب الرفيعة والوظائف العالية المتقدّم ذكرها، وما أجلوه به من التقاريظ المشرفة، فنرى البابا اكليمنضوس الثاني عشر قد عنون رسالته المؤرخة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م التي أقامه بها قاصداً من لدنه لعقد المجمع اللبناني بهذا العنوان: «إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني أحد رؤساء بلاطنا ونجينا وجليسنا الملازم لنا». وقال في حقّه في براءته إلى البطريرك يوسف الخازن المؤرخة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م: «إنّنا موجهون إليك بعاطفة الحب وفقاً لطلبك منا قاصداً من قبلنا وهو الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني المومأ إليه من له في مدينتنا الشريفة هذه ذكر طنان مذ عدّة سنين لاشتهاره بالتقى والدراية والعلم والخبرة بشؤون الشرقيين خصوصاً طائفتك». وقال في رسالته إلى الأساقفة بهذا الخصوص في التاريخ المذكور: «قد تعجّلنا إنفاذ أمرنا إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني حافظ مكتبتنا الرسولية الواتيكانية وأحد رؤساء بلاطنا المشهود له بالصلاح وسداد الرأي والخبرة بشؤون الشرقيين خصوصاً

طقوس طائفتكم المعروف عندنا بغير ذلك من الصفات الجليلة والعزيز عليكم والمحبب إليكم». وترى مثل ذلك وأعظم منه في براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر في تثبيت المجمع اللبناني المطبوعة في كتاب هذا المجمع.

وقد عثرنا في كتاب المطران اسطفانوس عواد السمعاني فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية على رسالة من البابا بناديكتوس الرابع عشر إلى العلّامة السمعاني لم نكن نعرفها ولا رأينا ذكرها في أحد الكتب إلى الآن فأحببنا أن نثبت ترجمتها في كتابنا هذا إحياءً لذكرها وبياناً لما كان عند الأحبار الأعظمين من علوّ المنزلة ورفيع الشأن لهذا العلّامة المنقطع النظير. ذلك أنّه بعد عقد المجمع اللبناني وسفر السمعاني إلى رومة وسوس بعض أصحاب المآرب المنحرفة إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن وبعض الأساقفة في أن يعترضوا على هذا المجمع ويمنعوا تثبيت الكرسي الرسولي له مدّعين خاصة أنّ فصل الرهبان عن الراهبات في الأديار تحول دونه صعوبات وعقبات، وأنّ لسكنى الأساقفة كل في أبرشيته غوائل ومضارّ والأولى أن يستمروا على ما كانوا عليه من الإقامة جميعاً عند البطريرك، وأرسل المعترضون إلى رومة الخوري ميخائيل الغزيري والخوري الياس سعد البجاني تلميذي مدرسة الموارنة في رومة وأصحبوهما بعرائض الشكوى من رسوم المجمع اللبناني في ما ذكر ومن تصرّفات السمعاني في قصادته، وشاركهم في هذا الاعتراض والتشكي البطريرك كيرلس تاناس بطريرك الملكية الكاثوليكيين، فبلغ الموفدان إلى رومة وأكثرا من التشكي والطعن بالسمعاني، فجمع البابا بناديكتوس الرابع عشر كرادلة مجمع نشر الإيمان وبعد إمعان النظر في رسوم المجمع وفي اعتراضات المعترضين أثبت أعمال المجمع وكلّاً من رسومه في براءته المؤرخة في ١ أيلول سنة ١٧٤١م والمثبتة في ذيل المجمع اللبناني. ورغبة في تطييب قلب السمعاني وبياناً لأنّ المطاعن التي لفّقها خصومه تعود عليهم بالعار، وأرسل إليه الرسالة الآتية التي ترجمناها بما أمكن من الدقة:

«إلى الإبن الحبيب يوسف سمعان السمعاني معلّم بلاطنا الرسولي وأستاذ التبليغ في كلا ديوانينا ورئيس خدام غرفتنا ونجينا الملازم لنا من البابا بناديكتوس الرابع عشر.

«أيّها الابن الحبيب السلام والبركة الرسولية. إنّ ما نعتقده بكم من كرم الأخلاق والتقوى والرغبة في تقدّم الفنون والعلوم المقدّسة خاصّة ليس بحديث عندنا بل قد مضى عليه نحو من ثلاثين سنة، فقد عرفناكم بذلك مذ كنّا في المقامات الصغيرة قبل ارتقائنا إلى السدّة الرسولية والمتاعب الشاقّة التي قاسيتموها في خدمة هذا الكرسي الرسولي والخصال الحميدة التي ما فتئتم تزدادون تجمّلاً بها جعلتنا ننزلكم أرفع منزلة من التوقير عندنا، لا إذ نحن في رومة فقط بل إذ كنّا مقيمين خارجاً عنها أيضاً، ولكي نبدي انعطافنا إليكم نقول إنّ الطيّب الذكر كرلوس مايولي رئيس أساقفة حمص (رئيس المكتبة الواتيكانية قبل السمعاني) الرجل الشهير بعلومه وخدماته للكرسي الرسولي كان يخبرنا وهو حيّ عن تصرّفكم معه مدّة طويلة بالرقة واللطف مثنياً على فقاهتكم بكل فن وحكمتكم وتقاوة سيرتكم وحسن خلوصكم ولطف معاشرتكم له، وأبحاثه معكم إلى أن خلفتم كرلوس المذكور بمرتبة قانوني في كنيسة القديس بطرس الكبرى برومة وبالرئاسة على المكتبة الواتيكانية، فنرى بكم مثالاً لذلك الرجل الشهير ونحبكم كما كنا نحبّه ويضاف إلى ذلك ما تبذلونه من الجهد الذي يكاد خاصّة لا يصدّق ومن العناية التي لا توصف منذ سنين متطاولة في المشاغل الشرقية خاصّةً خدمة لمجامع إخوتنا المحترمين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدّسة في مجمع الفحص المقدّس العام ضدّ شر أولي البدع، ومجمع نشر الإيمان المقدّس، وما برحتم تثبتون بذلك ما لكم من الخبرة التامّة والحكمة الوافرة والعناية الكبرى حتى يتولانا السرور العظيم لرؤيتنا أنّكم غانمون الثاء والشكر من الجميع.

ثمّ إنّ ما شهرتموه من المجلّدات الكثيرة في المكتبة الشرقية وفي غيرها من العلوم والفنون قد أكسبكم عند القبائل القاصية أيضاً اسماً عظيماً وشهرة لا تمحوها الأيّام والدهور وقد شملنا مزيد السرور عندما علمنا ونحن في مقام الكرادلة في بونونيا أنّ سالفنا السعيد الذكر البابا اكليمنضوس الثاني عشر وقبله سالفنا الطيّب الذكر البابا اكليمنضوس الحادي عشر قد أرسلاكم إلى أصقاع الشرق لتجمعوا الكتب المخطوطة يونانية وسريانية وعربية وغيرها من اللغات، ثمّ عهد إليكم البابا اكليمنضوس الثاني عشر بالقصادة الرسولية إلى طائفتكم المارونية بطلب مجمع نشر الإيمان المقدّس

لاصلاح ما طرأ على تهذيب طائفتكم من الخلل بمجمع إقليمي يعقده هناك الإخوة المحترمون بطريرك هذه الطائفة وأساقفتها، ولمّا ارتقينا إلى هذه المنصّة الرسولية السامية وكنّا مهتمّين باثبات هذا المجمع وتأييده بالسلطان الرسولي ساءنا كثيراً ما بلغنا من أنّه أوّلاً نشأت اعتراضات ومحاورات في بعض الأمور المتضمّنة في المجمع. ثانياً أنّه انتشرت كتابات مخطوطة بل مطبوعة أيضاً لا تشتمل على إيضاح براهين تلك الاعتراضات والمحاورات أو حجج كاتبيها بل على الطعن والقذف والتنديد مقصوداً بها بجسارة الحطة بقدركم ومقامكم وشخصكم وقد أذاعوها وتداولتها الأيدي. فبعد أن بحثنا عن هذه الأمور وظهرت لنا حقيقتها جليّاً أصدرنا براءة مؤرخة في أوّل أيلول من هذه السنة أبنّا فيها كل ما يلزم بيانه في هذا الشأن وأثبتنا فيها المجمع المذكور بسلطاننا الرسولي وأيّدناه كل التأييد، ورأينا من الصواب والانصاف أن نمحو كل وصمة التحقت باسمكم من الكتابات المذكورة وأن ننزل التأديب بمؤلفيها وأن نعلن أنّها تستحق أن تحرق بالنار لا أن تنشر. ولهذا نبذنا العريضة التي قدّمها أحد الموفدين وبعض المحازبين له باسم أخوينا المحترمين يوسف بطرس بطريرك الموارنة الأنطاكي، واسم كيرلس بطريرك الروم الملكيين الأنطاكي وربّما كان اسمها مزوراً وجل ما حملنا على رذل هذه العريضة هو اشتمالها على الشكوى من أعمالكم والمقاومة لآرائكم والطعن بكم، ونجلكم بالثناء والمدائح الرسولية ونعلن أنّكم تستحقون خير الجزاء ونصرّح بأنّكم أحسنتم كل الإحسان في تصرّفكم بقصادتكم في المجمع المذكور وأحكمتم بدعوته وأتممتم كل شيء فيه بحسب رغائب الكرسي الرسولي وطبقاً لمقامه السامي، ولما يؤول إلى شرف الطائفة المارونية ونفعها.

فواظب إذاً أيّها الابن الحبيب على مساعيك المشكورة ومتاعبك المبرورة وعلى ما اعتدت عليه من الخدمات الصادقة للكرسي الرسولي لنتفاضل في استيهال المحبّة الأبوية التي نخصّك بها، ومرغوبنا أن تكون متيقّناً أنّنا نتوقّع كل فرصة ووسيلة موافقة لنبدي لك عواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تبجيلنا وشكرنا وعربوناً على ذلك نهديكم بركتنا الرسولية مكررة. دوّن برومة في جانب كنيسة مريم الكبرى ممهوراً بختم الصياد ١٤ أيلول سنة ١٧٤١م وهي السنة الثانية لحبريتنا.

عد ١٠٧٨

المطران اسطفانوس عواد السمعاني

هو إبن أخت العلّامة يوسف سمعان السمعاني تخرّج باللغات والعلوم والفنون بمدرسة الموارنة بروية وارتقى درجة الكهنوت وشهد المجمع اللبناني مع خاله سنة ١٧٣٦م، وكان رقيباً فيه ثمّ رقاه البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية على اباميا. والذي نعرفه من مؤلفاته كتاب في شرح أعمال الشهداء الغربيين والشرقيين لأوسابيوس القيصري في مجلّدين بقطع كامل وكتاب «فهرست الكتب المخطوطة الشرقية في المكتبة الماديشية في فيرانسا» وقد استشهدنا بهذا الكتاب مراتٍ كثيرة وهو كتاب بديع حقاً اشتمل على ذكر خمس مئة وسبعة وثلاثين كتاباً وعلى تراجم أكثر مؤلفيها وعلى فحوى كل منها، وقد أتحفنا بإيراد حواشٍ كثيرة معلّقة على بعض الكتب ولاسيما على كتاب الأناجيل الأربعة القديم جدّاً المخطوط سنة ٥٨٦م، وكان في الكرسي البطريركي الماروني سنين متطاولة، وعلّق عليه البطاركة وغيرهم حواشي نافعة جدّاً استدللنا بها على أمور لم يكن سبيل بغيرها إلى معرفتها، ولم نعلم كيف انتقل هذا الكتاب إلى المكتبة المذكورة. وله أيضاً كتاب «فهرست للكتب التي بمكتبة كيجى» في رومة. وله أيضاً «فهرست الكتب المخطوطة التي في المكتبة الواتيكانية» ألّفه مع خاله العلّامة السمعاني في ثلاثة مجلّدات وهو بديع أيضاً. وقد أشار إليها في مقدّمات كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية المار ذكره. وله كتاب «محاماة عن القديس يوحنا مارون» ألّفه بالإيطالية ولم يعرفه باسمه وقد ترجم بعضه أو أكثره إلى اللغة العربية وطبع في المقالات المطبوعة في كتاب المحاماة عن الموارنة. وله أيضاً ترجمة التاريخ السرياني لابن العبري إلى اللغة اللاتينية وألحق به حواشي كثيرة الإفادة وكان يشاء طبعه كما روى عن نفسه في كتاب فهرست الكتب الشرقية بالمكتبة الماديشية صفحة ١٩٧ حث قال بعد ذكر هذا الكتاب وتفصيل ما اشتمل عليه: «وقد ترجمنا إلى اللاتينية كنز الحكمة الشرقية هذا وذيلناه بحواشٍ وسوف نطبعه إن وفّق الله رغبة في تقدّم العلوم». ولا نعلم أنّه طبعه وله أيضاً تكملة ترجمة المجلّد الثالث من كتب القديس أفرام السرياني إلى اللاتينية.

ومن شاء أن يعلم علو منزلة هذا العلّامة عند علماء الغرب فليطالع الذيل الذي علّقه طابع كتاب الفهرست المذكور في آخره حيث أبان ما للمؤلف من طول الباع وسعة الإطّلاع والخبرة الكملى بتواريخ الشرق والذكاء المتوقّد والثبات الذي لا يعروه ملل في الأعمال العلمية والفقاهة الذي قلّ أن يكون له نظير فيها، والفضل الجزيل الذي كان له على العلم والعلماء. وقد ذكر له أكثر تآليفه التي أشرنا إليه وزاد على ذلك أنّه كان في عزمه أن يعود ثانيةً إلى فيرنسا ووعد بأنّه سوف يدوّن فهرساً آخر لجميع الكتب الشرقية الكائنة في باقي مكتبات هذه المدينة، وأنّه كان قد نظم الكتب الشرقية الوافرة العدد التي جمعها جبرائيل ماركيو العلّامة في مكتبته الشهيرة وأنشأ لها فهرساً وذيّله بحواشيه وملاحظاته، وأضاف إليه مقالة أبان فيها أنّ القديس مارون الوارد ذكره في كتاب القدّاس السرياني لم يكن مبتدع بدعة المشيئة الواحدة وأنّ أوّل من لفّق هذه التهمة إنّما هو سعيد بن البطريق وفند زعمه وقد توفي هذا العلّامة في سنة ١٧٨٢م.

عد ١٠٧٩

يوسف لويس السمعاني وابن أخيه القس سمعان السمعاني

أمّا يوسف لويس السمعاني فهو ابن أخي العلّامة يوسف سمعان السمعاني ولد ونشأ بقرية حصرون وتخرّج باللغات والعلوم والفنون بمدرسة الموارنة برومة إذ كان عمّه وابن عمّته المطران اسطفانوس عواد فيها، وبرع واشتهر وعيّنه البابا بناديكتوس الرابع عشر معلّماً للغات الشرقية والطقوس في الكلية الرومانية المعروفة بالسابيانسا (أي الحكمة)، وله مؤلفات كثيرة نعرف منها باللاتينية مؤلّفه المعروف بها بالكوديكس لينورجيكوس أي كتاب رتب القدّاس والطقوس الدينية في ثلاثة عشر مجلّداً بقطع الربع، وكان نادر الوجود حتى بيعت النسخة منه بثلاثة آلاف فرنك كما قال من طبعوه حديثاً، واستجلبنا نسخة منه لمكتبتنا بست وعشرين ليرا فرنسية. وله أيضاً كتاب في تاريخ بطاركة الكلدان والنساطرة وكتاب في الكنائس واحترامها وحمايتها طبع برومة سنة ١٧٦٦م، ومقالات في الاتّحاد والاشتراك الكنسي وفي قوانين التوبة القديمة وفي مجمع الأبرشية. وله أيضاً ترجمة شحيم

(أي كتاب فروض) السريان في أربعة مجلّدات وترجمة كتاب قدّاس الكلدان إلى اللاتينية. وله أيضاً شرح على كتاب يوحنا مورنيوس في الرسامات عند اللاتين وعند الشرقيين طبع برومة سنة ١٧٥٦م. ويظهر من رسالة كتبها إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن مصونة في السجلّات البطريركية إذ كان كاهناً.

وأمّا القس سمعان السمعاني فهو أبن أخي يوسف لويس المار ذكره ولد بحصرون أيضاً ودرس العلوم في مدرسة الموارنة ونبغ فيها وانضوى إلى حمعية الرهبان الحلبيين اللبنانيين الموارنة وارتقى إلى درجة الكهنوت والذي نعرفه من تآليفه كتاب «فهرست للكتب المخطوطة الشرقية الكائنة في المكتبة النانية» في بادوا وكتاب «تاريخ العرب قبل ظهور الإسلام» و«كتاب في الكرة الفلكية». كل ذلك في اللغة اللاتينية.

عد ١٠٨٠

غير هؤلاء من علماء الموارنة

الخوري ميخائيل الغزيري

من علماء الموارنة في القرن الثامن عشر الخوري ميخائيل الغزيري الطرابلسي أصله من غزير ونزح أهله إلى طرابلس وتفقه بالعلوم بمدرسة الموارنة برومة ورقي إلى درجة الكهنوت وكان في المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م نائباً عن باسيليوس مطران طرابلس ويسمى غرسيه نسبة إلى عائلته. وقد وصف في هذا المجمع بأستاد الفلسفة واللاهوت ونعرف من تآليفه كتاباً جزيل الفائدة اشتمل على «فهرست للكتب العربية في مكتبة اسكوريالي بإسبانيا» وهو مجلدان بقطع نصف نعلم أنّ منه نسختين في لبنان الواحدة كانت في مكتبة البطريركية الموارنة والثانية كانت في مكتبة الطيّب الذكر المطران نعمة الله الدحداح ونظنّها نقلت إلى مكتبة خليفته المطران بولس مسعد. وكان الخوري ميخائيل المذكور مع الخوري الياس سعد البجاني قد أرسلا إلى رومة للاعتراض على بعض رسوم المجمع اللبناني والطعن بالعلّامة السمعاني وقد رأيت من كلام البابا بناديكتوس الرابع عشر ما كان من النبذ لهذا الطعن.

اسطفانوس ورد ابن الخوري ابراهيم

المعلوم عندنا بالتقليد أنّه من قرية كفرحورا بالزاوية ورأيناه في بعض الكتب منسوباً إلى حلب وقد درس العلوم واللغات بمدرسة الموارنة برومة وارتقى إلى درجة الكهنوت وصار خورياً في صيدا، وشهد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م وكان كاتب أسرار المجمع. ونعرف له من التأليف كتاب «مواعظ» وكتاب «نزهة العباد» بالعربية ورسالة إلى أبناء ملّته نجدها مثبتة في كتاب تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية في صفحة ٨١٩ إلى صفحة ٨٥١.

الخوري أنطون القيالي

ولد ببيروت في أواسط القرن الثامن عشر ودرس العلوم بمدرسة الموارنة برومة ورقي إلى درجة الكهنوت وصار خورياً ببيروت ونعرف من تآليفه كتاباً ردّ فيه مطاعن القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي المار ذكره على الملّة المارونية وقد طبع كتابه هذا في كتاب «المحاماة عن الموارنة». ومن طالع هذا الكتاب قضى بأنّ مؤلفه كان ضليعاً بالتاريخ وغيره من العلوم.

القس عيسى الجاماتي

ولد ونشأ بدمشق وتخرّج بالعلوم بمدرسة الموارنة برومة ونعرف من تآليفه كتاباً في «نسبة الموارنة وردّ التهم الواردة عليهم» بالعربية.

القس يوحنا اليازنجي

ولد بحلب ونعرف من تآليفه كتاباً في «المحاماة عن الموارنة» والعلماء الذين ذكرناهم في هذا الفصل لم نعثر إلى الآن على ما ينبئنا بسنة مولدهم أو سنة وفاتهم أو جميع تآليفهم ونترك الآن البحث عن ذلك إلى وقت آخر أو لأحد العلماء بعدنا.

الفصل الرابع

المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن

عد ١٠٨١
المجمع اللبناني

إنّ أهم المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن وأكملها وأعظمها إنّما هو المجمع الذي عقدوه في دير السيدة بلويزة سنة ١٧٣٦م، وكان العلّامة السمعاني قاصداً فيه من قبل البابا اكليمنضوس الثاني عشر، فانّ البطريرك يوسف ضرغام الخازن وأساقفته وعليّة الاكليرس الماروني والأعيان والأتقياء لمّا رأوا أنّه قد تدرّج إلى التهذيب البيعي بعض أشياء نادرة عن وضعه وبهائه الأوّلين رفعوا إلى الحبر الأعظم البابا اكليمنضوس الثاني عشر وإلى مجمع نشر الإيمان المقدّس عرائض مؤرخة بين أواخر تموز وأوائل آب سنة ١٧٣٤م التمسوا بها بالحاح أن يبعث إليهم السيّد يوسف سمعان السمعاني ليترأس من قبل الكرسي الرسولي على مجمع يعقدونه لاصلاح التهذيب البيعي وسد ما اعتور عليه من الخلل وردّه إلى بهائه القديم فكتب السيّد البطريرك عريضة إلى امام الأحبار بهذا الصدد مؤرخة في ٢٨ تموز سنة ١٧٣٤م وكتب هو وأساقفته عريضة بهذا المعنى إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس وكذلك كتب البطريرك إلى بعض الكرادلة ورفع الرئيس العام على الرهبان اللبنانيين، ومدبروه الأربعة، عريضةً بهذا الشأن لقداسته.

فاجتمع آباء مجمع نشر الإيمان وأصدروا قراراً في ٢٤ تموز سنة ١٧٣٥م بلزوم إجابة بطريرك الموارنة وأساقفته إلى طلبهم عقد مجمع طائفي وارسال السيّد السمعاني إليهم، لذلك، وإثباتاً لهذا القرار أصدر البابا اكليمنضوس الثاني عشر براءة

رسولية مؤرخة في ٢٦ تشرين التاني سنة ١٧٣٥م إلى العلّامة السمعاني ينصبه قاصداً من قبله إلى طائفته ليعقد المجمع بحضرته، وأبرز براءة أخرى مؤرخة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م إلى السيّد البطريرك بها يجيبه إلى طلبه عقد المجمع وتوحيه السيّد السمعاني إليه لهذه الغاية وأصحبها ببراءة أخرى إلى رؤساء أساقفة الموارنة وأساقفتهم بهذا المعنى، وأرسل مجمع نشر الإيمان رسائل مؤرخة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م إلى البطريرك والأساقفة وإلى الرئيس العام على الرهبان اللبنانيين ومحمعهم بالمعنى الموماً إليه، وترى هذه البراءات والرسائل مثبتة في صدر أعمال هذا المجمع المطبوعة حديثاً.

ووصل السيّد السمعاني إلى بيروت في أواخر حزيران ونروي ما كان إلى نهاية المجمع ملخّصاً عن عريضة رفعها إلى البابا اكليمنضوس الثاني عشر بتاريخ ١٧ كانون التاني سنة ١٧٣٧م قال: «شيّعوني من بيروت إلى جبل لبنان محفوفاً بمظاهر الفرح والإجلال الخارقة العادة بصفة كوني قاصداً من قبلكم وتناولوا بواجب الإحترام المراسيم الحبرية والرسائل المنفذة إليهم من ذوي النيافة كرادلة الكنيسة الرومانية، وقُرئت باللاتينية والعربية على مسمع الجم الغغفير من الاكليرس والشعب، وأنّ العبارة لتضيق عن وصف شعائر التقى والعبادة الحارة التي اقتبلوا بها هدية بركتكم الرسولية ونودي بانعقاد محمع إقليمي لمرور ستة أسابيع أي في الخامس عشر من آب عيد انتقال العذراء في دير قنوبين، إلّا أنّه روى يتعذّر على كثيرين الحضور إلى قنوبين المجاورة لجيش والي طرابلس فأمرنا أن يكون الاجتماع في كسروان التي يتولاها مشايخ مسيحيون. وبعد انطلاقنا إلى كسروان اختلفت الآراء إذ كان بعضهم يؤثر هذا المكان وبعضهم غيره إلى أن أجمعوا جميعاً على احتيار دير لويزة. ولكن وفاءً برغبة السيّد البطريرك والمشايخ ذوي قرابته رأينا أن نعقد بعض جلسات إبتدائية وخصوصية في دير ريفون الذي اعتاد البطريرك أن يقيم فيه لأنّه لبس فيه الاسكيم الرهباني، وفيه رقي إلى الأسقفية، ثمّ إلى البطريركية. ولما كان قد نشأ بين البطريرك والأساقفة بعض مسائل تتعلّق بتوزيع الميرون وولاية وسلطة كل منهم وتعذّر البحث في هذه المسائل بدير ريفون دون قلق بسبب اضطراب هاجه بعض المشايخ أقرباء البطريرك، فرأيت مع بعض الرؤساء الأفاضل وجوب انطلاقنا من دير ريفون إلى دير لويزة مجانبةً للمنازعات ولقد تيسّر لنا ذلك

لأنّ المخالفين أنفسهم غيّروا رأيهم وبذلوا جهدهم في حمل البطريرك على أن يتدارك العثار الناتج من الخصام فاعتمد البطريرك فجأة إلى المسير إلى دير لويزة مع ذويه ليقرّر هناك الأمور التي شرع في فحصها، وأصدر البطريرك أمراً باستئناف المذاكرات في السابع والعشرين من أيلول وحكم باتّفاق الآراء بعقد المجمع لمرور ثلاثة أيّام في دير لويزة. وفي تلك المجالس التي استغرقت ثلاثة أيّام متتالية كان اشتغال الأساقفة واللاهوتيين مقصوراً على تذليل المشاكل وتوثيق عرى الإتّفاق وتأليف الخواطر. وفي آخر الأمر تمّ لنا بحوله تعالى افتتاح المجمع بما أمكن من السرعة يوم الأحد آخر أيلول سنة ١٧٣٦م، وكان فيه عدا البطريرك ورؤساء الموارنة أربعة من أساقفة الطوائف الشرقية والرئيسان العامان للرهبان اللبنانيين ورهبان مار اشعيا وعشرة من المرسلين اللاتينيين وقدرهم من خوارنة وخدمة كنائس وجمهور غفير من القسوس والرهبان وثلاثون من المشايخ الخازنيين، وإثنا عشر من الحبيشيين، وسبعة من وجهاء العوام. واستمرّ انعقاد المجمع ثلاثة أيّام وانحلّ في ثاني تشرين الأوّل والخواطر معقودة على أتم الوفاق، ولم يبقَ هناك إلّا أماني مقدّسة وآراء سديدة وأعمال مبرورة ووقّعوا جميعاً على أعمال المجمع وأخضعوا كل ما أثبتوه وأقرّوه لسلطانك لتبدله وتهذّبه وتثبته، وقد عوّلت أن أبادر بعد انحلال المجمع إلى تفقّد الكنائس والأديار لأفقه كهنة الرعايا في واجباتهم وأضع للرهبان والراهبات القوانين اللازمة، وأحضّ الأساقفة على الاجتهاد بتدبير الإكليرس والعامة بحسب رسوم المجمع المذكور وأنشأت رسالات وأقمت فيها تلاميذ مدرستنا المارونية أو رهبان دير رومة في أبرشيات صور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وقبرص، وأمرت بفتح المدارس في الأديار لأجل تهذيب الأحداث، وقد خصصت لسكنى الراهبات على حدّة أربعة أديار وهي دير مار الياس الرأس ودير مار جرجس الرومية ودير سيدة الحقلة ودير مار عبدا هرهريا، وسعيت بنقل الراهبات من دير مار الياس بلونه ودير مار أنطونيوس بقعاتا حيث كانت الراهبات مقيمات بجوار سكن الرجال إلى غيرها من اديرة النساء. وأمّا القلق الذي أثاره بعض الرؤساء والمشايخ بسبب تجديد تهذيب الأديار والكنائس والخلاف على مسائل بيعية بين الرؤساء والسيّد البطريرك وبين العامّة والإكليرس وما يلزم لذلك من العلاج كل ذلك قد بسطته بالتطويل في رسائلي إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس». فهذا ما لخّصناه من عريضة السمعاني

لقداسته البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٧ رغبة في ما حوته من الفوائد.

وقد أثبت البابا باديكتوس الرابع عشر قوانين المجمع اللبناني وأحكامه برمّتها ببراءته المؤرّخة في ١ أيلول سنة ١٧٤١ وترى هذه البراءة متبتة في آخر ذيله المعلّق على النسخة المطبوعة حديثاً سنة ١٩٠٠م والمجمع المذكور مقسوم إلى أربعة أقسام: الأوّل في الإيمان الكاثوليكي وفيه خمسة أبواب. الثاني في الأسرار وفيه أربعة عشر باباً. الثالث في الخدّام والقسوس والرؤساء وفيه ستة أبواب. الرابع في الكنائس والمدارس والأديار والترتيبات المجمعية وفيه سبعة أبواب وهو الدستور العام للملّة المارونية وإليه المرجع في أمورها الروحية والبيعية.

عد ١٠٨٢

مجمع بقعاتا

عقد رؤساء الموارنة عدّة مجامع أخرى في هذا القرن لم يكن لها أهمية المجمع اللبناني ولا أبهته ولم يكن فيها ممثل للكرسي الرسولي ولم يشهدها المرسلون وأساقفة غيرهم من الطوائف كالمجمع اللبناني، وأوّل هذه المجامع مجمع بقعاتا عقده البطريرك طوبيا الخازن في ٢٥ آب سنة ١٧٥٦م في دير القديس أنطونيوس في بقعاتا من كسروان، وكان الغرض من عقده بذل العناية للعمل برسوم المجمع اللبناني وكان المجتمعون فيه عدا البطريرك فيلبوس مطران قبرص واسطفانوس مطران بعلبك وجبرائيل مطران الرها وأنطونيوس مطران جبيل ويوسف اسطفان مطران بيروت. وقد فرضوا فيه تسعة عشر رسماً أكثرها مما كان قد رسم في المجمع اللبناني وحتّموا بوضعه في العمل ووزعوا الأبرشيات على المطارين عملاً برسم هذا المجمع.

عد ١٠٨٣

مجمع غوسطا

عقد هذا المجمع البطريرك يوسف اسطفان في ١٦ أيلول سنة ١٧٦٨م بحضرة الأب لويس رئيس رهبان القديس فرنسيس وكان جلّ الغرض من عقده إصلاح

بعض العادات في الطائفة والتشدّد في حفظ رسوم المجمع اللبناني وكان حسئذٍ إختلاف بين البطريرك المذكور وعمّه المطران يوحنا اسطفان على دير عين ورقة فكتب آباء المجمع إلى المطران يوحنا يدعونه إليه وأرسلوا إليه المطران يواصاف الدبسي مطران صور والمطران ميخائيل الخازن فحضر، وبعد سماع ما أورده من الحجج لجهة دير عين ورقة وأسقفية بيروت حكموا أنّه بعد تنزّله عن أبرشية بيروت وعن رئاسة دير عين ورقة لابن أخيه البطريرك لم يبقَ له حق بالعود إليهما، لكنهم سألوا البطريرك أن يبيحه الإقامة في دير عين ورقة مدّة حياته ولا يحق له أن يبيع شيئاً من أملاك هذا الدير إلّا بإذن السيّد البطريرك. وكان خلاف في الطائفة بداعي خدامة بعض الرهبان في الرعايا فحكموا أن لا يستخدم الرهبان في الرعايا إلّا لضرورة، وفرضوا بعض قوانين تتعلّق بالرهبان وأديارهم على ما في المجمع اللبناني إلى غير ذلك في مجلسين ١٦ و ١٧ أيلول سنة ١٧٦٨م.

وفي ١٨ أيلول عقد المجلس الثالث وبلغ البطريرك والأساقفة خبر وفاة المطران جرمانوس صقر الحلبي بدير بكركي فحزنوا عليه، ومما حكموا به في هذا المجلس لا يرقى أحد إلى الكهنوت إلّا بعد الفحص عن علمه وسيرته، وحتّموا على أبناء الطائفة أن لا يزوّجوا بناتهم لغير أبناء ملّتهم ولو كانوا كاثوليكيين إلّا برخصة من مطرانهم ولداعٍ لازم (نظنّ هذا أصل العادة الجارية إلى الآن بين الموارنة والملكية الكاثوليكيين وهي أنّ الآنسة المطلوبة للزواج لشخص من إحدى الملّتين يلزم رخصة مطرانها)، وجدّدوا إطلاق التأديب على من يلتجئون إلى الحكام العالميين بما يمسّ الحرية الكنسية. وفي المجلس الرابع الذي عقد في ٢٠ أيلول أقروا أن لا تعطى الوظائف البيعية بسبيل الارث وحتّموا بأن ترعى جميع رسوم المجمع اللبناني بكل تدقيق، واتّفقوا على رفع عريضة إلى الحبر الروماني ليأمر بطبع هذا المجمع، وأن لا يختلط كهنة الموارنة بكهنة غير الكاثوليكيين في الجنازات وغيرها. وفي المجلس الخامس الذي عقد في ٢١ أيلول جرى البحث في العشور وأجمعوا على أنّ كل أسقف يجبي العشور في أبرشيته بموجب دفتر ثمّ يدفعه إلى السيّد البطريرك.

وادّعى في المجلس المذكور المطران روفائيل الحاقلاني بالولاية على أبرشية

طرابلس لأنّ البطريرك طوبيا الخازن رقاه إلى كرسيها، فأحاب على ذلك الخوري جرجس يمين بالوكالة عن المطران يواكيم يمين أنّ البطريرك طوبيا الخازن لما وزّع الأبرشيات في مجمع نقعاتا سلّمه أبرشية طرابلس فحكم المجمع أنّ الحق للمطران يواكيم بالولاية على هذه الأبرشية. وفي هذا المجلس أيضاً أثبت البطريرك قسمة الأبرشيات بموجب براءة البابا باديكتوس الرابع عشر وارشاد المجمع المقدّس فكان في أبرشية صور وصيدا المختصّة بالبطريرك المطران ارميا نجيم أسقف الناصرة وفي بيروت المطران أثناسيوس الشنيعي ولكن ولي على المدينة المطران ميخائيل فاضل وبعد وفاته تعود إلى مطران أبرشية بيروت، وفي أبرشية قبرص المطران الياس الجميل وفي دمشق المطران ارسانيوس عبد الأحد، ولكن ولي على عجلتون المطران ميخائيل الخازن ما دام حياً ويتبعه دير الرومية، وبعد وفاته يرجع ذلك إلى مطران دمشق، وولي على بسكنتا المطران يواصاف الدسي ويتبعها عين القبو وقعفرين وزبوغا ما دام حياً وبعد موته ترد إلى أبرشية دمشق، وولي على بعلبك المطران جبرائيل مبارك وعلى بلاد جبيل والبترون المطران أنطون محاسب، وعلى طرابلس المطران يواكيم يمين وتتبعها جبة بشري ما دام حياً وبعد موته ترد إلى مطران جبيل والبترون، وولي على حلب المطران ارسانيوس شكري، والدين وقّعوا على هذا المجمع البطريرك يوسف اسطفان وميخائيل مطران بابل ويواصاف مطران عكا وميخائيل فاضل مطران صور وجبرائيل مبارك مطران بعلبك وارميا مطران الناصرة وارسانيوس شكري مطران حلب وميخائيل الخازن مطران قيسارية وارسانيوس عبد الأحد مطران دمشق والياس الجميل مطران قبرص والخوري جرجس يمين بالوكالة عن المطران يواكيم يمين ورئيس الفرنسيسيين وغيرهم من الافرنج.

عد ١٠٨٤

مجمع ميفوق

عقد هذا المجمع بأثر توقيف البطريرك يوسف اسطفان وما كان من القلق في الطائفة بسبب الراهبة حنّة عجيمي المعروفة بهندية فأمر البابا بيوس السادس بعقده وناب فيه عنه قاصده الأب بطرس موريثا وكان من شهده من المطارين المطران

ميخائيل الخازن الذي أقيم نائباً عن البطريرك في مدّة إيقافه، ويواكيم يمين مطران طرابلس، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وجبرائيل مبارك مطران بعلبك، وروفائيل الحاقلاني مطران دمشق، وأنطون محاسب مطران جبيل برئاسة الأب موريثا القاصد الرسولي. وافتتح هذا المجمع في ٢٠ تموز سنة ١٧٨٠م بدير السيدة في ميفوق.

وعقد المجلس الأوّل في ٢١ تموز سنة ١٧٨٠م وتعيّن فيه أصحاب الوظائف، وعقد المجلس الثاني في ٢٣ تموز وافتتحه القاصد الرسولي بخطبة نفيسة ثمّ تليت الأوامر الرسولية وأجوبة البطريرك يوسف اسطفان التي كان قد رفعها إلى مجمع نشر الإيمان وصرّح آباء المجمع بقبول قصادة القاصد الرسولي وجاهروا بالطاعة والامتثال للأوامر الرسولية فرداً فرداً وهي الأوامر التي مرّ ذكرها أيضاً في ترجمة البطريرك يوسف أسطفان، وأوّلها إبطال ما كان البطريرك قد حلله من تناول المآكل المزفرة يوم الجمعة عيد قلب يسوع. والأمر الثاني أن ليس للبطريرك أن يمنح غفراناً كاملاً إلّا بإذن صريح من الحبر الروماني. الثالث أنّ الأساقفة لا يلتزمون أن يأخذوا منشوراً من السيّد البطريرك لزيارة رعاياهم. والرابع تثبيت المبلغ الذي تقرّر أن يدفعه كل من المطارين كل سنة إلى البطريرك بدل العشور وقدره ألفان وخمسمائة غرش موزّعة على الأبرشيات كما مرّ في ترجمة البطريرك يوسف اسطفان، وتقرّر أنّ للبطريرك أن يعطي مناشير لجبايتها مرّة واحدة لكل من الأساقفة إشارة إلى تعلّقهم به وخضوعهم له، ثمّ بعد مراجعة البطريرك بهذا الخصوص تقرّر أنّ كل أسقف يطلب كل سنة من البطريرك منشوراً لجباية العشور. ثمّ قرّروا في هذا المجلس أيضاً أن تبقى كراسي الأبرشيات ثمانية كما رسم في المجمع اللبناني ويحق للسيّد البطريرك أن يرقي كهنة إلى الأسقفية شرفاً وعيّنوا حدود الأبرشيات كما ذكرها البابا بناديكتوس الرابع عشر في براءته لتقسيم الأبرشيات.

وعقد المجلس الثالث في ٢٤ تموز وقرروا فيه وجوب الامتثال لباقي الأوامر الرسولية المذكورة أعني الأمر الخامس لا يحق للبطريرك أن يكفّ الأساقفة عن التصرّف برعاياهم دون مشورة مجمع الأساقفة. السادس يسمح للرهبان أن يخدموا الرعايا لدى الحاجة إليهم. السابع لا يحقّ للبطريرك أن يقبل الكهنة

والرهبان الذين يعصون أمر رؤسائهم ويلتجئون إليه إلّا بموجب ما رسم المجمع اللبناني في قسم ٤ باب ٢ عد ٩. والثامن لا يحق للبطريرك أن يسمح بأن يقام في كنائسنا مدبح يقدّس عليه كهنة غير كاثوليكيين أو يعيّن موضع يدفنون فيه موتاهم في مقابر طائفتنا. التاسع لا يجوز لكهنة طائفتنا أن يتصرّفوا بحقوق كهنة الملكيين الكاثوليكيين أو أن يحلّلوا موانع الزواج لهم ومثل ذلك لا يجوز للأساقفة الملكيين ولا لغيرهم أن يتدخّلوا في قضاء اللوازم الروحية لأبناء ملّتنا. وأمّا في الاعتراف فيحق لكهنة طائفتنا المصرفين بسر التوبة أن يعرّفوا ويحلّوا كل من طلب أن يعترف عندهم بمقتضى الإذن القديم الممنوح لكهنة الموارنة. العاشر يلزم أن يعين كل من الأساقفة فاحصاً للكهنة ويقيمه في أبرشيته بموجب رسم المجمع اللبناني. الحادي عشر لا يسوغ للبطريرك أن يقبل هدايا لتوزيع الزيوت المقدّسة. الثاني عشر قد تفاوض آباء المجمع في محل إقامة البطريرك وأجمع رأيهم أن يكون هذا المحل دير بكركي بصفة دير تابع لدير قنوبين الكرسي البطريركي. الثالث عشر قرّروا أنّه يلزم البطريرك أن يعقد مجمعاً مع أساقفته كل ثلاث سنين مرّة. الرابع عشر حتّموا أن ينهي البطريرك عن أن يدوّن في مناشيره للذكر المؤبّد أو يكتب في سنة كذا من حبريتنا تشبهاً بالحبر الروماني. الخامس عشر ارتأوا أن يتّفق البطريرك والمطارين على اداء العشور والتحاليل. السادس عشر بحثوا في ما إذا كان يحق للبطريرك أن يرقي إلى درجة الكهنوت من رعايا الأساقفة بغير علمهم وأن يحلّهم من التأديبات أو ينزلها بهم دون علم رؤسائهم، وكان الكرادلة قد أجلوا الجواب على هذا المشكل إلى أن يرد من القاصد الرسولي إفادات ينجلي الأمر فيها. السابع عشر كان من الأسئلة المرفوعة للكرسي الرسولي هل يحق للبطريرك أن يطلب دراهم إسعافاً لكرسيه من خوارنة الرعايا والأديار فارتأى الكرادلة أنّ الكهنة المرتقين حديثاً والأديار المحدثة يلتزمون أن يعطوا ما يعطيه الكهنة القدماء والأديار السابقة البناء وأنّه يلزم تقرير مبلغ معيّن. الثامن عشر هل يجوز للبطريرك أن يؤدب الكهنة المزلين بعقوبات ثقيلة كالحبس والضرب فأجاب الكرادلة أنّه يلزم القاصد الرسولي أن يعلمهم بتفاصيل الواقع، وأن ينصح البطريرك أن يسلك مع الكهنة ولاسيما الأساقفة بأكثر دعة وأن يتحاشى القسوة، وقرّر آباء هذا المجمع أن يسألوا البطريرك والأساقفة أن لا يعاملوا الكهنة المزلين بالضرب

والوثاقات والغرامات، وإذا لم يرتدعوا عن زلّاتهم أطلقوا عليهم التأديبات البيعية. التاسع عشر لما كان البطريرك أكثر عدد الأساقفة والرعايا خلافاً لرسم المجمع اللبناني أجاب الكرادلة بأنّه يلزم القاصد الرسولي أن يصرّح للبطريرك نيابة عن مجمع نشر الإيمان المقدّس أن يقتصر على ما رسم في المجمع اللبناني. العشرون لما كان البطريرك قد وضع كتاباً للقداس غير المستعمل قبلاً وفرض ثلاثة أيّام صوم قبل عيد قلب يسوع وأباح في هذا العيد أكل اللحم والأطعمة المزفرة ارتأى الكرادلة بأن يرعى في ذلك رسم المجمع اللبناني بالدقّة. وأبطل آباء المجمع ما أحدثه البطريرك يوسف اسطفان وأبطلوا أيضاً عيد قلب يسوع لأنّه فرضه دون مشورتهم وبغير استئذان الكرسي الرسولي، وأمروا أن يعيد لذكر الحبل بلا دنس بسيّدتنا مريم العذراء في جميع الطائفة. الحادي والعشرون قد أمر أيضاً أن يزال المذبح الذي أقيم فوق قبر المطران جرمانوس صقر على الأقل أن يرفع القنديل المعلّق عليه فرفعه النائب البطريركي وأزال المذبح. فهذه هي أوامر المجمع المقدّس التي ضمّنها في رسالته المؤرخة في ١٥ آب سنة ١٧٧٤م، وقد قبل الأساقفة جميعهم بالطاعة والامتثال، وكان المجمع المقدّس قد أرسل إليهم براءتين من البابا بيوس السادس مؤرختين في ١٧ تموز سنة ١٧٧٩م، تشتمل الأولى منهما على نبذ انخداع الراهبة هندية وكذب أوحيتها وبطلان وهمها باتحاد المسيح بها وتحريم كتبها وتعاليمها والتأديب لها ولنائبتها كاترينا، فقبل الأساقفة بالاحترام هذه الأوامر ونفّذها النائب البطريركي بموجب مطوقها. والبراءة الثانية فحواها إلغاء رهبانية هندية وإخراج الراهبات من الأديار الأربعة التابعة لقانونها وهي دير بكركي ودير سيدة البزاز ودير مار جرجس علما ودير مار يوسف الحصن، فقرّر الأساقفة ذلك وأتمّه النائب البطريركي كما مرّ وعيّنوا دير بكركي لسكنى البطريرك، وأشهروا أمر قداسته بالسكوت المطلق عن غوايات هندية وأعمالها وأبطلوا أخوية قلب يسوع التي كانت هندية قد أنشأتها، وقبلوا المرسوم الثالث المتضمّن طلب البطريرك يوسف اسطفان ليشخص إلى رومة ليجاوب عن بعض أعماله تحت طائلة الحرم إن أبى الحضور، ومنعه عن كل تولٍّ بطريركي وأسقفي وابقاء القسوسية الخ. واختار الأساقفة المطران ميخائيل الخازن ليكون نائباً بطريركياً ما دام البطريرك ممنوعاً وقبلوا وارتضوا بما رسم على المطران جرمانوس دياب من الأمر بتأديبه وتكذيب نفسه في

كل ما كتبه وصنعه مساعدة لهندية، ونفد النائب البطريركي كل ما ذكر. إلّا أنّ الأساقفة رفعوا عريضةً إلى الكرسي الرسولي يسألون بها أن يوفدوا أسقفاً أو أسقفين إلى أديار مار جرجس علما وسيدة البزاز ومار يوسف الحصن ليفحصوا عن حال هذه الأديار ويعرضوا أمرها إلى النائب البطريركي، ومن لا يريد من رهبانها القسوس أن ينتقلوا إلى دير آخر لزمهم أن يخلعوا الاسكيم ويلبسوا زي الكهنة العالميين، وإن كانوا شمامسة لزمهم أن يلبسوا الشالات ويستقيموا في أديارهم بالتقوى والورع. وأمّا الراهبات اللواتي لا يردن الخروج من أديارهنّ إلى أديار أخرى قانونية فيمكن إبقاؤهنّ في أماكنهنّ على شريطة أن يخلعن أثواب رهبانية هندية ويلبسن كالعابدات، والرئيسات اللائي كنّ في هذه الأديار يعزلن ويقام غيرهنّ ويتحدد انتخابهنّ كل ثلاث سنين، ويمنع قبول بنات أو نساء مرشّحات للرهبانية في هذه الأديار. وأمّا الراهبات اللواتي كنّ ببكركي ومضين إلى أهلهنّ بحلب أو لبنان فحكم آباء المجمع أن يعطين من مداخيل الدير ما يعشن به مما يفضل عن النفقة اللازمة للدير، وبعد موتهنّ يرجع كل ما لهنّ إلى الدير. وقد أكثر الآباء التفتيش على كتب هندية فلم يجدوا شيئاً منها فقرّروا أن ترسل مناشير حرم في كل الطائفة حتى من كان عنده شيء منها يقدّمه إلى النائب البطريركي ومن كان له علم بها يعرض الأمر له. وفي المجلس الخامس والأخير أقرّ الآباء بعض قوانين أكثرها من متضمّنات المجمع اللبناني.

عد ١٠٨٥

مجمع عين شقيق

لما كان البطريرك يوسف اسطفان قد رجع إلى البطريركية عقد هذا المجمع في ١٦ أيلول سنة ١٧٨٧م في كنيسة السيدة بعين شقيق من كسروان بموجب أمر البابا بيوس السادس، وكان في المجمع الأساقفة والرؤساء العامون للرهبانيات الثلاث والشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري مأموراً من الكرسي الرسولي أن يكون مساعداً ومؤيداً لاجتماع المجمع وتنفيذ الأوامر الرسولية. وقد شهده أيضاً المشايخ الخوازنة والحبيشية وبيت الخوري صالح وبيت الظاهر وبيت الدحداح ومشايخ

العاقورة ومشايخ جبّة بشري وغيرهم من أعيان الملّة، فقدّم المشايخ المذكورون عريضة إلى المجمع وجّهوها إلى الشيخ غندور الخوري ترى صورتها مثبتة في كتاب «سلسلة بطاركة الموارنة» للمعلّم رشيد الشرتوني صفحة ٦٤ التمسوا بها أن يكون مقام الأساقفة في الكرسي البطريركي مع السيّد البطريرك موردين لذلك حججاً كثيرة. وسأل الشيخ البطريرك والأساقفة أن يتقبّلوا هذا الالتماس فتلوه في المجلس الأوّل وأجّلوا الجواب عليه إلى المجلس الثاني، وسأل البطريرك الأساقفة ما يرون بهذا الشأن فحسن عندهم قبول الالتماس على شرط أن يدوّن المشايخ صكّاً يتعهّدون به بأنّهم لا يتعرّضون للأساقفة ولا يتدخّلون بترقيتهم ولا بتدبير الأمور الروحية، فتعهّد المشايخ بعدم التعرّض كما طلب منهم فقبل البطريرك والأساقفة التماسهم في المجلس الثاني وقدم المشايخ في المجلس الثالث الشكر لهم وتعهّدوا بأن تجرى الانتخابات من ذلك الحين فصاعداً طبقاً لرسم المجمع اللبناني.

وطلب أهل جبّة بشري أن يكون لهم مطران يسوسهم وحدهم منفصلاً عن مطران جبيل والبترون فحكم في المجلس الرابع بعدم التمكّن من إجابة طلبهم لمخالفته نصّ المجمع اللبناني. وفي المجلس الخامس ادّعى رهبان مار اشعيا أنّ دير بكركي يخصّهم فردّ آباء المجمع دعواهم لأنّه ثبت لهم بعد الفحص أنّ الرهبان المذكورين باعوا الدير المذكور وقبضوا ثمنه. وفي المجلس السادس عرض القس روفائيل مسابكي اللبناني للمجمع الالتماس أن ينظر بأمر المعاش لراهبات دير بكركي الحلبيات فتقرّر أن تعطى كل راهبة عشرين قرشاً في السنة. وفي المجلس السابع تلي تعهّد المشايخ بأنّهم لا يعارضون البطريرك ولا الأساقفة في أمور الانتخابات وغيرها فقبل المجمع هذا التعهّد. وفي المجلس الثامن تقرّر أن تكون هندية في دير مار الياس غزير (ثمّ نقلت لدير الحقلة كما مرّ) وكاترينا في دير مار الياس بلوني، ورسموا أيضاً أن تكون الأديار التي كانت لراهبات هندية خاضعة لمطارين الأبرشيات التي هي فيها. وفي المجلس التاسع أقرّوا إصدار نشرتين: الأولى تتضمّن بعض رسوم في تهذيب الرهبان والراهبات القانونيين. والثانية في تهذيب خوارنة الرعايا والشعب. وفي المجلسين العاشر والحادي عشر قرّروا بعض أمور أخرى لإصلاح شؤون الطائفة وأن يلتمسوا من الكرسي الرسولي تفويض السيّد البطريرك بمنح الغفرانات الكاملة.

والذين وقعوا على هذا المجمع هم البطريرك يوسف اسطفان، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وجبرائيل مبارك مطران بعلبك، وجرمانوس دياب مطران حمص، وبولس اسطفان مطران قورش، والمطران يوسف نجيم، ويوحنا الحلو مطران عكا، ويوسف التيان مطران دمشق. على أنّ قرار هذا المجمع بأن يسكن المطارين مع البطريرك لم يقبله المجمع المقدّس لمخالفته لرسم المجمع اللبناني ولم يثبت أيضاً هذا المجمع المعروف بمجمع وطا الجوز حيث كنيسة سيدة عين شقيق.

عد ١٠٨٦
مجمع بكركي الأوّل

التأم هذا المجمع بأمر البابا بيوس السادس أيضاً بدير بكركي سنة ١٧٩٠م وكان قاصد البابا فيه المطران جرمانوس آدم الملكي الكاثوليكي والداعي لعقده العناية بتهذيب الاكليرس وإتمام الأساقفة وغيرهم فروضهم كما رسمها المجمع اللبناني، والفحص عن بعض أحكام كان بعض الأساقفة قد أبرزها، وعن بعض دعاوى موردة على بعضهم وإبطال مجمع عين شقيق وخاصّة فصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

قد عقد المجلس الأوّل من هذا المجمع في اليوم الثالث من كانون الأوّل سنة ١٧٩٠م بحضرة البطريرك يوسف اسطفان والمطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي، وتليت في هذا المجلس براءة البابا الآمرة بعقد المجمع وأوامر المجمع المقدّس وصار الامتثال لها بإجماع الآراء، وصرّح الآباء بقبول رسم المجمع اللبناني في شأن قسمة الأبرشيات كما أثبتها البابا بناديكتوس الرابع عشر، وقرروا أن يكون حقوق انتخاب الأساقفة للسيّد البطريرك والأساقفة لا للحكام العالميين، ويحق لكل أهل أبرشية أن يقدّموا مرشَّحين أو ثلاثة للسيّد البطريرك أو يظهروا رضاهم بمن ينتخبه. وبحث في المجلس الثاني في تعيين مقر ثابت لإقامة البطريرك وأرجئ القرار إلى مجلس آخر لاستيفاء المداولات بذلك. وفي المجلس الثالث نظر في دعوى المشايخ بيت أبي نصيف الخازن على أن ينتخبوا مطران طرابلس، وفي ما اتّهم به المطران جرجس بنيمين أنّه ترقي إلى الأسقفية بالسيمونية أي الرشوة فحكم ببراءته من هذه التهمة

وبأنّ انتخابه كان مطابقاً للقوانين. ولما لم يحضر المشايخ المذكورون لتقديم دعواهم فأرجئ الحكم بها إلى المجلس التالي. وفي المجلس الرابع أبرز هؤلاء المشائخ صكّاً من البطريرك يعقوب عواد يخوّلهم الحق أن ينتخبوا مطران عرقا ثمّ صكّاً آخر من البطريرك يوسف اسطفان فحواه أنّ هذا الحق يبقى إذا أبطل مجمع عين شقيق الذي قضى بإقامة المطارين عند البطريرك. وحيث أنّ هذا المجمع أبطل فعاد حقّهم إليهم فأجابهم القاصد أنّ صكّ البطريرك يعقوب لا يفيدهم لأنّه كان قبل المجمع اللبناني ومثله صك البطريرك يوسف اسطفان لأنّه وإن أبطل مجمع عين شقيق فالمجمع اللبناني لم يبطل وهو ألغى مثل هذه الحقوق فحكم الآباء بسقوط دعوى المشايخ وثبوت المطران جرجس بنيمين على أبرشية طرابلس.

وفي المجلس الخامس بحث في أنطوش دير القمر إذ كان الرهبان الحلبيون قد ادّعوا بأنّه ملكهم فقرّر السيّد البطريرك أنّه سلّم هذا الأنطوش إلى الرهبان المذكورين وقرّر أهل دير القمر أنّهم لا يتعرّضون للرهبان بملكهم بل يطلبون أن يتقيّد الرهبان بخدمتهم الروحية فحكم المجمع كذلك. وفي المجلس السادس حكم بأن يقيم كل أسقف بأبرشيته، وأنّ لكل أسقف أن يتصرّف بماله الخاص به من ملك ثابت أو منتقل، وأمّا ما يخلفه الأساقفة نواب البطريرك في مدّة نيابتهم فيخصّ الكرسي البطريركي وحكم أيضاً بأنّ تلامذة المدرسة الرومانية يكونون خاضعين لمطران أبرشيتهم كباقي خوارنة الرعايا وأنّ كلاًّ من الأساقفة يهتم بتعيين كاهن أهل لفحص المرشّحين إلى الدرجات المقدّسة.

وفي المجلس السابع بحث في سكنى الرهبان والراهبات معاً فتلي أمر الكرسي الرسولي المؤرّخ في ١٢ حزيران سنة ١٧٩٠م وسأل القاصد آباء المجمع أن يبيّنوا رأيهم بذلك، فأجاب السيّد البطريرك والأساقفة أنّهم يرون هذا لازماً وأنّه يجب منع كل اشتراك بين الرهبان والراهبات إلّا في الأمور الروحية. وتليت رسالة من السيّد يوسف سمعان السمعاني للبطريرك بهذا المعنى فحتّموا بأن يهتم كل من الأساقفة بالعمل بموجبها. ثمّ بحث في أمر راهبات عينطورا التابعات قانون القديس فرنسيس سالاسيوس وثبت لدى آباء المجمع أنّهنّ ملتزمات بحفظ الطقس الماروني وخاضعات للسيّد البطريرك، ثمّ بحث في شأن مدرسة عينطورا ونظر في الصك الذي دوّنه

رئيس الرهبان اليسوعيين العام للبطريرك فظهر من ذلك أنّه يحق للسيّد البطريرك أن يطلب مداخيل هذه المدرسة ويهتمّ بتنفيذ إرادة الواقفين.

وفي المجلس الثامن دوّنت بطلب القاصد الرسولي الرسوم الآتي ذكرها لتكون بمنزلة شريعة لا يحلّها أحد في ما بعد. الأوّل إنّ تفسيح السيّد البطريرك من شريعة الإنقطاع عن المآكل المزفرة يوم الجمعة عيد قلب يسوع يكون باطلاً ويلزم الانقطاع. الثاني: أنّ السيّد البطريرك لا يسوغ له أن يمنح غفراناً كاملاً إلّا بتفويض الكرسي الرسولي. الثالث أنّ الأسقف لا يفتقر عند زيارة أبرشيته إلى منشور من السيّد البطريرك ويلزمه أخذ هذا المنشور عند جباية العشور. الرابع إنّه لمّا كان السيّد البطريرك قد ادّعى بأنّ مبلغ العشور الذي تقرر له كان تقريره لست سنين وقد انقضت فيحق له أن يضع ترتيباً حديثاً لذلك، أجابه القاصد أنّ هذا يستلزم مراجعة المجمع المقدّس، ثمّ ادّعى البطريرك أنّه يحق له أن يزور بنفسه أو بوكيله كلّاً من الأبرشيات كل ثلاث سنين مرّة فأجابه القاصد أنّ زيارة الأبرشيات تحق له كما قال، وأمّا أخذه العشور فلا يحق له أن يحدث به شيئاً بعد أن عيّن الكرسي الرسولي المبلغ السنوي الذي يجب أداؤه. الخامس أنّه لمّا كان قد تقرّر قبلاً أنّ ليس للسيّد البطريرك أن يعزل أحداً من الأساقفة عن أبرشيته قرّر السيّد البطريرك أنّه محافظ على هذا الرسم وعلى أنّه لا ينكر على الرهبان جمع الحسنات، ولا يأذن لأحد منهم أن يذهب إلى مكانٍ ضدّ خاطر رؤسائه، فقبل المجمع تقرير البطريرك وجعله من رسومه.

وفي المجلس التاسع أضافوا رسوماً أخرى منها. أوّلاً أنّ كل منتدب إلى الدرجة الأسقفية يلزمه أن يدفع ستين قرشاً فقط تعويضاً عن ربع المدخول المعيّن على سبيل الإحسان للكرسي البطريركي وخدّام البطريرك. ثانياً أنه يحق للسيّد البطريرك أن يجمع العشور من أبرشية فرغ كرسيها إلى أن يقام أسقف لها. ثالثاً أن لا يؤخذ شيء قطعاً من المتقدّمين إلى الدرجات المقدّسة. رابعاً أنّ كل من ترقّى إلى الدرجات المقدّسة من العالميين والقانونيين يلزم أن يرقيه مطران الأبرشية أو تكون ترقيته بإذنه. خامساً يحظّر على الرهبان تحت طائلة الرباط أن يوزّعوا سرّ التوبة على العالميين إلّا بإذن صريح من أسقف الأبرشية. سادساً لا يبني الرهبان ديراً إلّا بإذن السيّد البطريرك وأسقف الأبرشية وعيّن حينئذٍ نائبان أو وكيلان للسيّد البطريرك وهما المطران يوحنا الحلو والمطران يوسف التيّان.

وأصدر آباء المجمع الحكم النهائي في أن يكون دير بكركي مقرّاً ثابتاً للبطريرك وأن تختصّ به أملاكه الثابتة وغير الثابتة ورسموا الشروط الآتية· الأوّل أن يقيم البطريرك دائماً في هذا الدير لا يبارحه إلّا لداعٍ صوابي وإذا غاب عنه لزم أن يبقى فيه وكلاؤه وأن يعنى ببنائه وإصلاح ملكه. الثاني أن يدفع كل سنة مائتي قرش للمطران جرمانوس دياب ما دام حيّاً ولكل راهبة من راهبات هذا الدير خمسة وثلاثين غرشاً كل سنة ما دمن في قيد الحياة، وقرّروا أن يسألوا الحبر الروماني إثبات قرارهم هذا.

وفي المجلس العاشر جدّدوا قبول كل ما رسم في المجمع اللبناني وأوصوا بمطالعة رسومه والسلوك في أحكامهم على موجبها، ولم يزيدوا عليها إلّا تكرار النهي عن الربا إلّا لسبب ربح متعطّل أو ضرر ناجٍ عن القرض، وحتموا أن لا يؤخذ على كل قرش من القرض إلّا أربع بارات على الكثير في مدة السنة كاملة.

وفي المجلس الحادي عشر شدّدوا الحتم على الكهنة أن يعلموا التعليم المسيحي كل أحد وعيد وأن يقدّموا القداسات كما تعطى حسناتها وأن يحفظ في حق الولاية على الأوقاف ما رسمه المجمع اللبناني.

وفي المجلس الثاني عشر أعيدت تلاوة أعمال هذا المجمع وقبلها الآباء وتعهّدوا بالعمل بها ووقّع عليها البطريرك يوسف اسطفان والمطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي وجرجس بنيمين مطران طرابلس ويوسف التيان النائب البطريركي ويوحنا الحلو مطران عكا والنائب البطريركي وبطرس مبارك مطران بعلبك وبولس اسطفان مطران جبيل والبترون وفيلبوس الجميل مطران قبرص وجرمانوس دياب مطران حمص والمطران يوسف نجيم، ثمّ القس عمانوئيل الرشماني المدبر اللبناني بالنيابة عن جبرائيل مطران حلب، والخوري مارون العضم بالنيابة عن ميخائيل الخازن مطران دمشق، والخوري يوسف شرف الخازن بالنيابة عن ميخائيل فاضل مطران بيروت، والقس ميخائيل صاجاتي كاتب المجمع وجبرائيل الحاج موسى كاتب المجمع. أخذنا كلامنا في هذا الفصل ملخّصاً عن أعمال هذه المجامع في السجلّات البطريركية.

الفصل الخامس

بعض أديار الموارنة ومدارسهم وكنائسهم المنشأة في القرن الثامن عشر

عد ١٠٨٧

نذكر أوّلاً الأديار التي أنشأها الرهبان اللبنانيون والحلبيون أو سلّمت إليـ
هذا القرن، لمّا تكاثر عدد الرهبان وضاق دير مار اليشاع عن سكناهم
وكانوا قد تركوا مرت مورا بإهدن ذهب بعضهم إلى قرية رشميا، وكانت
عائلة مارونية تقيّة تعرف ببيت أبي صابر وقد بنوا كنيسة على إسم القديس
المعمدان فسلّموها إلى الرهبان، وأضافوا إليها عقاراً وقفوه عليهم على شر
يعلم الرهبان أولاد القرية، فأنشأوا دير مار يوحنا رشميا سنة ١٧٠٦م،
الخوري صالح الخوري وأولاده من رشميا وقفوا عليهم عقارات أنشأوا بها د
أنطونيوس سير قريباً من رشميا سنة ١٧٠٧م.

وقد ذكرنا قبلاً قدم دير مار قزحيا وشهرته وقيام أساقفة به، وكان منهم
فيه المطران عبدالله حبقوق ولمّا توفّي خلفه في هذا الدير المطران يوحنا -
فسلّمه إلى الرهبان سنة ١٧٠٨م فزادوا في بنائه واقتنوا له أملاكاً كثيرة حتى
على ممر الأيام أكبر أديار الموارنة وأشهرها. وقد مرّ أنّ الشيخ سلهب الحاقلاني
سنة ١٦٨٢م دير السيدة بلويزة في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان
وترهّب فيه ولده القس اغناطيوس ثمّ سلم هذا الدير إلى الرهبان سنة ٥٧
ووقع في القسمة بين الرهبان اللبنانيين والحلبيين في نصيب الحلبيين ومثله د
بطرس كريم التين في قاطع بيت شباب الذي كان المطران يوحنا حبقوق المذ ك

سلّمه إلى الرهبان سنة ١٧١٢م، وكان البابا اكليمضوس الحادي عشر قد وهب لهؤلاء الرهبان دير القديسين بطرس ومرشلينوس برومة على يد أحدهم القس جبرائيل حوا سنة ١٧٠٧م، فانّ هذا البابا قد أرسل القس المذكور إلى مصر إلى أحد أساقفة القبط الذي كان قد أظهر ارتياحه لاعتناق الإيمان الكاثوليكي فنجح القس جبرائيل بمسعاه واستردّ الأسقف المذكور إلى حظيرة الإيمان القويم فكافأه البابا بأن وهب الدير المذكور لرهبانيته، ثمّ جعلوه مدرسةً للرهبان سنة ١٧٢٥م. وأثبت البابا اكليمنضوس الثاني عشر قوانين هذه المدرسة إلى أن باعوها بأمر البابا بناديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥٣م، وشروا بثمنها محلاً آخر برومة حذاء دير مار بطرس في السلاسل وجعلوه ديراً ومدرسةً لهم على إسم القديس أنطونيوس أبي الرهبان، وقد وقع بالقسمة بين اللبنانيين والحلبيين في نصيب الحلبيين، وهو قائم إلى الآن وقد زاده المرحوم المطران أمبروسيوس نطين الدرعوني بناءً وإتقاناً وأنشأ له عقارات وأبنية للاستئجار حتى كان الآن أغنى أديارهم.

وفي سنة ١٧١٢م أنشأ بعض أناس أتقياء دير مار الياس الرأس في جانب عينطورا ثمّ سلّم إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٦م، وخصّه السمعاني بسكنى الراهبات سنة ١٧٣٧م إثر المجمع اللبناني كما هو ظاهر من تقريره للبابا اكليمنضوس الثاني عشر، وكان المطران جبرائيل البلوزاوي قد بنى دير طاميش سنة ١٦٧٣م ثمّ سلّم إلى الرهبان سنة ١٧٢٧م، وأنشأ البطريرك سمعان عواد دير مشموشة ثمّ سلّمه الرهبان وتوفي به في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م، ووهبهم الشيخ شاهين موسى الحاقلاني دير مار يوسف البرج سنة ١٧٤٦م بموجب صك أثبته مؤلف النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ١٦٨، ثمّ أنشأ الرهبان اللبنانيون دير مار أنطونيوس حوب سنة ١٧٤٩م، ونراه منضماً إلى الأديار التي ملكهم إيّاها الأمير يوسف شهاب سنة ١٧٦٥م كما سيأتي، ودير مار موسى الحبشي بالمتن سنة ١٧٥٣م، ودير مار جرجس الناعمة سنة ١٧٥٣، ودير مار ميخائيل بنابيل سنة ١٧٥٦م، ودير مار ساسين بسكنتا للراهبات سنة ١٧٥٦م، ودير مار مارون بيرسنين سنة ١٧٦٠م.

وفي سنة ١٧٦٥م ملّكهم الأمير يوسف شهاب حاكم الجبل دير السّيدة في

ميفوق وما تبعه من العقارات القريبة إليه ودير مار قبريانوس في كفيفان وما تبعه، وأنطوش جبيل وما تبعه من العقار، وسلمهم كنيسة المدينة ودير مار أنطونيوس بحوب في جوار تنورين، وتبعه كنيسة مار دوميط وعقار عين الراحة، وكانت هذه الهبة للقس أقليمس المزرعاني الرئيس العام للرهبانية ومدبريها القس عمانوئيل الرشماني والقس مرقس الكفاعي والقس يعقوب البشراني والقس جرمانوس الديراني وكان ذلك بعناية الشيخ سعد الخوري والشيخ سمعان البيطار.

وفي سنة ١٧٦٦م سلم الشيخ منصور يوسف الدحداح إلى هؤلاء الرهبان أيضاً دير سيدة المعونات المعروف بدير البنات قرب جبيل، وسلّمهم صكاً به كما كان تسلّمه من الأمير يوسف شهاب ليجددوه ويتولوا عليه.

وكان هؤلاء الرهبان قد أنشأوا قبل ذلك دير مار الياس الكحلونية بالمتن سنة ١٧٦٢م، ودير مار أنطونيوس البادوي المعروف بدير النبع في قاطع بيت شباب سنة ١٧٨٥، ودير مار عبدا معاد سنة ١٧٩٥م.

وأمّا الأديار التي أنشأها وتسلّمها رهبان مار اشعيا في هذا القرن فهي:

الأوّل دير مار اشعيا بناه المطران جبرائيل البلوزاوي كما مرّ. وأرسل إليه سنة ١٧٠٠م أربعة قسوس من دير طاميش وتبعهم بعد ذلك القس بطرس عطايا من ساحل علما، والقس يواصاف من عرمون كسروان، والقس سمعان عريض من قتاله. ولمّا رأى البطريرك اسطفانوس الدويهي رغبتهم في إنشاء رهبانية أثبت رسومهم وقانونهم، وكذلك خلفاؤه جبرائيل البلوزاوي ويعقوب عواد ويوسف ضرغام الخازن إلى أن أثبت الكرسي الرسولي قانون هذه الرهبانية سنة ١٧٤٠م.

الثاني دير مار الياس غزير وقد ذكرنا قبلاً إنشاء المشايخ الحبيشية وأهل غزير له ثمّ سلّموه إلى رهبان مار اشعيا أي إلى القس سليمان رئيس رهبان مار اشعيا بموجب صك مؤرّخ سنة ١٧١٢م وصادق عليه من البطريرك يعقوب عواد.

الثالث دير مار عبدا المشمّر سلّمه البطريرك يعقوب عواد إلى القس عطاالله كريكر من بيت شباب وكان هناك كنيسة وحارة فقط من أيّام البطريرك الدويهي.

الرابع دير مار الياس أنطلياس سلّمه البطريريرك يعقوب عواد إلى الرهبان المذكورين سنة ١٧٢٢م بموجب صكين.

الخامس دير مار سركيس إهدن ذكرنا أنشاءه قبلاً، وكان يخص عائلة بيت الدويهي من إهدن فسلّمه إلى الرهبان بولس يوسف الدويهي والخوري بولس والخوري أنطون والخوري حبيب جميعهم من بيت الدويهي سنة ١٧٢٩م.

السادس دير مار جرجس ضببيه المعروف بدير عوكر سلّمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى القس ابراهيم يواصاف الرئيس العام سنة ١٧٤٠م.

السابع دير مار يوحنا القلعة سلّمه الأمير يوسف مراد أبي اللمع إلى رئيس الرهبان المذكورين الأب سمعان عريض من قتاله وسلّمهم صكاً به يقال فيه إنّه أجاز رئيس عام الرهبانية الأنطونية أن يبي ديراً في محل بيروت العتيقة فأنشأ الرئيس العام المذكور والقس ابراهيم عون المدوّن اسمه على باب كنيسة هذا الدير سنة ١٧٤٨م.

الثامن دير مار روكس ضهر الحسين وقف أرضه آل قانصوه الخازن وبناه ديراً المطران بطرس الحاج من بكفيا، وكان من هذه الرهبنة وكان ذلك سنة ١٧٦٢م.

التاسع دير مار بطرس القطين سلّمه إلى الرهبنة المطران جبرائيل عواد سنة ١٧٦٠م.

العاشر دير مار سمعان عين القبو سلّمه المطران يواصاف البسكنتاوي سنة ١٧٦٩م إلى الرئيس العام القس إبراهيم عون.

الحادي عشر دير مار أنطونيوس بعبدا أنشأه بيت ياغي من قرية بعبدا قاصدين أن تدخل بناتهم في الرهبانية كبيت اسطفان وبيت الخازن وبيت آصاف وبيت صفير ولم يكن في الدير إلّا معبد صغير للتقديس وبعض غرف حقيرة وكان ذلك سنة ١٧٦٤م في أيّام البطريرك طوبيا الخازن.

الثاني عشر دير مار أنطونيوس البادوي جزين أقامه الرهبان المذكورون بإذن البطريرك يوسف اسطفان ومطران الأبرشية ارميا مطران الناصرة لسكنى الراهبات به وأخذ الرهبان ببنائه.

الثالث عشر دير مار أدنا الفتوح اتّفق الأمراء الشهابيون والمشائخ الحبيشيون والقس طوبيا عون رئيس الرهبنة العام أن يبنوا ديراً على إسم مار أدنا في مقاطعة الفتوح وأرسل الرئيس العام القس سلوانس جوده فرمم أوّلاً الكنيسة القديمة التي كانت هناك وأذن له بطرس مبارك مطران الأبرشية والبطريرك يوسف اسطفان أن يخدم أبناء الطائفة القاطنين في تلك الناحية فعاون الأب نعمةالله الغزيري القس سلوانس جوده وأنشأ هذا الدير وكان ذلك سنة ١٧٩٢م.

فهذه هي أديار الرهبان الأنطونيين التي أنشئت في هذا القرن وأمّا الأديار التي أنشئت لغير هؤلاء الرهبان فمنها دير مار يوحنا البقيعة بعرامون كسروان ذلك أنّه في سنة ١٧٠٥م حدثت مشاجرة في دير سيد الحقلة بين الرئيس والقس سمعان والقس افرام من عرامون فخرج القسّان من الدير المذكور ونبذا الطاعة لرئيسهما ثمّ أعطاهما أبو عون صوباط قطعة أرض في البقيعة وشرط عليهما أن يبنيا في القطعة المذكورة محلاً يتعلّم به أولاد قرية عرامون وما جاور الدير. قال مؤلف النبذة التاريخية في كسروان: إني طالعت الصك الذي حرّره أبو عون ثمّ انضمّ راهبان آخران من دير مار عبدا هرهريا إلى القسيسين المذكورين فشروا المحل حيث الدير الآن من الشيخ نادر أبي النصر الخازن بخمسة قروش وربع، وأخذوا سنة ١٧٢٥م ببناء الدير. وفي سنة ١٧١٨م جدّد الخوري يوسف حبيش (الذي رقي بعداً إلى الأسقفية) دير مار جرجس علما وجعله لسكنى الراهبات.

وسنة ١٧٢٦م تكرّست كنيسة هذا الدير وجدد رهبان مار اشعيا بناء دير بكركي الذي باعوه بعداً إلى الراهبة هندية.

وسنة ١٧٤٠م جدّد الحاج أبو رزق نطين وابنه القس يوحنا من درعون دير مار يوسف الحرف بجانب درعون. وفي سنة ١٧٤٤م كان إنشاء دير الزيارة بعينطورا بعناية الأب أنطونيوس رئيس رسالة اليسوعيين في سورية، فقد شرى محل الدير من الشيخ أبي شروان موسى بن طربيه الخازن بثمن قدره ألف وتسعمائة قرش دفع ثلثي المبلغ مما جمعه من الإحسان ومن الطالبات الدخول في الدير، والثلث الباقي من الثمن وهبه الشيخ المذكور للدير لأنّه كان له ابنة وشقيقة انتظمتا في سلك الطالبات، وهذا ظاهر من سجل الدير وصك الشراء المؤرّخ في ٧ حزيران سنة

١٧٤٤م. وبعد التئام الراهبات في الدير رأى الأب أنطونيوس المذكور أن يستسرن بقانون راهبات الزيارة الذي ألّفه القدّيس فرنسيس سالس وأن يكون معرّفهنّ أحد الآباء اليسوعيين، واستماح الإذن بذلك من السيّد البطريرك وأساقفة الطائفة فأجازوا ذلك بشرط أن تبقى الراهبات حافظات الطقس الماروني. وفي سجل الدير صك الإجازة هذا مصرحاً فيه أن تبقى الراهبات خاضعات لسلطان بطريرك الطائفة دون غيره من الأساقفة ومستيسرات بقانون القديس فرنسيس المذكور وحافظات الطقس الماروني وموقع عليه من البطريرك سمعان عواد وبعض المطارين.

وفي سنة ١٧٤٩م أنشأ الشيخ عاد بن صخر الخازن الدير المعروف بدير سيدة البزاز في كسروان للعابدات واتّبعن قانون الراهبة هندية قبل إلغاء رهبانيتها. وقد جاء في النبذة التاريخية في كسروان أنّه في سنة ١٧٦٤م جدّد التشيخ نمر بن أبي نصيف نوفل الخازن دير مار الياس بلوني وهو من أديار كسروان التي جدّدت بعد خرابه، لكنّنا نعلم أنّ هذا الدير كان قبل هذا التاريخ لأنّه في سنة ١٧٣٧م نقل السمعاني الراهبات منه إلى الأديار التي خصّها بالراهبات كما أوضح في تقريره للبابا اكليمنضوس الثاني عشر.

ونحو هذا الزمان أنشأ الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى في القرية المذكورة، وأنشأ البطريرك طوبيا الخازن الذي توفي سنة ١٧٦٦م دير مار أنطونيوس بقعاتا بكسروان، وقد أنشأه وهو مطران لأنّ السمعاني نقل الراهبات منه إلى الأديار التي خصّها بالراهبات كما مر. وفي السنة المذكورة كان أنشأ دير السيدة بمستيتا في بلاد جبيل ذلك أنّ الخوري بطرس ديب رئيس دير سيدة الحقلة زار اتفاقاً في جبيل الأمير يوسف الشهابي حاكم لبنان وكانت له ابنة اعتراها مرض أعيى الأطباء شفاؤه فاستأذن الشيخ سمعان البيطار الأمير ليدخل الخوري إلى مخدع ابنته ليصلي عليها علَّ الله ينعطف بصلاته إلى برئها. فدخل وصلى عليها فأنعم الله بشفائها فطابت نفس الأمير وزال غمّه، ودخل الشيخ سمعان على الأمير يهنئه بابلال ابنته من المرض، فحدّثه الأمير بما يكافئ الخوري فأجابه أنّ هذا درويش راغب عن أموال الدنيا فإن لاقى لدى مولاي وهبه قطعة أرض يحرثها مع جماعته، فحسن كلامه للأمير وأمر أن يعطى الأرض المسماة مستيتا كلّها ودوّن الشيخ

سمعان صكّاً بها باسم الأمير للخوري. وشرط عليه الشيخ سمعان أن يبني فيها ديراً على اسم السيدة فأخذ الخوري في بناء الكنيسة وبعض غرف بجانبها وكان الأمير يوسف المذكور أنعم على رهبان دير سيدة الحقلة بدير مار دوميط البوار بفتوح كسروان، ومحل القديسة صوفيا بأرض الصفرا هناك ثمّ حكم البطريرك يوسف اسطفان بفصل دير البوار عن دير الحقلة.

وفي سنة ١٧٦٦م أيضاً أقام البطريرك يوسف اسطفان في دير مار يوسف الحصن بغوسطا الذي كان قد أنشأه من ماله في محل خصّه من متروكات والده.

وفي سنة ١٧٦٩م بنيت فيه كنيسة على إسم القديس يوسف البتول باحسان لويس الخامس عشر ملك فرنسة سيأتي ذكرها في جملة الكنائس.

وفي سنة ١٧٨١م استأثرت رحمة الله بالشيخ ميلان ابن البطريرك يوسف ضرغام الخازن وكان قد وقف كل ما يملكه على إنشاء دير السيدة ببقلوش لأنّه لم يكن له ولد، وباشر ببناء الدير وإعداده ليجمع إليه راهبات. وعاجلته المنية قبل أن يتم بناء الدير وخلفه في إتمام مشروعه ابن عمّه الخوري يوسف شرف بن كسروان الخازن فأكمل بناء الكنيسة سنة ١٧٨٣م. وفي سنة ١٧٩٧م بنى الخوري موسى ديب رئيس دير الحقلة الدير المعروف بدير العفص في محل وقفه أقرباؤه.

أمّا الأديار التي أنشأها الأجانب في كسروان خاصّة فهي دير مار أنطونيوس حريصا بناه رهبان القديس فرنسيس في محل وقفه عليهم الشيخ سنتو بن فياض الخازن مذ سنة ١٦٨١م، ودير القديس فرنسيس للكبوشيين، وكانوا قد حضروا إلى غزير وأقاموا أوّلاً في دير مار الياس غزير للموارنة باذن البطريرك كما مرّ ثمّ أعطاهم الأمير حيدر شهاب والي لبنان قبواً من سراي الأمراء العسافيين وباشروا في بناء ديرهم المذكور سنة ١٧١٢م. ثمّ دير المخلّص المعروف بالكريم للأرمن فانّه في سنة ١٧٠٧م حضر أربعة شبان أرمن من حلب إلى لبنان فدخل منهم راهبان في رهبانية اللبنانيين في دير قزحيا واثنان حضرا إلى كسروان، فوهبهما الشيخ صخر بن أبي قانصوه الخازن محل هذا الدير بغوسطا سنة ١٧١٦م، فترهّبا به وأسّسا رهبانية الأرمن تابعين قانون رهبان القديس أنطونيوس اللبنانيين ثمّ سكن بطاركة الأرمن في هذا الدير إلى أن وقف عليهم الشيخ شرف دهام الخازن محل دير السيدة ببزمار

فأخذوا ببناء هذا الدير سنة ١٧٤٩م وجعلوه كرسياً لبطاركتهم ومدرسة لاكليرسهم.

ومن هذه الأديار دير سيدة البشارة في جانب زوق مكايل للملكيين الكاثوليكيين فإنّ ثمان عذارى حلبيات من هذه الطائفة حضرنَ إلى لبنان بقصد الرهبانية والتجأنَ إلى الآباء اليسوعيين المقيمين حينئذٍ بعينطورا فساعدوهنّ على بناء هذا الدير في محل وهبه لهنّ الشيخ موسى الخازن سنة ١٧١٩م، ومنها دير مار ميخائيل بزوق مكايل للرهبان الملكيين الكاثوليكيين الحناويين بنوه في محل وهبه لهم الشيخ موسى بن طربيه الخازن سنة ١٧٤٧م، ثمّ دير سيدة النياح أنشأه الرهبان الملكيون الكاثوليكيون بنفقة ابراهيم خير الدمشقي كما هو مسطر في التاريخ المنقوش على باب كنيسة هذا الدير، ووهبهم المحل لبنائه أولاد أبي خطار فاضل الخازن سنة ١٧٥٣م، ثمّ دير سيدة النجاة في الشرفة حذا درعون بناه الخوري يوسف مارون الطرابلسي. ولمّا فرّ ميخائيل جروه بطريرك السريان الكاثوليكيين من ماردين إلى لبنان سلّمه الموارنة الدير المذكور لسكناه سنة ١٧٨٣م.

عد ١٠٨٨
مدارس الموارنة المنشأة في هذا القرن

مدرسة عينطورا

أنبأنا العلّامة الدويهي أنّ الآباء اليسوعيين كان أوّل سكناهم في لبنان سنة ١٦٥٣م، وقد أبانوا هم في إحدى رسائلهم المعروفة بالرسائل المعمرة أنّ الأب لمبر ورفيقيه الذين سافروا إلى سورية سنة ١٦٥٣م ثارت على سفينتهم ريح شديدة ألقتها في محل قريب من عينطورا فأخذهم أهل المحل إلى الشيخ أبي نوفل نادر الخازن حاكم ذلك المحل حينئذٍ، ولمّا عرف أنّهم مرسلون أنزلهم عنده وأكرمهم وأمر ببناء دار ومعبد لهم في محل من أملاكه بعينطورا، وكان يتردد إليهم ويلاطفهم ويساعدهم وهم يطنبون مدحه في رسالتهم المذكورة.

وجاء في المجمع اللبناني صفحة ٥٤٨ ما ذكرناه في ترجمة الأب بطرس مبارك وهو أنّ هذا الأب الورع العالم بنى لأبناء ملّته على عهد ذلك المجمع مدرسة بقرية عينطورا وأجرى عليها الأرزاق ووكل تدبيرها إلى المرسلين اليسوعيين معلقاً ذلك على بعض شروط خشية أن يلمّ بأبناء ملّته شيء من الضرر في المستقبل، فالمدرسة التي بناها الأب مبارك لم تكن محل اليسوعيين الذي بناه لهم الشيخ نادر الخازن بل كانت قريبة منه أو ملاصقة له. وقد ذكر المجمع اللبناني الصك الذي دوّنه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين العام عند استلامه هذه المدرسة وهذا ملخّصه عن ذيل هذا المجمع صفحة ٦٧.

«فرنسيس رتز رئيس الرهبانية العام. لما كان بعض أفاضل الموارنة قد أسّسوا مدرسة اكليريكية بقرية عينطورا التابعة أبرشية بيروت (هذا كان قبل المجمع اللبناني) وقد طلبوا أن تكون إدارتها بيد مرسلي جمعيتنا فأجابهم سالفنا إلى طلبهم ونصب رئيساً عليها الأب أنطون ماريانكي ونحن نثبت هذا الأمر الذي ينطبق على روح رهبانيتنا ونحكم ونجزم بأسطرنا هذه أن يستمر قائماً ثابتاً إلى ما شاء الله. ونعلن أنّ من نيّة المؤسسين الفضلاء أن يقبل في هذه المدرسة من طلبة الموارنة ولا ينفى غيرهم من طلبة باقي الطوائف وخصوصاً القبط والكلدان بشرط أنّ عدد هؤلاء لا يتجاوز ربع الطلبة، ونأمر وننهي نهياً جازماً رؤساء جمعيتنا ووكلائها ألّا يصرفوا أرزاقها ومداخيلها إلى غير وجهة وأن لا يجسروا على تخصيصها بالرسالات أو صرفها في أي سبيل خيري أيّاً كان. ونريد أن تبقى هذه الإدارة بيد وكيل الرسالات الشرقية في باريس ووكيل معاونية فرنسة المستقر هنا برومة بحيث أنّ مداخيل هذه المدرسة لا تختلط مع مجموع المداخيل الخاصّة بالرسالات المذكورة وترسل إلى رئيس المدرسة على حدة، وإذا نزلت كارثة توجب نقل المدرسة من موقعها فحرصاً على نيّة المؤسسين نأمر بألّا تنقل إلى ما وراء حدود سورية أو إلى حيث لا يوجد موارنة ونأمر أن تبقى مداخيلها وأرزاقها في حالة نقلها ثابتة على حكمها كأنّ مركزها لم يتبدّل. وإذا ترك رجال جمعيّتنا الرسالات السورية واضطرّوا إلى الخروج من سورية فتبقى إدارة أرزاق المدرسة وتدبيرها بيد من حكم الرئيس بأهليته للقيام مقامه إلى أن يرى الرئيس العام القائم وقتئذٍ من يجب تسليم الإدارة إليه في مدّة غياب المرسلين وينبغي أن ترد إليهم لحال رجوعهم إلى سورية

ولو قرر رؤساء الجمعية وجوب التخلي عن إدارة هذه المدرسة فعملاً بنيّة المحسنين التي أوضحوها لنا نعلن أنّ على الرئيس العام في هذه الحال أن يعهد بالمدرسة وبنائها ومداخيلها وكل ما يعرف بها إلى أشخاص آخرين يرى فيهم الجدارة لذلك مع التوفّر على رعاية الشروط الآنفة الذكر بحيث أنّ المداخيل والأرزاق تخصص وتصرف في سبيل قيام هذه المدرسة وحفظها إلى ما شاءَ الله وإذا تعذّر الحصول على ما ذكر فتقوم مقامها مدارس صغيرة ينشئها بطريرك الموارنة في بلاد طائفته على ما يرى. وبياناً لصحّة ما تقدّم وقّعنا على هذا الصك بخط يدنا وخاتمنا برومة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤».

وبقي الآباء اليسوعيون يدبرون هذه المدرسة بحسب الشروط المذكورة نحواً من أربعين سنة ولـمّا ألغيت جمعيتهم سنة ١٧٧٣ استولى البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة على هذه المدرسة ومدرسة زغرتا الآتي ذكرها ثمّ تحوّلت جميع أديار اليسوعيين في الشرق إلى الرهبان العازريين بموجب براءة من البابا بيوس السادس مؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣، وأمر من لويس السادس عشر ملك فرنسة مؤرّخ في ٢١ كانون الأوّل من السنة المذكورة. ففي سنة ١٧٩٢ أقام رئيس العازريين الدعوى على هذه المدرسة وطلب تسليمها إليه كباقي أديار اليسوعيين فسلّمها البطريرك يوسف اسطفان إلى جمعيته طمعاً بأن يستحصلوا المبلغ الذي كان باقياً لهم عند إلغاء جمعية اليسوعيين وضبط في بنك باريس، وعلى الشروط التي مع اليسوعيين فلم يقبل العازريون هذه الشروط إذ أخلوا بها فتسلّم البطريرك ما كان يخص المدرسة وتسلّموا هم ما كان يخص اليسوعيين.

مدرسة زغرتا

جاء في المجمع اللبناني صفحة ٥٤٩ ما ذكرناه في ترجمة المطران جرجس بنيمين الاهدني وهو أنّ هذا الأسقف إذ كان مطراناً بسورية قد أنشأ في قرية زغرتا من أبرشية طرابلس مدرسة وكنيسة وعيّن لها دخلاً كافياً لمعاش معلّم وتوطيداً لدعائم هذه المدرسة قد عهد بتدبيرها إلى الآباء اليسوعيين الذين انضوى إلى جمعيتهم معتزلاً الأسقفية، وشرط عليهم أن يعلموا من يؤمنهم من الأحداث من

القرى الدانية أصول السريانية والعربية إمّا بأنفسهم وإمّا بواسطة معلّم يؤدون له أجرته، وأن يشرحوا التعليم المسيحي للشعب أيّام الآحاد والأعياد كما يتبيّن من الصك الذي دوّنه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين المار ذكره وهذا ملخّص هذا الصك أيضاً.

«فرنسيس رتز رئيس الرهبانية اليسوعية العام. لما كان حضرة الأب جرجس بنيمين الماروني مطران إهدن سابقاً وأحد أبناء جمعيتنا الآن قد بنى وهو أسقف داراً بجانب كنيسة السيدة في زغرتا وخصّص لهذه الدار من الحقول والعقارات الجارية على ملكه ما يفي بمعاش معلمين وإقامة مدرسة لتأديب الشبان في التقى والعلم، ولما كان سالفنا الأب ميخائيل تمبوريني عملاً بنيّة الأب بنيمين الواقف ووفاءً بالرغبة التي أبداها خطاً خلفه مطران إهدن وبقية الوجهاء والسراة في زغرتا وإهدن في أن يشاهدوا هذه المدرسة خاضعة لديرنا بطرابلس ويروا مرسلينا يمارسون أعمال الرسالة في كنيسة السيدة بزغرتا قد عهد بتدبير هذه المدرسة وإدارة أملاكها إلى رؤساء ديرنا القائمين وقتئذٍ، فنحن نثبت ونقرر بأسطرنا هذه النافذة أبداً حكم سالفنا في مدرسة زغرتا والرسالة في الكنيسة القائمة بجانبها، ونحتم ونجزم بأن يستمر هذا الحكم ثابتاً في المستقبل ونعلن أنّ نيّة المؤسس التي أوضحها لنا إنّما هي أن يتّخذ من المعلمين بمقدار ما تحتمل مداخيل هذه المدرسة ويتحتّم عليهم أن يشربوا الأحداث الآتين إليهم من كل طائفة التقى والعلم دون طلب أجرة، أمّا اختيار المعلمين فيجب أن يكون بيد رئيس المدرسة أو معتمد من قبله وللرئيس السلطان على عزلهم ونصب غيرهم وتعيين رواتبهم والنظر بما يراه عائداً على الطلبة بمعظم الفائدة. ونعلن أيضاً أنّ مدبّري هذه المدرسة لا يكلفون بأداء الحساب عن إدارة أرزاقها إلّا لرؤساء الجمعية وأنّ هذه الأرزاق تكون مخصّصة على الدوام ومعروفة بالمدرسة ولو اقتضت الحال أن تنقل إلى محل آخر، وبعد الحصول على الإذن الصريح من لدن الرئيس القائم وقتئذٍ. وننهي نهياً مشدداً هؤلاء الرؤساء والمدبرين وكل من نيط بهم إدارة شؤونها ونحظر عليهم بقوّة الطاعة المقدّسة أن لا يقدموا على بيع أملاك هذه المدرسة الثابتة أو تبديلها ونريد أن يصرف كل الاجتهاد في الحرص على منقولاتها وأن لا تحول مداخيلها إلى وجوه أخرى ولو كانت للخير، وأن لا تخلط مع مجموع مداخيل باقي الأديار بل أن تكتب في دفتر مخصوص

وتنفق في سبيل قيام المدرسة بكل أمانة. وإذا عرض ما ألجأ رحال جمعيتنا إلى الخروج من سورية دون أمل عود قريب فنريد تبعاً لنيّة المؤسس أن ترجع هذه المدرسة مع كل ما تملكه إلى يد مطران إهدن وأكابرها بكل أمانة وأن تسلم إليهم بما عليها من التكاليف مع هذا الشرط وهو أنّه إذا عاد مرسلونا بعد مدّة أية كانت إلى سورية يعتبر أن قد ردت المدرسة إليهم بمجرّد رجوعهم. وكذلك إذا أراد الرئيس العام أن يتخلّى عن تدبير هذه المدرسة وإدارتها لدواعٍ صوابية فعملاً بنيّة المؤسس ترد وتسلم مع أرزاقها إلى يد السيّد مطران إهدن وسراتها بما عليها من التكاليف. وبياناً لصحّة ما ذكر كتبنا هذا الرقيم موقّعاً عليه بخط يدنا وممهوراً بخاتمنا برومة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م. فرنسيس رتز. وبعد إلغاء الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣م ردّت مدرسة زغرتا إلى مطران إهدن بحسب هذه الوثيقة.

مدرسة عين ورقة

يظهر أنّ العناية الربانية قد تداركت الطائفة المارونية باعداد حليفة لمدرسة رومة قبل سقوطها فإنّ رجال جمهورية فرنسة عند دخولهم إلى رومة في آخر هذا القرن الثامن عشر ضبطوا مدرسة الموارنة فيها وباعوها إلى بعض العلمانيين وكان الله سبحانه قد ألهم البطريرك يوسف اسطفان أن يحوّل دير عائلته المعروف بعين ورقة إلى مدرسة عامّة للطائفة. فقد مرّ أنّ القس خيرالله اسطفان بنى دير عين ورقة سنة ١٦٩٠م وارتقى هذا القس بعد ذلك إلى الأسقفية ودعي جرجس، وأقام بهذا الدير وخلفه بعده عدّة أساقفة من هذه العائلة وأقاموا غالباً بهذا الدير وجمعوا إليه راهبات واستمرّ هذا الدير كذلك إلى أن عاد البطريرك يوسف اسطفان إلى البطريركية بعد توقيفه عنها فحينئذٍ حوّل دير عين ورقة إلى مدرسة إكليريكية عامّة للطائفة المارونية بتحريضات الشيخ غندور سعد الخوري الذي كان حينئذٍ قنصلاً لفرنسة ببرت. وله رسالتان إلى البطريرك يوسف اسطفان بهذا الشأن أثبتهما المعلّم رشيد الخوري الشرتوني في كتابه سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه سنة ١٩٠١م وهما ناطقتان بما كان لهذا الرجل الهمام من الحمية والغيرة على طائفته المارونية والعناية بخيرها ونفعها. وقد حمل البطريرك على هذا المشروع الخيري ابن أخيه

المطران يوسف اسطفان إذ كان بعد شماساً ثمّ صير كاهناً وأسقفاً ورئيساً لهذه المدرسة وله عليها أيادي بيضاء في نجاحها وتقدّمها. وقد أنشأ البطريرك المذكور سنة ١٧٨٩م صكّاً مطوّلاً بيّن فيه تحويل هذا الدير إلى مدرسة إكليريكية عامة ووضع فيه نظامها وأخصّ قانون تلامذتها وشرح حقوق كل أبرشية مارونية على إدخال طلبة منها إليها إلى غير ذلك، وكتب إعلاماً وجّهه إلى خلفائه من البطاركة الأنطاكيين وإلى مطارين الرعايا القائمين وقتئذٍ وإلى الشيخ غندور سعد القنصل الفرنساوي ببيروت والمشايخ الخوازنة والحبيشية والدحادحة وكل مشايخ الطائفة وأعيانها القيّمين حينئذٍ ومن يخلفهم ناشدهم بهذا الإعلام أن يسعفوا ويؤيّدوا بأنظارهم وإحسانهم ومحاماتهم مشروعه المذكور العائد إلى خير طائفتهم جيلاً بعد جيل، وطلب أن يوقّعوا على إعلامه المذكور بخطوطهم وأختامهم بياناً على رضاهم بهذا الأمر الخيري وقبولهم المحاماة عنه والمساعدة له وهذا الإعلام مؤرّخ في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م.

ونبغ من هذه المدرسة كثيرون من الرؤساء الأماجد والعلماء الأفاضل حتى كان في القرن التاسع عشر أكثر بطاركة الطائفة ومطارينها وكهنتها الأجلاء المشتهرين من تلامذة هذه المدرسة وسيأتي ذكر كثيرين منهم. وفي جملة الأساقفة من تلامذتها كاتب هذا التاريخ الحقير ومن هذه المدرسة خاصةً انبثت علوم اللغتين العربية والسريانية بين نصارى سورية وغيرها من العلوم والفنون.

عد ١٠٨٩
كنائس الموارنة المنشأة في هذا القرن

إنّ الكنائس التي أنشأها الموارنة أو جدّدوها في هذا القرن الثامن عشر كثيرة وليس من تعدادها كبير فائدة يستوجب صرف زمان في البحث عنها ولذلك نقتصر على أن نذكر منها ما عرفناه بأقل كلفة.

ومن المعلوم أنّ كل ما ذكرناه في الفصلين السابقين في الأديار والمدارس أنشئ في كل منها كنيسة أو معبد وهي تربو على ستين ديراً ومدرسة ونعلم مما سواها كنيسة سيدة الوردية بزوق مصبح أنشأها كاهنان من هذه البلدة الخوري فرح والخوري

رزق الله الزوقيان سنة ١٧٠٨م كما يظهر من تاريخ نقش عليها من نظم الخوري نقولا الصائغ الملكي الكاثوليكي وكنيسة القديس يعقوب المقطع بدلبتا شرع ببنائها الخوري يعقوب الحصروني جد الطيّب الذكر البطريرك يوحنا الحاج سنة ١٧٢٢م.

وفي سنة ١٧٦٣م أنشأ أبو عبدالله الرامي وأقاربه كنيسة مار الياس النبي بفالوغا كما يظهر من التاريخ المنقوش على بابها وهو: «أنشأ هذا الهيكل المبارك على إسم القديس مار الياس وكان المعتني فيه أبو عبدالله أنطونيوس ابن المرحوم الخوري جرجس بن حبيب الرامي وبقية عائلته وكان يومئذٍ على الكرسي الأنطاكي مار طوبيا الخازن الكلي الغبطة وكان المتولي في الحكم جناب الأمير شديد المحترم سنة ١٧٦٣م». وسنة ١٧٦٥م بنيت الكنيسة الكبيرة في دير سيدة الحقلة في أيّام رئاسة الخوري بطرس ديب والقس يوحنا باسيل من معراب.

وفي سنة ١٧٦٩م أنشئت كنيسة مار يوسف الحصن بقرية غوسطا بإحسان لويس الخامس عشر ملك فرنسة فكان البطريرك يوسف اسطفان الذي أنشأ هذا الدير في محل ورثه عن أبيه كما مرّ. استمدّ هذا الإحسان من الملك المشار إليه فأنعم به عليه ويظهر أنّ مهندسين فرنسيين وضعوا هندسة هذه الكنيسة فحنية مذابحها خاصّة بديعة وعلى مثلها بنى المطران يوسف أبو رزق رئيس مدرسة عين ورقة حنية كنيسة هذه المدرسة التي أنشأها في القرن التالي كما سيجيء.

ونحو هذا الزمان أو قبله بنيت كنيسة القديس جرجس القديمة للموارنة في بيروت وكانت صغيرة فسعى بتكبيرها الشيخ منصور اده وأخوه الشيخ بطرس بنفقة المطران يوسف فاضل مطران الأبرشية ونفقة الشيخين المذكورين ومعاونة وجوه الموارنة بالمدينة واستمرّت هذه الكنيسة هي الكاتدرائية المارونية ببيروت إلى سنة ١٨٩٤م التي بها احتفلت نهار أحد الشعانين بالقداس الأوّل في الكاتدرائية الجديدة على اسم القديس جرجس أيضاً وكنت قد بدأت في بنائها سنة ١٨٨٤م وأنفقت عليها نحو مليونين من القروش كما سيأتي.

وفي سنة ١٧٨٩م وقف يزبك خيرالله وأخواه يوحنا ومنذر قطعة أرض في مزرعة الحصين التابعة قرية غباله بالفتوح بنيت فيها كنيسة على اسم السيدة وهي المعروفة الآن بسيدة الشقيف وكان بهذا المحل خربة كنيسة قديمة مشهورة بعمل العجائب.

الباب التاسع عشر

تاريخ سورية في القرن التاسع عشر

القسم الأوّل

تاريخها الدنيوي في هذا القرن

الفصل الأوّل

السلاطين العثمانيون العظام الذين تولوا سورية في هذا القرن

عد ١٠٩٠

تتمة أخبار ما كان في أيّام السلطان سليم الثالث الغازي

قضى علينا مساق تاريخنا أن نجزئ أخبار ما كان في أيّام السلطان الغازي سليم الثالث فذكرنا ما كان منها في القرن الثامن عشر إلى سنة ١٨٠٠م، وعدنا الآن والعود أحمد إلى ذكر ما بقي منها.

إنّ السلطان سليم الثالث قد عجب بفراسة نابوليون بونابارت وبسالته وإن سطا على بلاده في مصر وسورية، ونابوليون كان قد أبدى في غزوته لمصر تحاشيه لكل غلو ديني وهيامه في نفع الناس وترقيتهم في مدارج التمدّن والفلاح من أي مذهب

كانوا، ولهذا بعد جلاء عساكر فرنسة عن مصر ونصب نابوليون رئيساً للجمهورية باسم قنصل، كاشف سفير الدولة العلية بباريس المسمى أسعد أفندي باتفاق فرنسة معها وتجديد العلائق الحبية التي كانت بين الدولتين مبيّناً المضار الملتحقة بالدولة من جراء اتّحادها بانكلترا وروسيا، فعرض السفير الأمر لمولاه فارتاح له فعقدت بين الدولة العلية ونابوليون سنة ١٨٠١م معاهدة فحواها ثبوت حقوق الدولة على مصر وسلامة ممالكها وتجديد امتيازات فرنسة في الشرق وأرسل بونابارت الجنرال سبستياني إلى الآستانة وكانت له حظوة كبرى لدى السلطان، وبمساعيه عزل السلطان أميري الفلاخ والبغدان المحازبين لروسيا.

استاءت روسيا من هذا العزل وخشيت من امتداد نفوذ فرنسة في الشرق فجهزت جيشاً احتلّ الإمارتين المذكورتين دون إعلان الحرب مدّعية أنّ تغيير أميري الفلاخ والبغدان مضر بحقوق جوارها، فانتشبت نار الحرب بين الدولتين وناصرت إنكلترا روسيا فأرسلت أسطولاً قائده اللوردوك وودت فسطا على مدخل الدردنيل ورفع سفيرها بلاغاً إلى الباب العالي طالباً عقد محالفة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الأساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا، والتخلي عن ولايتي الفلاخ والبغدان وطرد الجنرال سبستياني من الآستانة، وإلّا فتضطر إنكلترا أن تجتاز بوغاز الدردنيل وتطلق مدافعها على الآستانة، فأبت الدولة إجابة إنكلترا إلى هذه المطالب وأخذت بتحصين البوغاز المذكور وإنشاء القلاع على ضفّتيه، على أنّ الإنكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحصينات بل اخترق أميرال الأسطول الإنكليزي بوغاز الدردنيل دون أن تناله مضرّة تذكر من مقذوفات القلاع ورمى أناجره في فرضة كاليبولي ودمّر السفن العثمانية الراسية فيها، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ اللائحة التي قدّمها إلى الباب العالي. واستولى الرعب على قلوب سكان الآستانة وحار الوزراء في ما يعملون وبعد مداولات طويلة جزموا أن يذعنوا لمطالب إنكلترا وأرسلوا يكلفون الجنرال سبستياني إلى الخروج من الآستانة خيفة من تفاقم الخطب، فاستدعى الجنرال مستخدمي السفارة والضباط الفرنسيين الموظفين بجيوش الدولة وبحريتها وأجاب رسول الباب العالي لا أخرج من الآستانة إلّا مكرهاً، وطلب أن يقابل السلطان فأجيب إلى طلبه، فعرض له أنّ فرنسة مستعدّة لمساعدته وأنّ عاهلها

نابوليون الأوّل أصدر أوامره لجيوشه المعسكرة في سواحل الأدرياتيك أن تسير مسرعة إلى الآستانة لإنجاده على إنكلترا ونبذ مطالبها، فاقتنع جلالة السلطان بما عرضه له وأمر بتحصين العاصمة وإنشاء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة، وتجنّد من نزالة الفرنسيين بالآستانة مئتا مقاتل وأكثرهم من المدفعية وكذلك من نزالة إسبانيا لمقاومة سياسة إنكلترا، وجَدَّ كل من بالآستانة بهذه التحصينات الشيوخ والأحداث والنساء، وكان السلطان بنفسه يناظر على هذه الأشغال ويحثّ المشتغلين بها على مواصلة الليل بالنهار لإتمام القلاع، ولم تمر أيّام إلّا وأصبحت المدينة في مأمن من كل طارئ ووقفت عدّة سفن في مداخل البوسفور لمنع المهاجمة، وبذلت الهمّة الناهضة في تحصين قلاع الدردنيل أيضاً، فلمّا رأى الأميرال الإنكليزي أنّه أمسى مستحيلاً عليه أن يدخل البوسفور وخاف من حصر أسطوله في ما بين البوغازين البوسفور والدردنيل قفل راجعاً إلى البحر الأبيض سنة ١٨٠٧م.

وأراد الأميرال الإنكليزي أن يواري هزيمته فقصد ثغر الإسكندرية ومعه خمسة آلاف جندي عدا البحرية بأمر الجنرال فريذر، فاحتلّ هذا الثغر في ٢٠ آذار سنة ١٨٠٧م وأرسل فرقةً من الجند لاحتلال ثغر رشيد فلم تنل منها مأرباً، وأعاد الكرّة على رشيد فخاب أمله من الاحتلال فيها لارسال محمّد علي باشا النجدات إليها، فلمّا رأى الأميرال ما في فتح مصر من العقبات والمصاعب مع اشتغال دولته بالحروب بأوروبا عدل عن مقصده وأقلع بأسطوله وجنوده من مصر في ١٤ أيلول سنة ١٨٠٧م.

إنّ أكبر المصاعب التي حملت الأسطول الإنكليزي على العود من مصر إنّما كان قبض محمّد علي باشا الشهير على أزمّة حكومتها، فقد ولد هذا النابغة سنة ١٧٦٩م في مدينة غوله التي يسميها اليونان نيابوليس أي البلدة الجديدة في بلاد مكدونية وتجنّد في جملة من تجنّدوا لمحاربة الفرنسيس عند حملتهم على مصر، وشهد واقعة أبي قير ثمّ عيّنه خسرو باشا والي مصر قائداً على أربعة آلاف مقاتل، وأخذ في استمالة قلوب الجنود إليه للاستعانة بهم لدى الحاجة، فوقعت النفرة بينه وبين خسرو باشا وثار الجنود الأرناؤوط على خسرو باشا وطردوه من القاهرة، واختار الأهلون طاهر باشا ليدير شؤون البلاد ريثما ينصّب الباب العالي خلفاً

لخسرو، ولكن لم يلبث أن ثار الانكشارية عليه وقتلوه ونصبوا رجلاً اسمه أحمد باشا فلم يقبله محمّد علي، وأراد انتهاز الفرصة لنيل ما كان يتوخاه من مدّة طويلة وهو الاستئثار بوادي النيل فكاتب أحزابه أن يسرعوا إليه ولمّا وجد عددهم كافياً لمحاربة الانكشارية حاصر أحمد باشا المذكور في منزله وأكرهه على الخروج من مصر، ثمّ حارب الانكشارية مستعيناً بالأرناؤوط فقتل أكثرهم وهزم باقيهم فلم يبقَ في القاهرة من معارض له، فسار هو وعثمان بك البرديسي أحد مشاهير المماليك لمحاربة خسرو باشا الذي كان متحصّناً بدمياط فأسره سنة ١٨٠٤م، وعاد به إلى القاهرة وسجنه في القلعة وعاد محمّد بك الألفي أحد زعماء المماليك من سفره إلى إنكلترا ليستنجد الإنكليز على استقلاله بمصر، فخشي محمّد علي من اتّفاقه مع البرديسي عليه فعمد إلى الفتنة بينهما، وأحسّ الألفي بذلك فسار إلى الصعيد وأهاج محمّد على الأهلين على البرذيسي فحاصروه في منزله وأطلق محمّد علي المدافع عليه حتى أخرجه من مصر مع باقي المماليك، وأرسل خسرو باشا إلى الآستانة فلم يبق له معارض فانتخبه أهل مصر والياً وعرضوا للباب العالي، فأصدر السلطان فرماناً بنصبه والياً على مصر وأذيع هذا الفرمان في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٢٠ الموافق ٨ تموز سنة ١٨٠٥م، ثمّ سعى الإنكليز به لدى الباب العالي طالبين عزله أو نقله إلى ولاية أخرى محتجّين بأنّه يخشى من استقلاله بمصر وهم يخشون معارضته لمقاصدهم فأمر الباب العالي بنقله إلى ولاية سالونيك فلم يقبل علماء مصر ولا قادة الجيش بذلك ورفعوا عرائض يلتمسون بها إبقاءه على ولاية مصر، فأصدر السلطان فرماناً بتثبيته وصل إليه في ٧ تشرين الثاني سنة ١٨٠٦م. ثمّ توفّي الألفي والبرديسي المار ذكرهما، فصفا الجو لمحمّد علي ولم يبق له منازع من الأمراء والمماليك، وبقي بعض جنودهم فأجهز عليهم في الواقعة المعروفة بوقعة القلعة في ١١ آذار سنة ١٨١١م فقرضهم، وهكذا أسّس هذا الرجل الشهير هذه الخديوية الباقية إلى الآن وسيأتي ذكرها مكرراً.

ولنعد إلى الكلام في ما كان في الآستانة أنّ السلطان سليم الثالث اهتمّ بإدخال النظام الجديد في الجيش فامتعض الانكشارية من ذلك وتوسّموا به مقدّمة لإلغاء وجاقاتهم فسعوا هم وبعض العلماء لإلغاء الفرق المنظمة فلم يحسن للسلطان

إلغاؤها وأوقع الانكشارية الدولة العلية في ارتباكات كثيرة في الصرب والروملي وغيرها. في سنة ١٨٠٥م أصدر السلطان أمراً سامياً إلى جميع الولايات في تركية وأوروبا أن يجمعوا الشبّان من الانكشارية والأهلين من بلغ الخامسة والعشرين ويدخلوهم في الجندية المنظّمة فلم يقبل الانكشارية هذا الأمر وجاهروا بالتمرّد والعصيان، وكانت رحى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس ودخل والي بوسنه (البشناق) بجيشه إلى بلاد الصرب لمنع الثائرين عن اللحاق بالجيش الروسي، وسار الصدر الأعظم إلى مدينة شومله، وكان مصطفى باشا البيرقدار والي روستجك في بلغاريا يستعد للإغارة على بلاد الفلاخ بخمسة عشر ألف جندي عني هو بتنظيمهم وتدريبهم ومات حينئذٍ شيخ الإسلام الذي كان معضداً للسلطان على إدخال النظام وخلفه قاضي عسكر الروملي وكان مخالفاً للنظام المذكور واتّفق مع الانكشارية ولفيف من العلماء على إبطال النظام الجديد قائلين إنّه بدعة مخالفة للشرع وأخذوا يغرون العساكر غير المنظّمة بأنّ السلطان لم يأتِ بهم من بلادهم إلّا للانخراط بسلك النظام وإكراههم على لبس الملابس الافرنجية والتزيي بزي النصارى، وذلك مخالف للمذهب حتى ملأوا عقول هؤلاء السذّج من هذه الأباطيل. وأرسل مصطفى باشا قائمقام الصدر الأعظم من قال إنّه أتى لإلباس الجنود غير المنظمين في إحدى القلاع المختلطة جنودها فهاجوا وماجوا وأرادوا قتل الآتي فمنعهم المنظمون، فكانت بينهم معركة جرت فيها الدماء ثمّ انتشرت الفتنة في قلاع أخرى بين المنظمين وغير المنظمين، ولمّا بلغ ذلك السلطان لطف له نائب الصدر مصطفى باشا المذكور الحادثة وقال إنّها ليست بذات بال، وتمادى الجنود غير المنظمين بايعاز مهيجيهم واجتمعوا في بيوكدرة إحدى ضواحي الآستانة وانتخبوا رئيساً لهم اسمه قباتبجي أوغلي (ابن القبابقي) وحملوا على الآستانة وحشد معهم من الانكشارية واجتمعوا في المحل المعروف بآت ميدان وقرأ عليهم أسماء المعاضدين للنظام الجديد من الوزراء والأعيان ووثب الثائرون على منازلهم وقتلوهم، وأتوا برؤوسهم ووضعوها أمام قدور الانكشارية التي كانوا قد وضعوها في محل اجتماعهم، فأصدر السلطان أمراً بإلغاء النظام فلم يكتف الثائرون بذلك بل قرّروا خلع السلطان لئلّا يعود إلى تنفيذ مشروعه، وساعدهم على ذلك شيخ الإسلام الذي هو محرّك هذه الفتنة، فأفتى بأنّ كل سلطان يدخل نظام الافرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على السلوك بها

لا يصلح للملك، واستمرّت الثورة يومين ثمّ نودي بخلع السلطان سليم الثالث وخلعوه في ٢٨ حزيران سنة ١٨٠٧م بعد أن ملك تسع عشر سنة. انتهى ملخصاً عن عدّة مؤرخين.

عد ١٠٩١
ما كان بسورية في هذه المدّة

ذكرنا في آخر القرن الثامن عشر استقلال الأمير بشير الكبير بالولاية واتفاقه مع الأمراء أولاد الأمير يوسف وجرجس باز مدبّرهم على أنّهم يلون جبيل والبترون من قبله، ففي سنة ١٨٠١م اتّفق الأمير عبّاس أسعد شهاب مع المشايخ العمادية على أن يولوه البلاد مكان الأمير بشير وكتبوا إلى الجزار يلتمسون له الولاية فأجابهم إلى ذلك. ونهض الأمير عباس ومعه العمادية إلى عكا فأنعم عليه الجزار بخلعة الولاية وأنفذ معه معسكراً إلى صيدا وكتب إلى سليمان باشا واليها أن يكون قائداً للعسكر، وكان الشيخ بشير جنبلاط قد اتّفق مع الأمير قعدان والأمير سلمان سيّد أحمد أن يطلبوا الولاية للأمير سلمان المذكور، وتعهّدوا بدفع مئتين وخمسين ألف قرش للجزار فوعدهم بها، ولكن لمّا بلغ الأمير عبّاس إلى صيدا ثمّ إلى عانوت فرّ الأمير سلمان وأصحابه إلى جبيل واتّفقوا مع أولاد الأمير يوسف وفرّ الأمير قعدان والشيخ بشير إلى المتن، أمّا الأمير عبّاس فحضر بالعسكر إلى ساحل بيروت وأرسل فرسان الجزار إلى جبيل للقبض على الأمراء وكان هؤلاء الأمراء قد حضروا إلى المتن برأي الأمير بشير وأرشدهم أن يسرعوا إلى دير القمر هم والأمير قعدان والشيخ بشير جنبلاط فدخلوا دير القمر، فندم الأمير عباس على تركه لها ورجع إليه مع عسكر الجزار فلم يتمكّن من الدخول إليها، فانصرف إلى الباروك ثمّ إلى البقاع فنهض الأمير بشير إلى حمانا وسار الأمير عباس بالعسكر إلى المتن فالتقاه الأمير بشير برجاله إلى خان مراد، وانتشبت الحرب بين الفريقين فانهزم الأمير عباس وعسكر الجزار، وكتب الأمير عباس إلى الجزار يشكو قادة العسكر بأنّ الأمير بشير رشاهم وكتبوا إليه هم يشكون الأمير عباس بأنّه لم يقم

بنفقاتهم، فكتب الجزار إلى الأمير عباس أن يسير إلى حاصبيا وبلغ الأمير تبددهم فسار إلى دير القمر ومعه جرجس باز.

وفي سنة ١٨٠٢م اتّفق العمادية مع الأمير سلمان سيّد أحمد على أن البلاد وسار إلى عين صوفر، فقرّ رأيهم أنّه يكون شريكاً للأمير عباس في ا وعرضوا للجزار، فأجابهم أن يحضر الأمير سلمان إلى عكا فحضر فرحه ووعده بالولاية وبقي هناك. وفي سنة ١٨٠٣م عرض أصحابه العمادية للجز يأمر الأمير حسن على بالقيام معهم لطرد الأمير بشير، فكتب إليه وإلى باقي الد أن يعاونوهم على طرد الأمير بشير فتظاهروا لذلك، وبلغ الأمير بشير ما نوو من دير القمر إلى عين صوفر ومعه الشيخ بشير جنبلاط والنكدية وجرجس فخاف أهل الجرد ودانوا له، وبلغ العمادية أنّ الأمير بشير يريد أن يدهمهم في ففرّوا ليلاً إلى رأس بيروت، وسار الأمير بشير من صوفر إلى خان الحصين فقد الأمراء اللمعيون وأعيان المتن والتلاحقة واستسلموا إليه ثمّ جمع أصحاب مذ البلاد وأعيانها وكتبوا عهوداً بينهم أنّهم لا يقبلون والياً عليهم إلّا الأمير وكتبوا إلى الجزار يلتمسون له الولاية وعاد الأمير بمن معه إلى دير القمر.

وكتب الأمير بشير إلى سليمان باشا والي صيدا يستعطف خاطر الجزار فأوقف الجزار على رسالته وأثنى على الأمير بشير وصادق الحضور على كلامه الجزار أن يكتبوا إليه أن يرسل من يعتمد عليه، فأرسل كاتبه الشيخ يوسف الد فجعل الجزار يذكر له ذنوب الأمير قائلاً أين الفرنساوية أين القبطان سميه الصدر الأعظم؟ فقد بدد جميعهم سعد الجزار وخابت مساعي مولاك، مرجعه إلى هنا. وكتب إلى الأمير جواباً لطيفاً وكتب إليه سليمان باشا أن التقادم المعتادة فتوجّه له خلعة الولاية، فأرسل الأمير ستة من جياد الخيل بعدد وخمسين ألف غرش خدمة، فأرسل له خلعة الولاية على البلاد مستثنياً منه جزين وبرجا وآمراً له أن يهدم جونيه، وأن لا يباع فيها شيء، وأن يدفع ألف قرش في مدّة أربعة أشهر والباقي تباعاً. وأرسل له بعداً أربع مئة ألف عن أربع سنين مضت كما تعهّد له فأطلق له الأمير ابراهيم ابن أخيه جرجس باز وأمر الأمير سلمان أن يذهب إلى وادي التيم.

وفي سنة ١٨٠٤م توفي الجزار نقمة هذه البلاد وآفاتها الدهماء وقد أرّخ موته المعلّم الياس بأبيات منها:

لله دركِ يا منون فقد بدت منك الحياة وطاب حكمكْ واعتدل

فاز الانام وارخوه بمقصد هلك الشقي وإلى جهنّم قد رحل

وبعد موت الجزار أخرج الشيخ طاها الكردي اسماعيل باشا من السجن ونادى باسمه بناءً على أنّ الجزار بايعه بالولاية بعده، وأخرج حاييم اليهودي من السجن وأرجعه إلى منصبه كما كان، وكتب اسماعيل باشا إلى عمال ايالته يبشرهم بولايته، وكتب متسلّم دمشق من قبل الجزار إلى الأمير بشير يستشيره ويوصيه بصيانة الطرق والمحافظة على مدن الولاية، فأجاب الأمير أنّ الطرق مصونة وأنا منتظر صدور الأوامر السامية، فمن ولّته الدولة طعته، وأمّا اسماعيل باشا فلا أخضع لأوامره لأنّه اتّخذ المنصب بدون أمر الدولة. فأرسل متسلّم دمشق هذا الجواب إلى الآستانة فورد كتاب من وزير حلب إلى الأمير بشير مضمونه أنّ الدولة العلية أنعمت عليه بمنصب صيدا ودمشق وطرابلس عوض الجزار. وفي أثناء ذلك كتب إليه الشيخ طاها المذكور أن يرسل التقادم إلى اسماعيل باشا فيكرمه بخلعة الولاية ويطلق ولده الأمير قاسماً والأمير سليم ويوسف اللذين كانا مرهونين عند الجزار، فأرسل الأمير التقادم وأرسل له الباشا خلعة الولاية فلم يحفل الأمير بها لعدم إرساله الأميرين المرهونين، ثمّ ورد فرمان من السلطان سليم الثالث إلى الأمير بشير فحواه أنّه نصب ابراهيم باشا مكان الجزار وأن يكون مطيعاً له متفقاً معه، ووصل ابراهيم باشا إلى دمشق فأرسل الأمير إليه جرجس باز بمائة فارس فأمر ابراهيم باشا أن تلتقيه قواد العساكر والأعيان، ودخل جرجس باز على الوزير فأكرمه وأجلّه وأجرى له الاقامات وكان يستشيره في مهامه وبقي عنده، وورد فرمان آخر إلى الأمير مضمونه أن يتوجّه بعسكره لمساعدة ابراهيم باشا على اسماعيل باشا، وورد مرسوم للأمير من الصدر الأعظم يقول له فيه بلغني أنّ اسماعيل باشا دعاك إلى مساعدته فما أجبت دعوته، وبلغني ما أجبت به متسلّم دمشق بأنّك لا تخضع إلّا لمن توليه الدولة العلية فسوف تنال من لدن الدولة ما تبتغي، ثمّ نهض ابراهيم باشا إلى صيدا

ومعه جرجس باز فقام الأمير بعسكره وكان نحو ستة آلاف إلى جسر صيدا واعتذر لابراهيم باشا عن مقابلته، لأنّه بعد خروجه من سجن الجزار أقسم أن لا يقابل وزيراً بعد فقبل الورير عذره وأرسل له خلعة الولاية، ولمّا سار الوزير إلى حصار عكا عاد الأمير إلى دير القمر وبقي جرجس باز ورجال الأمير مع ابراهيم باشا، فقتل اسماعيل باشا، وحسن لدى الدولة تسمية سليمان باشا والي صيدا قبلاً مكانه، وبعد مخابرات مع الأمير في شأن أموال كانت باقية من أيّام الجزّار ودفع الأمير بعضها أطلق سليمان باشا الأميرين اللذين كانا مرهونين عند الجزار.

وفي سنة ١٨٠٧م كان مقتل الشيخ جرجس باز في دير القمر وأخيه الشيخ عبد الأحد باز في جبيل فالشيخ جرجس المذكور كان وصيّاً على أولاد الأمير يوسف شهاب وأقامهم على ولاية البلاد في أيّام الجزّار، ثمّ شاطرهم الأمير بشير الولاية وتولى أولاد الأمير يوسف على بلاد جبيل وما يليها بالاتفاق مع جرجس باز كما مرّ، وكان أولاد الأمير يوسف لا يفعلون أمراً إلّا بإذن مدبّرهم المذكور وهو- يفعل ما شاء بغير إذنهم ولا علمهم أيضاً، ثمّ أقام جرجس باز عند الأمير بشير في دير القمر وأخوه عبد الأحد عند أولاد الأمير يوسف في جبيل، وطابت لهما الأيّام وارتفعت منزلتهما وعظم قدرهما عند كثيرين من عمداء البلاد ولم تكن لهما حرمة للأمير بشير، بل كانا يفعلان أموراً تسوءه فيضمر لهما السوء. وكان حينئذٍ أنّ المشايخ التلاحقة فعلوا ما أغاظ الأمير بشير فصادرهم بطلب أموال، وكان منحرفاً عن المشايخ آل عبد الملك فأرسل يضيّق عليهم، وكان جرجس باز يحث الأمير على الانتقام منهم. وحضر الأمير حسن من غزير إلى دير القمر فشكا له أخوه الأمير بشير استطالة جرجس باز وأخيه واتّفقا سرّاً على إهلاكهما، وكاشفا الشيخ بشير جنبلاط ذلك فوافقهما ورجع الأمير حسن إلى غزير متظاهراً بالغيظ من أخيه لعدم دفعه المصادرة عن المشايخ. وأرسل إليهم سرّاً يقول أن يتحمّلوا تلك الأثقال وهو يعوّضهم منها، واستدعى الشيخ علي تلحوق سرّاً فكاشفه بالأمر ووافقه عليه وأفهمه أن يعلم به من يثق بحفظه السر وأن يحضر هو وبعض المشايخ مظهرين أنّهم قاصدون المسير إلى جبيل ليلتمسوا من الأمراء أولاد الأمير يوسف أن يترك لهم الأمير ما يصادرهم به. وقبل مسيرهم طلبوا كتاباً من جرجس باز إلى

أخيه عبد الأحد أنّهم يتوجّهون إليه ليصحبهم بتوصاة للأمير بشير وأرسلوه إليه قبل ذهابهم خدعة له كيلا يتوجّس منهم إذا رآهم مقبلين، ثمّ سار المشايخ اليزبكية المذكورون وسار الأمير حسن معهم ومنعوا المارة إلى جبيل وأرسلوا شرذمة من قبلهم تخبر بقدومهم نزلاء على الأمراء وتمنع من إغلاق المدينة وهجم المشايخ اليزبكية على الشيخ عبد الأحد فأطلق الرصاص على خطّار المصفى فقتله، وجرح الشيخ ناصر الدين العماد في يده، وأحاطت به الجماعة فألقى نفسه من شباك فأدركه من كان أسفل وقتلوه. هذه رواية الأمير حيدر شهاب في تاريخه. والذي رواه طنوس الشدياق في أخبار الأعيان أنّ الشيخ ناصر الدين العماد هجم على الباب فصدّه البواب فأطلق عليه خادم الشيخ ناصر الرصاص فقتله فأطلق خادم الشيخ عبد الأحد الرصاص على القاتل فقتله، فدخل حينئذٍ الشيخ ناصر بجماعته على عبد الأحد وأطلق كل منهما الرصاص فانجرحا واستلّا السيوف وأحاطت الجماعة بعبد الأحد فألقى نفسه من الشباك فقتله من كانوا أسفل، وقبضوا على عرب الشلفون والياس اده وغيرهما من حاشية أولاد الأمير يوسف.

وأمّا الأمير حسن فتوجّه توّاً إلى القلعة وقبض على أولاد الأمير يوسف وهم الأمراء حسين وسعد الدين وسليم. وفي ذلك النهار نفسه دعا الأمير بشير الشيخ جرجس باز إليه فحضر ولمّا جلس بحضرته خرج الأمير وأغلق الباب وأمر بعض أعوانه من الدروز أن يدخلوا عليه ويقتلوه فدخلوا وخنقوه وكان مقتلهما في ٥ أيّار سنة ١٨٠٧م على رواية الأمير حيدر. وفي ١٥ منه من السنة المذكورة على رواية طنوس الشدياق وأمر الأمير باخراج امرأة جرجس باز وأولاده من دارهم بالأمان وركب لساعته ومعه الشيخ بشير جنبلاط قاصداً جبيل خشية أن يكون أخوه الأمير حسن ما استطاع أن يتمّ الأمر المتّفق عليه فالتقى برسول من قبله يخبره بما كان في جبيل فصرف الأمير بشير الرجال وحضر بعد خمسة أيّام إلى جبيل وأمر بتوجيه أولاد الأمير يوسف ليقطنوا بدرعون وأن تسمل أعينهم فكان كذلك واستراح وطابت له الأيّام. انتهى ملخّصاً عن تاريخ الأمير حيدر وعن أخبار الأعيان لطنوس الشدياق.

عد ١٠٩٢

السلطان الغازي مصطفى خان الرابع

هو ابن السلطان عبد الحميد الأوّل ولد سنة ١٧٧٩م وبعد أن نودي به سلطاناً سنة ١٨٠٧م كلّف شيخ الإسلام أن يبلغ السلطان سليم الثالث خبر عزله فبلغه مظهراً أسفه، فأذعن السلطان سليم لهذا البلاغ مكرهاً وذهب إلى بلاطه المخصوص وتفرّق الجنود المنظمون، وبطل مشروع السلطان سليم الذي كان عائداً على المملكة بالنجاح بدسائس الانكشارية ومن حازبهم. ولم يكن السلطان مصطفى يستطيع أن يكبح جماحهم فأثبت الوزراء الذين كانوا يحازبون الثائرين في مناصبهم وأقام قباقبجي أوغلو رئيس الثورة حاكماً على جميع قلاع البوسفور وزاد الانكشارية تمرّداً ولمّا بلغت أخبار ما كان في الآستانة إلى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس شعر الانكشارية بما كان لأرفاقهم من الفوز ولمّا رأوا قائدهم العام حلمي ابراهيم باشا الصدر الأعظم آسفاً مما كان في الآستانة قتلوه وأقاموا مكانه جلبي مصطفى باشا ولولا اشتغال معظم جيش الروس بمحاربة نابوليون الأوّل لفعل الروس ما أرادوا بالجيوش العثمانية لكن نابوليون انتصر حينئذٍ على الروس في وقعة فريدلاند فتقهقرت الجنود الروسية المحتلّة بالبغدان دون حرب وعقب ذلك الصلح بين فرنسة وروسيا بمقتضى معاهدة تلسيت سنة ١٨٠٧م وكان من شروطها أن تكف روسيا عن محاربة الدولة العلية إلى أن يتوسّط نابوليون الصرف بينهما، وأن تنجلي عساكر الروس عن ولايتي الفلاخ والبغدان ولا تدخلها العساكر العثمانية إلى أن ينعقد الصلح بين الدولتين وقبل الفريقان ذلك ولكن لم تقم روسيا بما وعدت من إخلاء الولايتين المذكورتين.

وأمّا في الآستانة فوقعت الثورة بين رؤساء الثورة واتّفق قباقبجي أوغلو مع شيخ الإسلام على عزل نائب الصدر الأعظم مصطفى باشا المذكور فعزلوه وأبعدوه عن الآستانة وأقاموا طاهر باشا مكانه ثمّ عزلوا هذا فسافر إلى روستجك في بلغاريا لاجئاً إلى واليها مصطفى باشا البيرقدار وكان هذا الوالي من محازبي السلطان سليم ويودّ إرجاعه إلى منصّة الملك فكاشف بذلك الصدر الأعظم وغيره من الوزراء وأقنعهم بلزوم مجازاة شيخ الإسلام وقباقبجي أوغلو لخلعهما السلطان سليم

والاستئثار بالسلطة، فأصدر الصدر الأعظم الحكم على قباقبجي بالإعدام ووكل بتنفيذه حكمه إلى رجل اسمه حاجي علي، فتعهّد بالقبض عليه وسار إلى الآستانة بمائة فارس وهاجمه في داره وقتله وسار مصطفى باشا البيرقدار مع الصدر الأعظم إلى الآستانة بستة عشر ألف جندي وخيّما في خارج المدينة فخاف السلطان مصطفى من هذه الأحداث وخشي أن تتّصل إلى خلعه فعزل شيخ الإسلام وصرف جنود قباقبجي أوغلو غير المنظّمة. وفي صباح الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٨٠٨م ألقى مصطفى البيرقدار القبض على الصدر الأعظم وسار بجيشه إلى سراي السلطان طالباً إرجاع السلطان سليم إلى الملك فأمر السلطان بقتله والقاء جثّته إلى الثائرين علّهم يكفّون عن ثورتهم، فكان العكس لأنّهم ازدادوا هياجاً ونادوا بخلع السلطان مصطفى والحجر عليه في السراي حيث كان محجوراً على السلطان سليم وبعيد ذلك كان آخر العهد به وكانت مدّة ملكه ثلاثة عشر شهراً.

عد ١٠٩٣

السلطان الغازي محمود خان الثاني

هو ابن السلطان عبد الحميد الأوّل، ولد سنة ١٧٨٥م وكانت باكورة أعماله تقليده مصطفى باشا البيرقدار منصب الصدارة العظمى وأمره أن ينظّم وجاقات الانكشارية على طريقة النظام التي سنّها قبلاً السلطان سليمان القانوني وأهمل العمل بها، فانتقم البيرقدار ممن تسبّبوا بقتل السلطان سليم الثالث ثمّ جمع أعيان الدولة ووزراءها السابقين في مجلس حافل وخطب فيهم مبيناً ما كانت عليه حال الانكشارية أوّلاً وما آلت إليه الآن، وما يلزم أن يكون لهم من النظام، وأن يكون بيدهم من السلاح المخترع حديثاً الذي كان سبباً لانتصار جيش الروس عليهم في الحروب الأخيرة. وعرض عليهم عدّة اقتراحات جزيلة الفائدة منها ملازمة ثكناتهم ولاسيما غير المزوجين منهم وتمرّنهم على التعليمات العسكرية المفروضة في قانون السلطان سليمان، وعلى الأصول الجديدة المعمول بها في عساكر أوروبا، إلى غير ذلك من الإصلاحات التي لو عمل بها لأضحى جيش الانكشارية أقوى جيش

فاستحسن الحاضرون مشروع البيرقدار وأنشأوا مضبطة به وأخذ فتوى بلزوم إجرائه، وصدرت أوامره بذلك وأدخل كثيرين من العساكر المنظّمة ضباطاً في حيش الإنكشارية، فاستاء هؤلاء من ذلك وتضافروا على الإيقاع به ولم يمض إلّا زمان قليل حتى ساروا إلي فيليبية وأظهروا العصيان، فأرسل إليهم البيرقدار اثني عشر ألفاً من العساكر التي كان نظمها في روستجك ولم يبقَ عنده منها إلّا أربعة آلاف، فانتهز الانكشارية هذه الفرصة فاحرنجموا وساروا إلى سراي السلطان مصطفى في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨م قاصدين إرجاعه إلى منصّة الملك، فناصبهم البيرقدار ولمّا أحسّ بضعف عزيمة جيشه وخشي من فوز الثائرين وخلع السلطان محمود أمر بقتل السلطان مصطفى والقاء جثّته للثائرين فازدادوا هياجاً وأضرموا النار في السراي، فآثر البيرقدار الموت على التسليم إلى هذه الفئة الباغية وصبر على الدفاع إلى أن قتل، وقيل إنّه تحصّن ببرج ولمّا يئس أشعل ما كان به من البارود فهلك ومن معه تحت أنقاضه شهيد الشهامة والشجاعة.

وكان رامز باشا أمير البحر قد أحضر ثلاث سفن وصوب مدافعها على ثكنات الانكشارية ثمّ نزل إلى البر مع فريق من البحارة والمدفعية نجدةً للبيرقدار، وعاونه عبد الرحمن باشا بفرقة منظّمة مؤلّفة من ثلاثة آلاف جندي فسبق السيف العذل، ولكن ما فتئ رامز باشا وعبد الرحمن باشا باشا يقاتلان الانكشارية حتى هزماهم، وفي الغد سار جيش السلطان ومدافعه تقذف النار على الإنكشارية لاتلافهم، فلمّا رأى الثائرون أنّ لا مناص لهم أضرموا النار في كل جانب من العاصمة، ولمّا كانت أكثر محلّاتها مبنية بالأخشاب كاد الحريق يلتهم جميعها فاضطرّ السلطان محمود أن يذعن لطلبات الانكشارية وقاية للمدينة من الدمار العاجل مؤجلاً قرض الانكشارية إلى وقتٍ آخر، وبذل قصارى جهده في إخماد النار.

وتفرّغ السلطان محمود لتأمين مملكته من الخارجين ليعود إلى إصلاح الشؤون الداخلية فعقد صلحاً مع الإنكليز في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٠٩م، وافتتح المخابرات بالصلح مع روسيا واستمرّت رحى الحرب دائرة بين الدولتين، وكانت النتيجة أن انهزم يوسف باشا ضياء الصدر الأعظم واستحوذ الروس على عدّة مدن من أملاك الدولة العلية سنة ١٨٠٩ وسنة ١٨١٠م، فعزل السلطان الصدر الأعظم

المذكور ونصب مكانه أحمد باشا فانتصر على الروس سنة ١٨١١م، وأخرجهم من روستجك ببلغاريا، وبعد عدّة مواقع عاد الروس فاحتلوها إلى أن توقّدت نار الحرب بين روسيا ونابوليون الأوّل عاهل الفرنسيس، فقبلت روسيا مصالحة الدولة العلية وعقدت بينهما معاهدة بوخارست سنة ١٨١٢م، وكان من شروطها بقاء ولايتي الفلاخ والبغدان للدولة العلية وعود السرب إلى حوزتها مع بعض امتيازات، وحفظ روسيا لنفسها ولاية بساربيا، فاعتبرت فرنسة عقد هذه المعاهدة خيانة لها من قبل الدول العلية إذ تفرّغت بها جيوش روسيا لصد إغارات عساكر فرنسا عن بلادها، وأجبرت نابوليون على القهقرى بعد أن كان قد اتّصل إلى موسكو وأحرقها وهلك السواد الأعظم من جيشه عند عودهم مدحورين.

ولمّا علم السربيون أنّ معاهدة بوخارست قضت عليهم بعودهم إلى حوزة العثمانيين وذهب سدًى ما بذلوه من الأموال والأرواح آثروا الفناء بالدفاع عن استقلالهم، وأرسلت الدولة العلية جيوشها عليهم فأخضعتهم لسلطانها، فهاجر زعماء الثورة إلى النمسا والمجر منتظرين فرصةً لإهاجة الأمّة ثانيةً، وبقي أحدهم المسمى ميلوش أوبرينوفتش في بلاده مظهراً الولاء للدولة، فعيّنته في منصب حقير ودأب على بث روح الحرية والثورة إلى أن جمع سنة ١٨١٥م عصابة كبرى من الأهلين وشرع أعلام العصيان، وعاد المهاجرون إلى أوطانهم وامتدّت الثورة في أنحاء السرب فزحفت إليهم الجيوش العثمانية فقاتلهم سنتين إلى أن قبل ميلوش المذكور بالنيابة عن أمّته الرجوع إلى سلطة الدولة على شرط أنّها لا تتداخل في شؤونهم الداخلية بل يعين لإدارة البلاد مجلس مؤلف من إثني عشر عضواً ينتخبهم أعيان الأمّة وهم ينتخبون رئيساً عليهم يكون بمنزلة حاكم عام، وتكتفي الدولة بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع.

ونصبت الدولة مرعشلي باشا والياً للسرب وانتخب ميلوش رئيساً لمجلس الأمّة سنة ١٨١٧م، فاستبدّ كملك مطلق التصرّف لا سلطة للوالي العثماني إلّا الإحتلال في الحصون والقلاع.

وظهرت في هذه الأثناء شيعة الوهابيين في بلاد العرب ابتدعها رجل عربي اسمه عبد الوهاب وجل ضلاله تحريمه الشفاعة بغير الله والالتجاء إلى نبي أو رسول

أو ولي، وانبثّ هذا الضلال في أكثر العربية واستحوذ أصحابه على مكة والمدينة، فأمر السلطان محمود محمّد علي باشا والي مصر بمحاربتهم فأرسل محمّد علي باشا ابنه طوسن باشا في هذه الحملة سنة ١٨١١م، وقبل تسفيره أهلك جميع المماليك الذين كانوا آفةً لمصر وعرقلةً لمشروعاته، ونجح ابنه طوسن باشا بمحاربة الوهابيين سنة ١٨١٢م ولكنّه اضطرّ أن يعود إلى مصر فجهز محمّد علي باشا حملة أخرى على الوهابيين أمّر عليها ابنه ابراهيم باشا فأكمل إخضاع الوهابيين وعاد إلى مصر سنة ١٨١٩م.

عد ١٠٩٤

استقلال اليونان

وفي سنة ١٨٢٢م ابتدأت ثورة اليونان التي آلت إلى استقلالهم فإنّ علي باشا والي باينا أظهر العصيان فأرسلت الدولة إليه خورشيد باشا لقمعه وإخضاعه فانتشبت الحرب بينهما فانتهز اليونان هذه الفرصة فجاهروا بالعصيان وكانت وقائع بين العساكر العثمانية واليونان إلى ١٨٢٤م ولمّا رأى السلطان محمود إصرار اليونان على غيّهم وصبرهم على القتال معتصمين بجبالهم الوعرة المسالك دعا محمّد علي باشا والي مصر لمحاربتهم فلم يسعه إلّا الإذعان لمولاه الأعلى، فجهز من مصر سبعة عشر ألف مقاتل أمّر عليهم ابنه ابراهيم باشا وأصحبه بسليمان بك الفرنساوي، فساروا بالمراكب المصرية في ١٦ تموز سنة ١٨٢٤م إلى رودس واجتمعوا هناك بالأسطول العثماني ثمّ سار ابراهيم باشا إلى كريت فاحتلّها، ثمّ قصد سواحل المورة فأحل عساكره في مودن وكوردن ثمّ فتح مدينة نافارين وغيرها من المدن التي كانت بيد الثائرين، وعاون رشيد باشا رئيس الجيش العثماني على فتح ميسلونجي سنة ١٨٢٦م وعلى فتح أثينا سنة ١٨٢٧م.

وكان الرأي العام بأوروبا معاضداً لليونان واتّفقت إنكلترا وفرنسا وروسيا على إجبار الدولة العلية على منح اليونان الاستقلال الإداري، وأن يدفع اليونان جزية معيّنة يتّفق بين الدول على مقدارها وعلى التخوم بين الدولة واليونان، وأمهلت

الدول الباب العالي شهراً واحداً لإيقاف الحركات العدوانية، وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدول الثلاث أوامرها إلى قوّاد أساطيلها أن يسيروا إلى سواحل اليونان فاجتمعت هذه الأساطيل في ميناء نافارين حيث كان الأسطول العثماني والمصري مؤلفين من ٨٣ مركباً وفي ٢٠ تشرين الأوّل سنة ١٨٢٧م انتشبت الحرب بين الفريقين وسلطت أساطيل الدول مدافعها على الأسطولين العثماني والمصري فدمرتهما ولم يبقَ منهما إلّا خمسة عشر مركباً معوهة، فأرسل الباب العالي بلاغاً إلى سفراء الدول المتّحدة أقام به الحجة على صنيع هذه الدول المخالف للقوانين الدولية وطلب امتناعها عن التداخل في شؤون رعاياه وتعويض الخسائر الناجمة عن تدمير المراكب فكان جواب السفراء قطع علاقاتهم مع الدولة ونزولهم إلى مراكبهم في ٨ كانون الأول سنة ١٨٢٧، فنشر السلطان خطاً شريفاً بين فيه سوء مقاصد الدول المتحدة ودعا الأمّة للجهاد في سبيل وقاية مملكتهم من الجور والعدوان فأعلنت روسيا الحرب على الدولة العلية في ٢٦ نيسان سنة ١٨٢٨م.

ولمّا رأى ابراهيم باشا تألّب الدول على الدولة العلية وأنّ فرنسة أمرت بارسال جيش لمحاربته وإتمام استقلال اليونان اتّفق بأمر والده محمّد علي باشا مع ممثلي الدول المتّحدة على إخلاء المورة والعود إلى مصر وأخذ يسحب عساكره وكانت كلّما جلت عن محل دخله الفرنسيون. وفي ١٦ تشرين الثاني من السنة المذكورة عقدت الدول المتّحدة مؤتمراً بلندرا لتقرير مسألة اليونان ودعت الدولة لترسل إليه مندوباً فلم ترسل لئلا يحسب ذلك إقراراً بما يسنّونه، وأجمع رأي الدول المتّحدة على استقلال المورة وباقي بلاد اليونان على هيئة حكومة مستقلّة يليها أمير مسيحي تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها، وتدفع هذه الحكومة للباب العالي كل سنة خمسمائة ألف قرش، فلم تقبل الدولة هذا القرار واشتغلت بمحاربة روسيا التي عالنتها بالحرب كما سيجيء.

لمّا رأى السلطان محمود أنّ العساكر المصرية المنظمة أتت بأعمال باهرة في محاربتها اليونان تمكن رأيه من إدخال النظام الجديد في الجندية، وجمع أعيان المملكة وكبار ضباط الانكشارية في أوائل سنة ١٨٢٦م وخطب بهم سليم محمّد باشا الصدر الأعظم مبيناً ما آلت إليه حال الانكشارية من الانحطاط ولزوم ادخال

النظام العسكري في وجاقاتهم، فصوّب الحاضرون رأيه وقام كاتب سر الصدر الأعظم فتلا عليهم نظاماً لذلك مشتملاً على ستة وأربعين بنداً فقرروه ووقّع عليه جميع الحاضرين حتى ضباط الانكشارية، وأفتى المفتي بجواز العمل ومعاقبة كل مخالف له. وابتدأ تدريب العساكر به بواسطة معلمين من الافرنج فتنبه الانكشارية إلى أنّ ذلك مضيع لحقوقهم ومجحف بامتيازاتهم. وفي ١٥ حزيران سنة ١٨٢٦م تعرّض بعضهم للجند وقت تعليمهم فأمر السلطان بمعاقبة كل متعرّض بالقتل فاجتمع المتعرّضون وائتمروا على العصيان وتألّبوا في ساحة آت ميدان فأخرج السلطان العلم النبوي وسار بنفسه إليهم فأحاطت عساكره بهم وصوّبت عليهم المدافع من كل صوب وأخذت ترميهم بقللها فعكفوا إلى قلاعهم فأضرمت المدافع نارها عليها حتّى دمّرتها وأهلكت من لجأ إليها.

وفي اليوم التالي صدر الفرمان الشاهاني بابطال فيئتهم واصطلاحاتهم وملابسهم وقرضهم وصدرت الأوامر إلى جميع الولايات بإبادتهم فقتل منهم ألوف مؤلفة فلم يبق باقية لهذه الفئة الباغية وأخذ السلطان ينظّم الجيوش بهمّة لا يعروها ملل.

ولنعد إلى الكلام على الحرب مع روسيا فقد احتلّ جنودها عاصمة البغدان. وفي ١٣ من أيّار سنة ١٨٢٨م دخلت بوخارست عاصمة الفلاخ وقبضت على حاكمي الولايتين واستولت على عدّة مدن على ضفّتي الطونة وحاصرت فارنه، وأتى القيصر نقولا بنفسه لمراقبة الحصار وفتحها أخيراً بخيانة من أحد العثمانيين واحتلّ الروس عدّة قلاع وحصون في آسيا واجتازوا الطونة واخترقوا جبال البلقان حتى استحوذوا على ادرنه عنوةً ولم يبق لهم من مانع عن الدخول إلى الآستانة إلّا معارضة الدول لروسيا في امتلاكها، فدخلت الدول حينئذٍ في الصلح بين الدولتين المتحاربتين فأوقفت روسيا جيوشها عن التقدّم وعقدت معاهدة ادرنه في ١٤ أيلول سنة ١٨٢٩م.

وخلاصة ما كان في هذه المعاهدة أنّ السلطان محمود قبل التصديق على قرار الدول المتّحدة بمؤتمر لوندرا سنة ١٨٢٧م باستقلال اليونان، وأنّ تعيين حدود مملكتهم بمعرفة نواب عن هذه الدول وعن الباب العالي، وأن يكون لإدارتي الفلاخ والبغدان

استقلال إداري بحسب الإمتيازات الماضية وأنّ أميري الولايتين يكونان لمدّة حياتهما ولا يعزلان إلا لدواعٍ كبيرة تصادق عليهما الروسية والدولة العلية وأن تبقى للسرب الامتيازات المبينة في العهدة السابقة، وأن تعين التخوم بين الروسية والدولة العلية في أوروبا وفي آسيا وأن يكون لروسيا حق المرور في بوغازي البوسفور والدردنيل دون تفتيش مراكبهم، وأن تدفع الدولة تعويضاً لتجّار الروس ستة عشر مليون من الفرنكات. ثمّ أضيف إلى هذه المعاهدة أنّ التعويض لتجّار الروس يدفع أنجماً على أربع سنين، وأن تدفع الدولة غرامة حربية للروس خمسة ملايين ليره إنكليزية مقسطة عشرة أقساط على عشرة سنين ويكون جلاء عساكرهم تدريجاً بحسب دفع الأقساط المذكورة وأعلنت الدولة استقلال اليونان في ٣ أيّار سنة ١٨٣٠م.

وكان في أيّام السلطان محمود أيضاً احتلال جيش فرنسة جزائر الغرب سنة ١٨٣٠م ولا نطيل الكلام به، وكان في سنة ١٨٣١ خروج محمّد علي باشا والي مصر على سورية. ونرجئ الكلام عليه إلى الفصول التالية. وتوفي السلطان محمود إلى رحمة الله في ١ تموز سنة ١٨٣٩م.

عد ١٠٩٥

بعض ما كان بسورية في هذه المدّة

بعد مقتل جرجس باز وأخيه عبد الأحد عاد الأمير بشير إلى دير القمر وفي سنة ١٨٠٨م سار إلى غزير يعود أخاه الأمير حسن الذي كان مريضاً ثمّ توفّي وعمره ثلاث وأربعون سنة وله ولدان: الأمير ابراهيم المعتوه والأمير عبدالله، ودفن في القبة التي دفن بها أبوه وهي مدفن آل سيفا ولاة كسروان قبلاً. وسنة ١٨٠٩م أرسل سليمان باشا والي صيدا خلعة الولاية إلى الأمير بشير كالعادة مع كتاب نفيس أثبته الأمير حيدر شهاب في تاريخه (صفحة ٩١٠) وممّا قاله في هذا الكتاب: «قد أنعمنا عليه بالتزام جبل الشوف وكسروان وتوابعهما في مدّة حياته ما دام مراعياً لتلك الشروط الممضاة... وبما أنّ القانون المستديم أن تتجدّد الشروط عند دخول شهر مارث كل عام يتشرّف المومأ إليه بخلعتنا». وفي هذه السنة بنى الأمير بشير جسر نهر الكلب وكان الأمير حسن قد بناه فهدم.

وفي سنة ١٨١٠م حمل بعض الوهابيين المار ذكرهم على حوران وهدّدوا دمشق فوجس واليها يوسف باشا المسمى الكنج يوسف واستنجد سليمان باشا والي صيدا وكتب سليمان باشا إلى الأمير بشير يستمدّه فجمع الأمير خمسة عشر ألف مقاتل وسار بهم إلى جهة طبريا حيث كان سليمان باشا فاستقبله بمزيد التجلّة والتكريم وبعد ثلاثة أيّام ورد الخبر من يوسف باشا أنّ العرب رجعوا من حوران بعد أن أنزلوا بأهلها شديد الوبال، فأسرَّ سليمان باشا إلى الأمير بشير أنّ الباب العالي أرسل إليه الفرمان بولاية دمشق واستشاره في ما يعمل قائلاً: «إن ساعدتني سرنا غداً إلى دمشق ما دام يوسف باشا غائباً وإن لم تساعدني رددت الفرمان». فأجابه الأمير: «لبّيك مولاي فأنا ورجالي لخدمتك نقاتل حتى نقتل أو نبلغك مناك». وكتب حينئذٍ سليمان باشا إلى جميع العمّال يعلمهم بذلك ويدعوهم إليه وكتب الأمير إلى الملك اسماعيل صاحب حماه وعلي بك الأسعد صاحب طرابلس وغيرهما من الولاة، وقام سليمان باشا والأمير بعساكرهما نحو دمشق وبلغ الخبر إلى يوسف باشا فعاد من المزاريب إلى دمشق فأرسل سليمان باشا يعلم أهل دمشق بما أنعمت الدولة العلية عليه ويطلب أن يدخل المدينة بحسب الأمر السلطاني فخرج إليه بعض الأعيان ووقفوا على الفرمان المؤذن بنصبه، وأشار عليهم الأمير بالاذعان مبيناً سوء عاقبة العصيان ومهدداً لهم فطلبوا مهلة ثلاثة أيّام وأخبروا يوسف باشا بما رأوا وحرّضوه على التسليم فأبى، وبعد انقضاء المهلة تقدّم سليمان باشا والأمير إلى الجديدة وداريا فخرج إليهم يوسف باشا بعساكره وانتشبت نار الحرب بين الفريقين وكان النصر لعساكر سليمان باشا والأمير بشير، فانهزم يوسف باشا وعساكره مدحورين إلى المدينة وقتل منهم كثيرون. وعزم يوسف باشا أن يخرج ليلاً ويباغت عساكر أعدائه فإن ظفر بهم ثبتت قدمه بدمشق وإلّا أبعد في البرية إلى حيث شاء الله وعرف الأمير بشير وأهّب رجاله ودرى عسكر يوسف باشا بما نوى وأخذوا ينهبون أمواله فلم يعد يأمن على نفسه وانهزم إلى البرية، وعند الصباح علم سليمان باشا بانهزام يوسف باشا فدخل المدينة يصحبه الأمير بشير ورجاله فالتقاهما الأهلون بالتكريم ونادى بالأمان وفوّض إلى الأمير بشير أن يختار العمال، فأرسل مصطفى آغا بربر إلى طرابلس، والملك اسماعيل إلى حمص وحماه، وحسين آغا سركجي متسلّم بيروت إلى اللاذقية، والأمير جهجاه الحرفوش إلى

بعلبك، وأنعم سليمان باشا على الأمير قاسم ابن الأمير بشير بولاية بلاد جبيل، وعلى أخيه الأمير خليل بولاية البقاع. وللمعلّم نقولا ترك قصيدة طويلة حسنة يذكر فيها الوهابيين وبدعتهم وما كان في هذه الحملة ويهنئ الأمير بشير مادحاً له ومطلعها:

عرا الناس خطب هوله لا يقدرُ   أثارته أوغاد من البدو فجرُ
جموعٌ كأعداد الرمال خوارجٌ   شرود لدين الله والكتب أنكروا

وقال في بيت التاريخ:

وأولى الهنا للناس أرخت كلّها   فوالوه حمداً مستديماً وكرروا

سنة ١٢٢٥

وفي هذه السنة كان أوّل دخول مطعوم الجدري في لبنان، أحضر مادّة التطعيم لورلّا قنصل النمسا إلى الأمير بشير فاختبر في بعض حاشيته فظهر نفعه فوثق الأمير بذلك واستعمله لنفسه ولأسرته ففشا استعماله في البلاد. وفي سنة ١٨١١م أرسل دروز الجبل الأعلى يستنجدون الأمير بشير على أعدائهم فأرسل إليهم فارس الشدياق بجماعة وأرسل الشيخ بشير جنبلاط رجلاً من الدرور اسمه حسون ورد فحضر معهم إلى لبنان أربعمائة عائلة من الدروز وأنعم الأمير عليهم بمائة ألف قرش وأسكنهم بين الدروز بلبنان. وفي سنة ١٨١٢م شرع الأمير بعمل القناة لجر ماء نبع الصفا إلى بتدين. وفي سنة ١٨١٣م قدم من عكار إلى بتدين بطرس ابن ابراهيم كرامه الحمصي الملكي الكاثوليكي فأقامه الأمير أوّلاً معلّماً لابنه الأمير أمين ثمّ كاتباً للخارجين عن بلاده ثمّ تقدّم في دولته كما سيجيء. وفي سنة ١٨١٤م بنى الأمير بأمر سليمان باشا جسراً على نهر الدامور أنفق عليه مائة ألف قرش دفعها له الوزير.

عد ١٠٩٦
عامية أنطلياس

وفي سنة ١٨١٩م توفي سليمان باشا وكان وزيراً حليماً عادلاً استتبت الراحة

في أيّامه وكان صديقاً للأمير بشير كما رأيت وبعد وفاته أنعمت الدولة بمنصبه على عبدالله باشا الذي كان نائباً لسليمان باشا في عكا وهو ابن علي باشا الخزندار، وكتب إلى الأمير بشير يبشره بإحالة الولاية إلى عهدته، فأجابه الأمير مهنئاً ومرسلاً التقادم المعتادة، فوجّه إليه الوزير خلعة الولاية.

وفي سنة ١٨٢٠م كتب إلى الأمير أن يرسل إليه مبلغاً من المال وأرسل أحد حاشيته ليقبضه فأرسل إليه الأمير المعلّم بطرس كرامه ليمهله بهذا الطلب ويدفع له منه ما يتيسّر. فحنق الوزير وأمر بتوجيه العسكر إلى حدود ولاية الأمير وكتب إلى متسلّمي صيدا وبيروت أن يقبضا على من يجدانه من اللبنانيين في مدينتهما، فقبض متسلّم بيروت على مئة وثلاثين لبنانياً ومتسلّم صيدا على أربعين منهم. فأعاد الأمير بطرس كرامه إلى عكا يستعطف خاطر الوزير ويعرض له أنه لم يعتذر أوّلاً إلّا شفقة على الرعايا وهو الآن مستعد إلى أداء ما يريده الوزير فراق خاطره وأمر أن يرسل الأمير إليه صك تعهد بألفي كيس أي مليون من القروش لمضي شهرين، فكتبه الأمير وأرسله، فصدر أمره بإطلاق المقبوض عليهم من لبنان وبارسال خلعة رضى عن الأمير وعلبة مرصّعة بجواهر. فاستدان الأمير من الشيخ بشير جنبلاط مائتين وخمسين ألف قرش وأرسلها فأجابه الوزير مادحاً وآمراً بارسال تتمة الألف كيس الأولى ويمهله بالباقي إلى حين جمع الأموال الأميرية، وأرسل الأمير جباة لجمعها فهاج النصارى في المتن وأبوا دفع المطلوب منهم قبل أوانه وكاتبوا أهل كسروان أن يحذوا حذوهم فأجابوهم ألى ما طلبوا، واجتمع الفريقان بانطلياس وأقاموا لكل قرية من قراهم وكيلاً وأقسموا على أن لا يدفعوا سوى مال واحد وجزية واحدة على الروس، وكتبوا إلى باقي أعمال البلاد يطلبون وكلاء عن أهلها. وأتاهم الشيخ فضل الخازن وجعلوه شيخاً عليهم واجتمع عندهم حشد كبير من كل عمل إلّا الشوف والأقاليم حتّى بلغوا نحو ستة آلاف رجل، وكتبوا إلى عبدالله باشا يقولون إنّ سبب اجتماعهم إنّما هو ظلم الأمير بشير لهم فأجابهم الوزير أن لا يدفعوا إلّا مالاً واحداً حسب عادتهم، وكان بعض الأمراء الشهابيين ولاسيّما الأمير حسن علي والأمير سلمان سيّد أحمد يمالئونهم على هذا الصنيع، وقيل إنّ المطران يوسف اسطفان كان له ضلع معهم، وأرسل

الأمير يحذّرهم وينذرهم ويعدهم بالرأفة والحلم فلم يرعووا، فكتب حينئذٍ إلى الوزير إني عجزت عن الولاية وتركت بلادي وعيالي وتوجّهت نحو بلاد الشام أنتظر صفو خاطركم عليّ. فوجّه الوزير حينئذٍ بعض مشايخ الدروز الذين كان الأمير متكدّراً منهم وأصحبهم بسبعمائة مقاتل وأرسل معهم خلعة الولاية إلى الأمير حسن علي والأمير سلمان سيّد أحمد الشهابيين، وأرسل معهم الشيخ محموداً الدسوقي ليرد الأميرين إلى الإسلام، فأقام الأمير بشير وكيلاً بداره الأمير منصور أسعد ونهض بأولاده وحدمه وعشرة من أقاربه إلى حمانا، فتقدّم إليه الأمراء اللمعيون وأقسموا أنّهم لا يقبلون والياً غيره، ثمّ نهض من حمّانا إلى قب الياس بنحو خمسة آلاف رجل ومنها إلى وادي التيم، وأمّا الأميران حسن علي وسلمان سيّد أحمد فتوشّحا بخلعة الولاية ونهضا بالعسكر إلى السمقانية فالتقاهما أصحاب عامية أنطلياس، وتظاهرا بالإسلام وسارا إلى دير القمر.

ثمّ سار الأمير سلمان بالعسكر إلى وادي التيم مصحوباً بأمرٍ من عبدالله باشا إلى أمراء حاصبيا وراشيا بألّا يقبلوا الأمير بشيراً في بلادهم، فنهض الأمير إلى مجدل شمس ببلاد الحولة ثمّ إلى حوران ورجع الأمير سلمان إلى دير القمر وضبط أملاك الأمير بشير وأصحابه، فكتب الأمير بشير إلى عبدالله باشا يستعطفه إليه فأجابه إنّ خاطري لم ينحرف عنك، ولو لم تترك الولاية لما وليت غيرك فطب قلباً واسرع إلى عكا وإذا تأخّرت حسبناك تعلّقت بخدمة غيرنا، فلمّا وصل جواب الوزير إليه أجابه أرجو منك أن تدعني أقضي باقي عمري في خدمتك ورضاك وتلطّف الآن أن تأذن لي بالإقامة في بلاد جبيل أترقّب حدمتك، وكنت أود لو ساعدتني الحال أن أتشرّف برحابك ولكن لا أتمكّن من ترك من معي بين العرب ولا من إحضارهم معي، فأمنه الوزير وأذن له بالإقامة في بلاد جبيل وطلبه ليحضر إلى عكا بنفسه. فحضر الأمير إلى شفا عمرو وكان الأمير حسن والأمير سلمان أرسلا إلى عكا المشايخ علي العماد وحمود نكد وعلي تلحوق بتقادم الخلعة المعتادة، فأمرهم الوزير أن يتعهّدوا بدفع ألفين ومئتي كيس فاعتذروا، فأمر أن يبقوا في عكا إلى أن يتعهّد الأميران بدفع ذلك المبلغ، ففوّض إليهم الأميران بالتعهّد بذلك. وحينئذٍ كتب الأمير بشير إلى الوزير يستأذنه بالحضور إليه من شفا عمرو، فأجابه أنّ

حضوره وقتئذٍ يؤخّر دفع ما تعهّد به المشائخ وخيّره بمكان إقامته فاختار الإقامة بجزين. وحضر إليها فالتقاه الناس بالرهج والتجلّة وأرسل الأميران يجبيان المال فأظهر الأهلون العصاوة وطردوا الجباة من المتن وكسروان وبلاد جبيل وأخذ مشايخ البلاد وأعيانها يتواردون إلى الأمير فطلب الأميران من مشائخ العقل أن يتوسّطوا الصلح بينهم وبين الأمير بشير وتمّ الاتّفاق أنّ الأميرين يتنازلان عن الولاية ومن يختاره الجمهور يتولى. وبعدئذٍ قرّ رأي الجمهور على تولية الأمير بشير وكان عبدالله باشا قد استاء من مصالحة الأمير بشير للأميرين مع وعده له بالولاية لكنّه صفا خاطره عليه أخيراً وعهد إليه بالولاية مدّة حياته فتليت الأوامر بمحضر جماهير من البلاد بكل حفاوة وتجلّة وأنشد المعلّم بطرس كرامه حينئذٍ قصيدته المشهورة التي مطلعها:

ساقي المدام فزند الشوق قد قدحا   قم واسقنيها سلافاً وأمل لي القدحا
وعاطنيها صبوحاً كالصباح لقد   رقّ النسيم وراقت والزمان صحا

عد ١٠٩٧
عامية بلاد جبيل المعروفة بعامية لحفد

إنّ الأمير حسن علي والأمير سلمان سيّد أحمد كانا قد حضرا لدى الأمير بشير فطيّب قلبهما لكنّهما ما برحا واجسين منه فرفعا عريضة إلى عبدالله باشا يستعطفانه ويبديان خوفهما من الأمير بشير ويستأذنانه بالحضور إلى عكا، وأرسلا عريضتهما مع الأمير ملّا أرسلان من غريفه، ولمّا وصل بها إلى الوزير أمر بشنقه وأرسل عريضتهما إلى الأمير بشير يخبره بشنق الرسول وأنّه سيصنع كذلك بكل من أتاه بغير علم الأمير، ثمّ سار الأمير إلى بلاد جبيل وطلب الأمير سلمان أن يكون بخدمته فأبى الإجابة، فكتب الأمير حسن إلى الأمير سلمان يستغويه بمقاومة الأمير بشير وممالأة الجبيليين الذين كان قد بلغه هياجهم عليه فانقاد لرأيه، ولمّا بلغ الأمير بشير إلى نهر ابراهيم ورد له كتاب من ابنه الأمير قاسم أنّ أهل جبيل أظهروا العصيان وأنكروا دفع المال المرتّب، وبلغه أنّ أهل كسروان طردوا الجباة وكاتبوا أهل

بلاد جبيل يشجعونهم، فقام الأمير إلى غرفين فأتاه الخبر بأنّ أهل تلك الجهة مجتمعون بشامات يريدون قطع الطريق له فغضب وأرسل يتهددهم وينذرهم وكتب إلى الشيخ بشير جنبلاط وغيره من المشايخ أن يلحقوه برجالهم، وبقي سائراً إلى لحفد فاجتمع في حاقل أهل بلاد جبيل والبترون وبعض من كسروان وأتى رجال جبّة بشري إلى إهمج وجمهر متاولة بلاد جبيل في رام مشمش وراسلوا الأمير بأنّهم لا يدفعون إلّا مالاً واحداً وجزية واحدة، وصمّموا على العصيان وطلبوا شروطاً لا يقبلها العقل، وكان الأمير حسن والأمير سلمان يجسرانهم على العصاوة وأرسل الأمير يقول للمجتمعين إنّه ارتضى بمال واحد وجزية واحدة ويقوم هو من هذه البلاد وهم يجبون المال ويوردونه إليه.

وقبل عود رسل الأمير إليه ظهر على قمّة الجبل قبالة عسكر الأمير نحو ألفي رجل حضروا من حاقل إلى ميفوق ومعهم جماعة من أهل جبّة بشري وظهر أمامهم إلى الجنوب جماعة من المتاولة، فأمر الأمير عسكره أن لا يتعرّض لهم، وإذا هم أخذوا يطلقون الرصاص على العسكر وهو لا يسمح بالقتال إلا أن أصيب بعض ممن كانوا حوله فثار بعض العسكر واقتحموا أولئك الرجال وتبعهم الفرسان وأطبقوا عليهم وأعملوا فيهم السلاح وقتلوا منهم نحو ثمانين نفراً وهزموهم، وكان بعضهم إذا ضاق بهم مجال الانهزام ألقوا نفوسهم من شاهق إلى أسفل فيموتون وأخذوا كثيرين من الأسرى والجرحى، فعفا عنهم الأمير وأطلقهم وقتل من عسكر الأمير تسعة رجال ولمّا رأى المتاولة انهزام الثائرين أظهروا أنّهم إنّما حضروا طلباً لصفو خاطر الأمير، وقام الأمير في اليوم التالي راجعاً إلى عمشيت فطمع القوم به وتعرّضوا له في غرفين فجمع رجاله في مكان واحد وأرسل عشرين فارساً يناوشونهم القتال وينكسرون أمامهم ليحتاطهم العسكر وفعل الفوارس ذلك مرات فلم يجسروا أن يلحقوهم، فسار الأمير إلى عمشيت ثمّ إلى جبيل فورد له أمر من عبدالله باشا فحواه أنّه متأكّد خلوصه وطاعته ولذلك أمر برد عهدة جبيل إلى ولده وكان أقام بها متسلمين فأمرهما بالخروج وتسليمها إلى الأمير.

وكان الأمير قد دعا الشيخ بشير جنبلاط والشيخ علي العماد وغيرهما أن يلحقوه بالرجال كما مرّ فنهضوا ومعهم نحو ألفي رجل لنجدته، فجمع الأمير حسن

علي بعض الرجال ليمنعوا مرورهم من نهر الكلب، وكتب الأمير سلمان سيّد أحمد إلى أهالي المتن والقاطع وكسروان أن يوافوه تلك الليلة إلى نهر الكلب، فشعر المشايخ بذلك فشتتوا الأمراء وجمعهم في ساحل بيروت وسبقوهم إلى نهر الكلب فعارضهم شرذمة من الكسروانيين في نهر الكلب فهزموهم وبلغوا إلى جبيل عند الأمير وأمّا الأميران حسن وسلمان فعرّجا إلى كسروان فلم يقبل الأهلون والمشائخ الخوازنة أن يلبّوا دعوتهم إلى مقاومة الأمير فسارا إلى العاقورة ثمّ إلى تنورين ثمّ إلى حدث الجبة، وإذ لم يجدا من يقوم معهما بوجه الأمير يئسا وسارا إلى بعلبك ثمّ إلى الزبداني. وعرض الأمير ما كان لعبدالله باشا فأجابه مثنياً عليه ومشدّداً عزيمته وكتب مرسوماً إلى الرعايا يوبّخهم على عصيانهم ويهدّدهم. ومما قاله في مرسومه هذا عجبنا من دعواكم أنّ المال مضاعف، فالخراج يكون بجنب أثمان الريع ورطل الحرير كان يباع بعشرين درهماً فما دون وقد مضى على ذلك أعصار وتصاعدت الأثمان فكيف تخطر في عقولكم السخيفة هذه الدعوى الباطلة.

وأخذ الأهلون يتقاطرون إلى الأمير سائلين عفوه فنهض من جبيل إلى نهر أبي علي وحلّ عند ينبوع ماء في راسكيفا المسمى الفسقين فحضر إليه مشايخ جبة بشري يستميحون العفو فعفا عنهم وأمنهم ونهض من هناك إلى إهدن ثمّ سار إلى بشري فأجرى العقاب على بعض المذنبين، وجبى الأموال الأميرية وغرم أهل الجبة بمائتين وخمسين ألف غرش نفقة العسكر، ثمّ سار إلى جبيل وحصّن القلعة بحسب أمر عبدالله باشا وبقى هناك بأمره للمحافظة على جبيل من مراكب الأروام وغرم أهل كسروان مائتي ألف قرش وأهل القاطع بمئة ألف قرش، وأورد لعبدالله باشا ما كان قد تعهّد له به من الأموال ودفع للشيخ بشير جنبلاط ما كان قد اقترضه منه وكان ذلك سنة ١٨٢١م.

عد ١٠٩٨

حرب درويش باشا وعبدالله باشا واللبنانيين

بينما كان عبدالله باشا والياً على صيدا أرسل الباب العالي درويش باشا والياً على دمشق وحضر حينئذٍ حسن آغا العبد متسلّم البقاع إلى قرية عميق فطرده

أهلها ونهب مواشيهم ومواشي أهل الجبل وزحلة الموجودة عندهم، وبلغ ذلك إلى الأمير بشير فأمر أهل الجبل أن يرحلوا إلى الجبل وزحلة وأمر درويش باشا بالقبض على اللبنانيين الموجودين بدمشق وأرسل والياً إلى البقاع وأصحبه بمائتي فارس، فكتب الأمير إلى عبدالله باشا فأمره أن يرسل عسكراً يطرد والي البقاع، فأرسل ابنه الأمير خليلاً ففرّ الوالي إلى دمشق ونهب عسكر الأمير خليل القرى الشرقية من البقاع وساق رجالاً منها سجنهم الأمير بشير ببتدين، فكتب أحد حاشية درويش باشا إلى الأمير يظهر رغبته في الاتّفاق معه، فاستشار الأمير عبدالله باشا بذلك فأجابه لا بأس فيه، فأطلق الأمير من كانوا في سجنه من إيالة دمشق وأطلق واليها اللبنانيين الذين كانوا بسجنه، ولدى المخابرة بشروط هذا الاتّفاق أبى عبدالله باشا أن يسلم بها لما بين الوزيرين من الأحقاد بل أمر الأمير بشير أن يرسل الأمير أفندي شهاب بعسكر ليطرد الأمير منصور والي راشيا، وأمر خمسمائة فارس من عسكره أن تسير لنجدة الأمير أفندي، ووجّه الأمير ابنه الأمير خليلاً مع الأمير أفندي وأصحبهما بألف رجل من الشوف، وبلغ ذلك إلى والي دمشق فأرسل الأمير منصوراً إلى راشيا بأربعمائة فارس ثمّ سيّر خمسمائة مقاتل لنجدته، وولى الأمير فارس سيّد أحمد على حاصبيا وأرسل بصحبته أخاه الأمير سلمان المذكور (وكان درويش باشا أمّنه هو والأمير حسن علي وأقامهما عنده في دمشق) وانتشبت الحرب بين من أرسلهم عبدالله باشا ومن أرسلهم درويش باشا فكان النصر أوّلاً لعسكر دمشق ولكن عكف عسكر عبدالله باشا عليهم بوثبة هائلة فكسرهم فقتل من عسكر دمشق إثنا عشر رجلاً ومن جماعة عبدالله باشا ستة رجال.

ولمّا تحقّق الباب العالي أنّ عبد الله باشا هو المعتدي وعد درويش باشا بولاية صيدا فجهز حملة أخرى على راشيا وكتب الأمير خليل إلى والده الأمير بشير أنّ الأمير سلمان سيّد أحمد مع عسكر والي دمشق فنهض الأمير بشير ومعه حشد من الأمراء الشهابيين واللمعيين والمشائخ وحلّ في القرى المجاورة راشيا، فكتب إليه عبدالله باشا أنّ المهمة يسيرة ما كانت تقضي حضوره بنفسه وانّه مع ذلك أمر عسكره المقيم عند جسر بنات يعقوب أن يبادر إليه، ولمّا بلغ درويش باشا حضور الأمير بشير إلى جهة راشيا أرسل إليها السرعسكر بأربعمائة فارس ودارت رحى

الحرب بين الفريقين فكان النصر للأمير بشير ومن معه من العسكر. وأرسل سرعسكر دمشق يطلب منه الأمان فأجابه إليه بشرط أن يسلّمه الأمير حسن والأمير سلمان سيّد أحمد عدوّيه ففرّ الأميران ليلاً إلى دمشق وتبعهما السرعسكر بجماعته، فالتقاهم درويش باشا شاتماً لهم وتافلاً بوجوههم، وعظم الأمر عليه وكتب الأمير بشير إلى عبدالله باشا يقص عليه ما كان فأجابه مثنياً عليه وأرسل له سيفاً مرصّعاً بالجواهر وخلعةً فاخرةً وعاد بعد ذلك إلى بتدين.

ثمّ أرسل درويش باشا رجلين من حاشيته إلى الأمير بشير يشير إليه أن لا يساعد عبدالله باشا ومهما يطلبه منه ينله، وأنّ وكيله بالآستانة أخبره بتوجيه ولاية صيدا إلى عهدته عوضاً عن عبدالله باشا، فأرسل الأمير يخبر عبدالله باشا فأجابه أن يجمع عسكراً من بلاده ويتوجّه لمحاربة درويش باشا، فنهض الأمير إلى عكا قاصداً أن يقنع عبدالله بالعدول عن حرب درويش باشا خشية أن يسخط عليه السلطان فأبى الإصغاء لنصيحته وأكرم الأمير وأرسله إلى حيث عسكره عند جسر بنات يعقوب، وكان الأمير قد أرسل ابنه خليلاً بعسكر إلى تلك الجهة فكتب إليه أن يلتقيه وسار الأمير بعسكر لبنان وعسكر عبدالله باشا حتى انتهى إلى المزّة، فجمع درويش باشا عسكره وأضاف إليه الأمير حسن علي والأمير سلمان أحمد وأخاه الأمير فارساً وبعض المشائخ اليزبكية الذين انحازوا إلى درويش باشا واضطرمت نار الحرب في المزّة فكانت وقعة هائلة تذكر في هذه البلاد إلى الآن، وكانت الدائرة على عسكر دمشق وقتل منهم نحو مائتين وعشرين رجلاً وأسر نحو خمسمائة رجل منهم الشيخ حسين تلحوق، وغرق منهم كثير في نهر بردى، ومن بقي منهم محاصراً في المزّة قتل بعضهم واستسلم بعضهم إلى الأمير بشير، وفرّ الأمراء حسن علي وسلمان سيّد أحمد وأخوه فارس إلى صيدنايا ثمّ إلى قارة والنبك، وخاف درويش باشا من قدوم عسكر عبدالله باشا والأمير بشير وهياج الدمشقيين عليه فأقفل أبواب المدينة وتحصّن بالقلعة وأرسل الأمير بشير بعض الرؤوس المقطوعة وبعض الأسرى إلى عبدالله باشا وأطلق من أسر من اللبنانيين فكتب إليه عبدالله باشا يثني عليه أطيب الثناء.

وكان الباب العالي في هذه الأثناء عزل عبدالله باشا عن إيالة صيدا بناءً على تعدّيه، ونصب مكانه درويش باشا وأمر مصطفى باشا والي حلب أن يحضر إلى دمشق لمعاونته وتنفيذ الأمر العالي، وأخذ بالمسير فالتقاه الأمراء حسن علي وسلمان سيّد أحمد وأخوه فارس إلى حمص، ولمّا بلغ إلى دمشق كتب إلى الأمير بشير يخبره أنّه أتى دمشق لمساعدة درويش باشا وأرسل له صورة الفرمان المؤذنة بتوليته إيالة صيدا، وأمره أن يطلق عساكره ويعود إلى بلاده مطيعاً الأوامر العالية، فأذعن الأمير وعاد إلى بتدين. وكتب درويش باشا كتاباً إلى اللبنانيين فحواه أنّ الدولة العلية عزلت عبدالله باشا وأمرت بنفيه وأنعمت علي بمنصب دمشق. وقال قد استدعينا الأمير بشير لخدمتنا فأبى ولذلك عزلناه عن ولايته، وتوسّط الشيخ بشير جنبلاط في إدخال الأمير في خاطر درويش باشا وبقائه في الولاية فطلب الباشا أن يحضر الأمير إليه طائعاً ويرهن له أحد أولاده، فأبى الأمير واتّفق مع الشيخ بشير على تولية الأمير عباس أسعد وتحالفا على الأمانة وعدم الخيانة. وسعى الشيخ بشير بذلك لدى درويش باشا وتعهّد له بدفع ألف قرش ورهن له عليها ابنه الشيخ نعمان، وقام الأمير بشير من بتدّين إلى بيروت وولى درويش باشا على لبنان الأمير عباس أسعد، وكتب إلى الأمير بشير يشير عليه أن يقوم من البلاد وإلّا فيقبض عليه درويش باشا، فسافر الأمير إلى مصر ومعه ابناه الأميران خليل وأمين وبعض حاشيته وسارت عساكر درويش باشا ومصطفى باشا إلى عكا فحاصرت عبدالله باشا فيها، وكان ذلك سنة ١٨٢٢ ومن شاء مزيد بيان في هذه الأحداث فليطالع تاريخ الأمير حيدر شهاب واخبار الأعيان للشيخ طنوس الشدياق فهما شاهدا عيان لها.

عد ١٠٩٩

ما كان للأمير بشير بمصر وعود عبدالله باشا إلى الولاية

إنّ الأمير بشير لقي من جانب محمّد علي باشا عزيز مصر ومن قبل عماله وأعوانه كل تجلّة وتكريم، وقد حظي بمقابلة العزيز مرات فبذل له صنوف التوقير

والإجلال وقد رأى ما تناهى به الأمير من الشهامة والشجاعة والأمانة فأسرَّ إليه بما ينويه من الخروج إلى سورية وما ييسّر للأمير أن يؤديه له من الخدم والمساعدة على غرضه، فعرض له الأمير ما كان لعبدالله باشا مطرئاً عليه وسأله أن يساعده لدى الدولة العلية لينال عفوها وعوده إلى خدمتها في إيالته، فأجاب سؤاله وأرسل موفداً إلى الآستانة بهذا الشأن.

وكان حينئذٍ أنّ الدولة العلية نصبت مصطفى باشا المار ذكره والياً على إيالة صيدا مع بقاء درويش باشا والياً على إيالة دمشق، فكتب مصطفى باشا إلى الأمير بشير يدعوه إلى العود إلى بلاده فاستشار عزيز مصر بالجواب، فأمره أن يجيبه أنّه مقيم بمصر مشمولاً بالتفات عزيزها فحنق مصطفى باشا من هذا الجواب وأمر الأمير عباس أسعد أن ينبه على أهل بلاده ألّا يكاتب أحدهم الأمير بشير. وتوفي وقتئذٍ الأمير بشير علي شهاب واجتمع أعيان البلاد في مأتمه فتلا الأمير عباس عليهم أمر الوزير وحذّرهم من المخالفة وأمر محمّد علي باشا الأمير بشير أن يرسل أحد خدمه إلى عكا يخبر عبدالله باشا أنّه أرسل إلى الدولة طالباً إرجاعه إلى ولايته ويشدده على الثبوت بالحصار، فأرسل الأمير أحد خواصه يبشر عبدالله باشا بذلك وكتب إلى بعض أعيان البلاد يخبرهم به فاستبشروا وفرح محازبو الأمير.

وبعد أيّام حضر فرمان بالعفو عن عبدالله باشا وأن يخرج من عكا بماله ورجاله ويذهب إلى مصر آمناً فلم يرضَ محمّد علي باشا هذا الحواب، وأنفذ رسولاً إلى الصدر الأعظم يلحّ ببقاء عبدالله باشا بعكا، فورد له الجواب أن يبقى فيها ولكن دون ولاية فراجع العزيز طالباً الولاية فأجيب إلى طلبه وصدر الفرمان بذلك فاستدعى العزيز الأمير بشيراً إليه وأعلمه بالخبر فاستأذن الأمير عزيز مصر بالعود إلى بلاده وكتب محمّد علي باشا إلى مصطفى باشا أن يرفع الحصار عن عكا إلى أن يصل إليه فرمان العفو عن عبدالله باشا، وأنعم على الأمير وابنيه بحلل فاخرة وخيل جياد وأكرمه بمائة وخمسين ألف قرش. فسار الأمير ومعه سلاحدار من قبل العزيز وكتب إلى أعيان البلاد يبشّرهم بقدومه ظافراً. ولمّا أقبل بالسفينة على عكا أمر عبدالله باشا بإطلاق المدافع ترحيباً له والتقاه بأكابر دولته وأعيان المدينة بعظيم الإحتفاء. وفي الغد خرج السلاحدار إلى معسكر مصطفى

باشا وبلغه أمر الدولة برفع الحصار عن عكا، فأذعن للأمر وانصرف عن عكا وكتب عبدالله باشا والأمير إلى اللبنانيين يبشرانهم بما كان من الفوز، وأرسل الأمير ابنيه إلى بتدين وكتب إلى الأمير عبّاس أن يبقى مباشراً الولاية، وأقام في عكا أربعين يوماً، ثمّ سار إلى صيدا فالتقاه أصحاب المناصب والأعيان مهنئين وصحبوه بموكب عظيم إلى بتدين.

عد ١١٠٠

ما كان بين الأمير بشير والشيخ بشير جنبلاط
ويعرف بحركة المختارة

يظهر أنّ الشيخ بشير جنبلاط كان قد اتّفق مع الأمير عباس شهاب والي لبنان على أمور تخالف رضى الأمير بشير في مدّة غيابه بمصر، ولذلك كان الشيخ بشير واجساً بعد عود الأمير إلى الولاية، وقام إلى جباع الشوف وأرسل يستعطف خاطر الأمير ليكون عزيزاً لديه كما كان قبلاً، فأجابه طالباً منه ألف ألف قرش لأنّ الدولة كانت تطلب من عبدالله باشا نفقة الجنود التي أرسلتها إلى سورية خمسة وعشرين ألف كيس، وأخصّ الأمير بشير بمبلغ منها فدفع الشيخ بشير قسماً من المطلوب واعتذر عن دفع الباقي واستمرّ واجساً، وطلب من والي دمشق أن يأذن له بالإقامة بوادي التيم تحت كنفه فأذنه، ونهض إليه من الأمراء اللمعيين الأمير سلمان وأخوه الأمير موسى ونصر وبعض الشوفيين والمتنيين وانضمّ إليه أيضاً الأمير عبّاس المذكور وأخوه الأمير حسن ومدبّره الشيخ مرعي الدحداح وغيرهم من الأمراء الشهابيين. وكتب الأمير إلى والي دمشق أنّ له على الأمير عباس مائتي ألف قرش من المال الأميري في أيّام ولايته، ولمّا طولب بها قال إنّها مطلوبة من الشيخ بشير. وفي سنة ١٨٢٣ سار الأمير عباس إلى عكا ملتمساً من عبدالله باشا صفو خاطره عليه وعلى النازحين جميعاً ورفع الطلب عنه للمائتي ألف قرش، فكتب الباشا إلى الأمير يعلمه بذلك وأرسل إلى الشيخ بشير يطلب منه هذا المبلغ فأرسل له صكاً متعهداً بدفعه بعد عوده إلى بيته، وصكاً آخر بمبلغ أربعمائة وخمسين ألف قرش يجبيها من المقتدرين

فقبل الوزير الصك الأوّل ورفض الثاني، وأمر الأمير بشير من نزحوا إلى وادي التيم أن يعودوا إلى أوطانهم فعادوا. وحاول الشيخ بشير استرضاء الأمير فاستأذنه بالحضور إلى بتدين فأذنه، ولخوفه أصحب معه نحو ألفي رجل تركهم على مقربة من بتدين ودخل على الأمير بجماعة قليلة رجلاً ذليلاً، فطيّب الأمير قلبه لكنّه لم يزل واجساً والأمير ما برح مؤاخذاً له بكثرة الرجال الذين حضروا معه إلى قرب بتدين وعاد إلى إيالة دمشق، فورد أمر من عزيز مصر إلى والي دمشق أن يطرد الشيخ بشير من إيالته فخاف وتوجّه إلى حوران ومعه الأمراء الأرسلانيون ومائتا رجل، فضبط الأمير بشير أملاكه كلّها وطالبه والي دمشق بالمال الذي وعده به فاعتذر عن دفعه فتكدّر منه وانضمّ في هذه المدّة إلى الشيخ بشير الشيخ أسعد النكدي بجماعته والشيخ علي العماد وجماعته وكاتبوا الأمراء سلمان سيّد أحمد وأخاه فارساً وحسن أسعد الشهابيين ليقوموا معهم على الأمير بشير، فأجابوهم إلى ما طلبوا وحسنوا للأمير عباس أسعد الولاية فانضوى إليهم وتبعهم غيرهم من الأمراء الشهابيين وبعض اللمعيين. واجتمع هؤلاء جميعاً في المختارة سنة ١٨٢٥م وكاتبوا الشيخ بشير ليسرع بالحضور إلى لبنان وكان حينئذٍ في جهات عكار فحضر إلى المنية بجوار طرابلس ثمّ إلى البترون ثمّ إلى زوق ميكايل واستنهض المشايخ الخوازنة فلم يصحبه منهم إلّا القليل، ثمّ سار إلى برمانا وحمانا ليحزب وجوه المتن معه أمّا الأمير بشير فأرسل ينصح المجتمعين بالمختارة فلم يقبلوا نصيحته. وكتب إلى عبدالله باشا فشجّعه على مقاومتهم وأرسل إليه عسكراً ولمّا علم المجتمعون ذلك أرسلوا فريقاً منهم يقطع الطريق على عسكر عبدالله باشا ونهضوا إلى السمقانية قاصدين حرب الأمير قبل وصول عسكر الوزير. وفي ٥ كانون الثاني سنة ١٨٢٥م أطلّوا على بتدين وأشهروا الحرب وجعلوا يطلقون الرصاص فأرسل الأمير ابنه الأمير خليلاً ليمنعهم من الحرب فلم ينثنوا فهبّت إليهم حينئذٍ رجال الأمير وأصيب الشيخ علي العماد برصاص فرجع فانكسر أصحابه إلى السمقانية وتبعهم عسكر الأمير إلى هناك واشتدّ القتال إلى المغرب فقتل من عسكر الأمير رجلان ومن عسكر الأمراء تسعة رجال ورجع عسكر الأمير إلى بتدّين وذهب الآخرون إلى المختارة.

أمّا الشيخ بشير فوصل تلك الليلة إلى كفرنبرح وسار صباحاً إلى المختارة وطلب

الصلح من الأمير فلم يتّفق عليه بينهما، وقام عبدالله باشا بعسكره إلى صيدا لنجدة الأمير وأرسل مؤناً ومدافع إلى الأمير لحصار المختارة، وكتب إليه مصطفى باشا والي دمشق أنّ عسكره مستعد لاسعافه، وحضر إليه الأمير حيدر اسماعيل والأمير شديد مراد اللمعيان بألفي رجل، وكتب إليه ابنه الأمير أمين الذي كان قد وجّهه إلى مصر أنّ العزيز مستعدّ أن يرسل عسكراً مع ابنه طوسن باشا لتأييده، ثمّ نهض الأمير إلى السمقانية بالعساكر وأرسل شرذمة إلى مطل المختارة فالتقاهم عسكر الأمراء والشيخ بشير واصطلت نار الحرب واستمرّت متسعرة إلى المغيب، فقتل من عسكر الأمير سبعة رجال ومن عسكر الأمراء خمسة عشر رجلاً وأسر منهم جماعة، فأمر الأمير بشير باطلاقهم، ثمّ التقوا في اليوم التالي في ظهر الجديدة فقتل من عسكر الأمراء أربعون رجلاً ومن عسكر الأمير عشرة رجال، وفي تلك الليلة انفض رجال الشوف الذين مع الأمراء إلى أماكنهم وأرسل الأمير بشير ينصح من بقوا في المختارة أنّ من سلم منهم فله الأمان ما عدا الأمراء الشهابيين والشيخ بشيراً فانفض عنهم الأمراء اللمعيون برجالهم إلى المتن وبعض الأمراء الأرسلانيين إلىالشويفات. ولمّا رأى الأمراء الشهابيون والمشايخ ذلك فرّوا ليلاً من المختارة إلى جزين قاصدين حوران.

أرسل الأمير بشير ابنه الأمير خليلاً يتعقّبهم بمؤازرة العساكر في ولايتي صيدا ودمشق وفارق بعض الأمراء الشيخ بشيراً واختبأوا إذ كان هو ومن بقي معه بحوران وفد إليهم عسكر دمشق وأخذ قائدهم يخادعهم ليسلموا إليه ضامناً لهم رضى وزير دمشق، فاطمأنوا ورجعوا إلى دمشق فقطع واليها رأس علي العماد وسجن الباقين في القلعة، وكتب إلى عبدالله باشا فطلب أن يرسلهم إليه فأرسلهم فحبسهم عبدالله باشا أوّلاً ثمّ أمر بشنق الشيخ بشير والشيخ أمين العماد وابقاء جثّتيهما مطروحتين أمام باب عكا ثلاثة أيّام. وأمّا الأمراء سلمان سيّد أحمد وأخوه الأمير فارس والأمير عبّاس أسعد فقبض عليهم وأمر الأمير بسمل أعينهم وقطع رؤوس ألسنتهم ورجوعهم إلى منازلهم. وكتب عبدالله باشا إلى الأمير بشير أن يهدم الجامع الذي بناه الشيخ بشير في المختارة فهدمه.

عد ١١٠١

حضور مراكب الأروام إلى بيروت وحصار قلعة سانور

في سنة ١٨٢٦ لما كانت حرب الاستقلال في المورة حضر ليلاً ثلاثة عشر مركباً من الاروام إلى بيروت ورست تجاه المحل المسمى برج أبي هدير (المسمّى برج أبي حيدر الآن) وخرج منها عسكر إلى البر ونصبوا سلالم على سور المدينة ودخلوها وقدمت مراكبهم إلى المينا فهجم عليهم المسلمون فأخرجوهم من المدينة واستؤنف القتال في خارج الأسوار فقتل من الأروام سبعة رجال ومن المسلمين خمسة، فكتب متسلّم بيروت إلى عبدالله باشا يخبره بما كان ولمّا علم بذلك الأمير بشير أرسل ابنه الأمير خليلاً ببعض الرجال إلى حرش بيروت ثمّ قام بنفسه إلى هناك وكتب إلى عمّاله بلبنان أن يلتقوه بالرحال، وقدم مدبر عبدالله باشا إلى بيروت فلمّا رأى الأروام كثرة العساكر أقلعوا إلى بلادهم، فشكا بعض المسلمين النصارى بأنّ قدوم مراكب الأروام كان بوسيلة من بعضهم، وقبض مدبر الوزير على بعض النصارى فهربوا إلى الجبل فكتب الأمير بشير إلى الوزير يلتمس إطلاق المقبوص عليهم وردّ ما أخذ منهم فأمر مدبّره بإطلاقهم، فأطلقهم وأمّن الفارّين منهم وبدل رجال الشحنة من المسلمين وأقام مكانهم حامية من الأرناؤوط.

وفي سنة ١٨٢٩م انتقض النابلسيون على عبدالله باشا فأرسل عسكراً لكبتهم فتحصّنوا بقلعة سانور فكتب إلى الأمير بشير أن يجمع ألفي رجل من بلاده ويسير لفتح القلعة، فجمعهم وعهد بتدبير شؤون لبنان إلى ابنه الأمير أمين. وفي افتتاح سنة ١٨٣٠م سار إلى عكا فرحّب به الوزير وأكرمه وابنه الأمير خليلاً وبعض حاشيته بخلع وهدايا فاخرة ثمّ نهض الأمير بالعسكر إلى الناصرة ثمّ إلى قرية جبين ثمّ أقبل على قلعة سانور حيث كان عسكر الوزير فاستقبلوه بالابتهاج وأخذ يدبر العساكر في حصار هذه القلعة الحصينة، وفي ذات ليلة خرج النابلسيون من القلعة ودهموا الأرناؤوط من عساكر الوزير واستظهروا عليهم وحاولوا أخذ المدافع منهم فأرسل الأمير جماعة من عسكره فهزموا النابلسيين إلى القلعة ودنوا من جدارها، وكانت النساء من القلعة تغمس اللحف بالزيت وتشعلها وترميها لينظر النابلسيون عسكر الأمير ويطلقوا الرصاص عليهم فدام القتال إلى

الصباح ثمّ استؤنف في ثلاثة أيّام. وجمهر النابلسيون الخارجون عن الحصار ومعهم ثلاث مئة فارس من العرب وأخذوا يمنعون العساكر عن استقاء الماء فوثب عليهم جماعة من عسكر الأمير فهزموهم إلى قرية عجة واعتصموا بها، فحاصرهم رجال الأمير فيها ثمّ ظهروا عليهم وهزموهم وأعملوا في أقفيتهم السلاح وأحرقوا القرية وقبضوا على من استمروا محاصرين فيها، فقتلوا منهم تسعين رجلاً وأسروا ربعة عشر فأرسل الأمير أولئك الأسرى ورؤوس القتلى إلى عبدالله باشا، فكتب إليه يثني على شجاعته وهمّته. ثمّ أخذ عسكر الأمير والوزير ينهب ويحرق قرى بلاد نابلس حتى وقعت رهبة الأمير في قلوب جميعهم، وبدأوا يستسلمون إليه فئة فئة. وكان عبدالله باشا قد قبض على بعض مشائخ نابلس وأبقاهم في عكا فاستدعاهم حينئذٍ وأخذ يهدّدهم بالأمير بشير وصولته فجعلوا يعتذرون إليه بأنّ ما فعله أصحابهم بنابلس لم يكن بعلمهم وتعهّدوا له بدفع مبلغ وافر من المال ورهنوا أولادهم عنده فطيّب قلبهم وخلع عليهم وصرفهم في بلادهم وأرسلهم إلى الأمير بشير فتعاطوا معه أمر تسليم القلعة، ولمّا تمّ ذلك وانتشرت أعلام الأمان طفق بنو الجرار وأصحابهم يخرجون من القلعة بعيالهم وأموالهم وأمر الأمير ابنه الأمير خليلاً أن يحافظ عليهم في طريقهم إلى موطنهم وكانت مدّة الحصار ثلاثة أشهر. وأمر عبدالله باشا بدك القلعة حتى أسُسِها وتعطيل آبارها ومغاورها، وغشّى مدافعه بجوخ أحمر إشارة إلى أنّها فتحت هذه القلعة الشهيرة، ورجع الأمير بعسكره وعسكر الوزير إلى عكا ولم يسمح الوزير للأمير بالدخول إليها ضناً بحياته لأنّ الطاعون كان فاشياً فيها، فسار إلى بلاده والتقاه الأمراء والأعيان إلى صيدا ثمّ سار بالأبهة والمجد إلى بتدين وسمح برجوع من كانوا قد نزحوا من الدروز وغيرهم إلى أوطانهم وطيّب قلوب من كانوا واجسين منه وصفت له الأيّام وطاب العيش.

عد ١١٠٢
خروج محمّد علي باشا على سورية

إنّ محمّد علي باشا كان ينوي الانتقاض على الدولة والخروج على سورية ولذلك بذل للأمير بشير صنوف التكريم لدى شخوصه إلى مصر وألحّ على الباب

العالي بالعفو عن عبدالله باشا وارجاعه إلى ولاية صيدا كما مرّ، وانتهز فرصة اتّحاد فرنسة وروسيا وانكلترا على استقلال اليونان خلافاً لمصلحة الدولة وتوسّل لخروجه بطلبه من عبدالله باشا المهاجرين من مصر إلى سورية بسبب السخرة فلم يجبه عبدالله باشا إلى ذلك، فأرسل سنة ١٨٣١م عساكره براً وبحراً إلى سورية وأمّر عليها ابنه ابراهيم باشا الذي كان قد رأى كفاءته ومهارته في حروبه للوهابيين واليونان في مورة، فسار ابراهيم باشا وسليمان بك الفرنساوي بمنزلة قائمقام له في الأسطول المصري إلى حيفا وكان الجيش البري قد سبقه من طريق العريش وفتح غزّة ويافا وبيت المقدس ونابلس وجعل حيفا مركزاً لأركان حربه ومستودعاً للذخائر والعدد الحربية، ثمّ سار في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٨٣١م إلى عكا فحاصرها براً وبحراً وكتب ابراهيم باشا إلى الأمير بشير فالتقاه إلى عكا فقبله مرحّباً وأنزله في حيمة نصبت له في قرب خيمة الوزير، وكتب عزيز مصر إلى ابنه ابراهيم باشا أن يفوّض إلى الأمير تدبير شؤون صيدا وأن يعتمد رأيه في تنصيب أصحاب الاقطاعات.

ولمّا بلغ الباب العالي ما كان اعتده عصياناً وانتقاضاً من محمّد علي وأوعز إلى عثمان باشا والي حلب أن يقوم بالعساكر لمناوأة ابراهيم باشا، فجمع نحو عشرين ألف جندي وسار قاصداً عكا فترك ابراهيم باشا فريقاً من جيشه يواصل حصار عكا وهبّ بمعظم جيشه لملاقاة عثمان باشا، وأوعز إلى الأمير خليل ابن الأمير بشير أن يتوجّه بألف رجل من اللبنانيين إلى طرابلس للمحافظة عليها من عسكر عثمان باشا ووجه الأمير قاسماً بألفي لبناني إلى زحلة للمحافظة على ذخائر العسكر المصري وعيّن لكل رجل من اللبنانيين خمسين قرشاً في الشهر. وأرسل عثمان باشا مدبّره من اللاذقية فجمع عسكراً في طريقه وأقبل على طرابلس فخرج إليه الأمير خليل وبدّد شمل جماعته، وكتب عثمان باشا إلى الطرابلسيين يعدهم بقدومه فوقع الكتاب بيد مصطفى آغا بربر حاكمها حينئذٍ فقتل الرسل وقبض على القاضي والمفتي وبعض الأعيان وأودعهم السجن بالقلعة، ثمّ أتى عثمان باشا بنحو أربعة آلاف مقاتل إلى المنية وتقدّم إلى طرابلس فالتقاه الأمير خليل ومصطفى آغا بربر فهزموه وجنوده إلى محلّة البدّاوي في ظاهر

طرابلس، ثمّ وفد إليهم ابراهيم باشا ففرّ عثمان باشا ليلاً إلى جهة حماه ونهض ابراهيم باشا في أثره إلى حمص فكانت هناك وقعة هائلة انتصر بها ابراهيم باشا وبدّد شمل عسكر عثمان باشا.

وعاد ابراهيم باشا إلى عكا فشدّد عليها الحصار ودخلها عنوةً في ٢٧ أيّار سنة ١٨٣٢م وأخذ عبدالله باشا أسيراً وأرسله إلى مصر وأمنه على دمه وعرضه وماله، ثمّ سار ابراهيم باشا إلى دمشق ولاقاه الأمير بشير ومعه بعض الأمراء إلى داريا فجمع علي باشا والي دمشق عسكراً وخرج لقتال ابراهيم باشا فأرسل إليه فريقاً من عسكره فانهزم والي دمشق إلى حمص ودخلت العساكر المصرية المدينة ونادى ابراهيم باشا بالأمان، فجهزت الدولة العلية في هذه الأثناء جيشاً منظّماً لا يقل عن ستين ألفاً وأمرت عليه حسين باشا فسار إلى سورية وبلغ إلى نواحي حمص فنهض ابراهيم باشا ومعه الأمير بشير من دمشق فالتقى الجيشان عند بحيرة حمص وتسعّرت نار الوغى فكان النصر لابراهيم باشا، وقتل من الجيش العثماني نحو ثلاثة آلاف رجل وأسر ألف وبات ابراهيم باشا الليلة بحمص وترك الأمير بشيراً فيها وجدّ هو في لحاق العساكر العثمانية إلى حلب، فدخلها في ١٧ تموز سنة ١٨٣٢ بعد موقعة هائلة وانهزم حسين باشا وتحصّن في أمنع مضائق جبل طوروس المسمّى بكيليك بوغازاي بوغاز كيليكيا المشهور بتاريخ اسكندر الكبير وتاريخ الصليبيين فلحقه ابراهيم باشا إلى هناك بجيشه واشتدّ القتال بين الجيشين فشتت ابراهيم باشا الجيش العثماني في ٢٩ تموز من السنة المذكورة.

جهز الباب العالي جيشاً آخر أمّر عليه رشيد باشا وأرسله إلى الأناضول إذ كان ابراهيم باشا استحوذ على كل ما كان من البلاد إلى مدينة قونية في وسط الأناضول فالتقى الجيشان على مقربة من هذه المدينة وتأجّجت نار الحرب بينهما وكانت الدائرة على الجيش العثماني إذ ظهر عليه الجيش المصري حتّى أخذ ابراهيم باشا رشيد باشا أسيراً في ١٢ كانون الأوّل سنة ١٨٣٢م، وسارت العساكر المصرية حتّى ضواحي مدينة بورصة فعظم القلق في الآستانة وخيف من مهاجمة ابراهيم باشا لها، وكتب ابراهيم باشا إلى الأمير بشير أنّه يريد أن يستدعي العساكر المقيمة في محافظة المدن، فعليه أن يرسل من أقاربه من يدبر أمور بيروت وصيدا وصور

فأرسل الأمير بشير الأمير ملحم حيدر إلى بيروت والأمير بشير ملحم إلى صيدا والأمير حسن أسعد إلى صور.

وفي سنة ١٨٣٣م أظهر بعض الصفديين العصيان ونهبوا مال اليهود فأمر ابراهيم باشا الأمير بشير أن يجمع الرجال ويسير لتأديبهم وردعهم فسار بعسكر من لبنان فتهيبه الثائرون وخضعوا لسلطة الحكومة فطيّب الأمير قلبهم وأمرهم بأن يردّوا ما سلبوه من اليهود وقبض على أكثر السالبين، وأمر الأمير أفندي أن يجمع المال منهم. وأمره الوزير أن يجمع السلاح من صفد فجمعه من صفد ونواحي صور وعاد إلى بتدين. وقد ثار أيضاً بعض الطرابلسيين والنصيرية فكتب ابراهيم باشا إلى الأمير بشير أن يرسل ولده الأمير خليلاً بألف مقاتل إلى طرابلس لملاقاة سليم بك المعيّن لردع الثائرين فسار الأمير خليل والتقاه سليم بك فأمرا بالقبض على خمسة وعشرين رجلاً من الطرابلسيين وسجناهم في القلعة، ثمّ نهضا إلى عكار فقبضا على أسعد بك المرعب وأسعد بك الشديد وعلى ثلاثين رجلاً من وجوه عكار، وخاف مصطفى آغا بربر أن يعزى إليه عصيان الطرابلسيين فالتمس من الأمير بشير أن يستميح له صفو خاطر ابراهيم باشا فأجابه الوزير إلى ذلك وأمن بربراً وعاد آمناً إلى داره في قرية إيعال، ثمّ نهض الأمير خليل وسليم بك المذكور إلى بلاد النصيرية فدوخا تلك البلاد بعد مناوشات في محلّات كثيرة ونهبت العساكر وأحرقت كثيراً من قراهم.

وفي سنة ١٨٣٤م طلب ابراهيم باشا ألف وستمائة شاب من الدروز ليدخلهم بعسكره المنظّم وأمر الأمير بشير بجمعهم فاعتذر له بأن ليس عندهم هذا العدد فاكتفى بنصفه وأمر الأمير أصحاب المناصب بجمعه فأبى الدروز الإذعان وتعصّبوا فكتب ابراهيم باشا إلى الأمير أنّه قادم إلى بتدين لجمع سلاح الدروز، ثمّ حضر بعشرة آلاف من عسكره المنظّم وحلّ بدير القمر فتولى الرعب الدروز وأخذوا يقدمون سلاحهم ثمّ طلب سلاح أعيانهم فقدّموه، وأمر نصارى دير القمر بتقديم سلاحهم فقدّموه ثمّ عمم أمره إلى جميع النصارى وأرسل الأمير رجالاً لجمعه ولمّا تمّ جمع السلاح أمر الأمير أن يطلب من الدروز ألف ومائتي شاب ليدخلهم في عسكره المنظّم فجمع الأمير المطلوبين وأرسلهم إلى عكا.

وفي سنة ١٨٣٥م أمر ابراهيم باشا بأخذ جنود من دروز حوران ووادي التيم

فأبوا وانضوى إليهم عرب تلك النواحي فأمر والي دمشق أن يرسل عليهم عسكراً إلى اللجا فقاتلوا العسكر وكسروه، وأرسل عليهم عسكراً آخر أمر عليه محمّد باشا فحاربوه وقتلوا قائده، وكان دروز وادي التيم وإقليم البلّان ينجدونهم وفي مقدّمتهم رجل يسمى شبلي العريان، فكتب ابراهيم باشا إلى والده أن يرسل عسكراً من الأرناؤوط لأنّهم أصلح للحرب في الوعر، فأرسل له أربعة آلاف أرناؤوطي بإمرة مصطفى باشا فحارب الدروز ولم يفز منهم بطائل. فكتب ابراهيم باشا إلى الأمير بشير أن يوجّه حفيده الأمير مجيد قاسم إلى جهات دمشق لصدّ دروز لبنان عن إنجاد الدروز بحوران وأن يوجّه حفيده الآخر الأمير محمود خليل إلى حاصبيا لارهاب الدروز، ولم يتمكّن الأميران أيضاً من فوز يذكر وكان دروز لبنان ينجدونهم أوّلاً سرّاً ثمّ جهاراً، فحضر ابراهيم باشا إلى دمشق وكتب إلى الأمير بشير أن يجمع أربعة آلاف مقاتل من نصارى لبنان ويسلّمهم أسلحة يملّكهم إياها ويرسلهم بصحبة ولده الأمير خليل إلى حاصبيا، وقام ابراهيم باشا إلى هناك وكانت وقعات بين هؤلاء والدروز آخرها أنّ الدروز أكرهوا على التسليم ورجعوا إلى أوطانهم صاغرين وشبلي العريان طلب الأمان فأعطيه وجعله ابراهيم باشا قائداً على ألف فارس من الهوارة.

وفي سنة ١٨٣٦م أرسل ابراهيم باشا الأمير مسعود خليل شهاب لمحاربة العرب العاصين في الصفا فتوجّه واستسلم العرب إليه وعاد إلى دمشق فأنعم الوزير بترك مال الإعانة لكل من كان معه. وسنة ١٨٣٧م التمس الأمير بشير من عزيز مصر قبول تلامذة من بلاده يتعلّمون الطب بمدرسة مصر فأجابه إلى ذلك، وأرسل الأمير ثلاثة شبّان ومملوكه سليماً فأتقنوا هذا العلم ونبغوا فيه. وفي سنة ١٨٣٨م أمر ابراهيم باشا أولاد الأمير أن يطرحوا العمائم فطرحوها واقتدى بهم بعض أقاربهم وغيرهم كثيرون إلى أن انتسخ هذا الزيّ.

عد ١١٠٣

إكراه الدول محمّد علي باشا على جلاء عساكره عن سورية والأناضول

بعد انتصار ابراهيم باشا على الجيش العثماني بقونية قلقت دول أوروبا وخشيت أن يستحوذ على الآستانة وكانت الروسية أكثر قلقاً لمطامعها المعلومة

فعرضت على الدولة العلية أن تساعدها على مقاومة الجيش المصري فقبلت الدولة ذلك واحلت روسيا على شواطئ الأناضول خمسة عشر ألف جندي لحماية الآستانة، فاضطربت فرنسة وانكلترا وخشيت من تدخل روسيا وألحّت على الباب العالي أن يسرع بالاتفاق مع محمّد علي باشا قبل أن يتفاقم الخطب، وبعد مخابرات اتّفق الباب العالي والدولتان على أنّ المصريين يتخلّون عن الأناضول ويعطي محمّد علي باشا الولاية على مصر مدّة حياته، ويحق له أن ينصب ولاة لولايات سورية الأربع أي عكا وطرابلس ودمشق وحلب، واكريت وصدرت بذلك إرادة سنيّة مؤرخة في ٥ أيّار سنة ١٨٣٩م على أنّ السلطان لم يقبل هذه التسوية إلّا ليكون له وقت للاستعداد للحرب واسترداد ما أخذ من مملكته قهراً ولم يقبلها محمّد علي باشا لأنّها تخالف مقاصده.

وجرت مخابرات أخرى بين الدول لم يتّفق فيها على حل راهن للمسألة فأوعز الباب العالي إلى حافظ باشا الذي خلف رشيد باشا بعد أسره وموته في قيادة الجيش العثماني الذي كان بأرمينية أن يسير بالعساكر نحو ولايات سورية والتقى بالجيش المصري في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ بجهات نصيبين (يسميها الافرنج نزيب) واشتعلت نار الحرب وظهر الجيش المصري على الجيش العثماني تاركاً بيد المصريين ١٦٦ مدفعاً وعشرين ألف بندقية عدا الذخائر والأثقال وكان ذلك اليوم مشهوداً مشهوراً وتوفي حينئذٍ السلطان محمود الثاني وزاد على هذا الارتباك تسليم أحمد باشا أمير الأسطول العثماني مراكبه الحربية إلى محمّد علي باشا خيانة وانتقاماً من أنّ السلطان لم ينصبه صدراً أعظم، بل أثر عليه خسرو باشا ولمّا علم بذلك سفراء الدول بالآستانة اختشوا من أنّ ابراهيم باشا يزحف بعساكره إلى الآستانة فترسل روسيا جيشها لمحاربته اعتماداً على اتفاقها السابق ذكره مع الدولة العلية فأرسلوا إلى البابا العالي لائحة في ٢٨ تموز سنة ١٨٣٩م وقّع عليها سفراء فرنسة وانكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا طلبوا بها منه أن لا يقرّر شيئاً في المسألة المصرية إلّا باطلاعهم فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الأعظم وتداولوا بما يلزم أن يعطاه محمّد علي فارتأى سفيرا إنكلترا والنمسا لزوم رد سورية إلى ولاية الدولة العلية وخالفهما سفيرا فرنسة وروسيا وطلبا أن يعطى

محمّد علي باشا مصر وولايات سورية الأربع المذكورة وانحاز سفير بروسيا إلى رأي انكلترا والنمسا فتقرر بالأكثرية. وطلب دي مترنيخ وزير النمسا عقد مؤتمر دولي بفيانا أو لتقرير المسألة المصرية فأنكرت فرنسة خاصّة ذلك وأعلنت روسيا أنّها لا ترضى أن يبحث المؤتمر الدولي في علاقاتها مع الباب العالي بل تحافظ المحافظة على المعاهدة السابقة المصرّحة بحقّها أن تحامي الدولة العلية بمراكبها وعساكرها فطلبت حينئذٍ فرنسة وإنكلترا أن يسمح الباب العالي بمرور مراكب الدولتين بالدردنيل لمحاماة الدولة لدى الاقتضاء من العساكر المصرية وسطو روسيا فاضطرب باقي السفراء واختشوا من الحرب بين الدول وأعلن سفير روسيا للباب العالي أنّه إذا سمح للبواخر الفرنساوية والانكليزية بالدخول للبوغاز قطع للحال كل علاقة سياسية معه وسافر من الآستانة وكتبت النمسا إلى وزارتي لندره وباريس أنّ طلبهما هذا مخلّ بسلم أوروبا وإذا أصرّتا عليه خرجت هي من التحالف وحفظت لنفسها أن تصنع ما تشاء ولـمّا رأى البابا العالي ذلك خاف من تعاظم الخطب ونبذ طلب فرنسة وإنكلترا وسألهما إبعاد مراكبهما عن مدخل البوغاز، وهذا الخلاف أوقف المخابرة مدّة.

وفي شهر أيلول سنة ١٨٣٩م عرض سفير إنكلترا على الباب العالي أنّ دولته مستعدّة أن تلزم محمّد علي باشا برد الأسطول العثماني على شرط أن يكون لها الحق بإدخال مراكبها في بوغاز الآستانة لصد روسيا إذا اقتضى عن الضرر بالدولة، وعلمت حكومة فرنسة فأرسلت أمراً مؤرّخاً في ١٨ أيلول تلك السنة إلى الأميرال قائد أسطولها في البحر المتوسّط أن لا يشترك مع بواخر الإنكليز في أيّة حركة عدوانية ضدّ حكومة مصر فظهر أنّ لا بدّ من حصول خلاف بين فرنسة وانكلترا وخافت الدول عواقب هذا الخلاف، فأعلنت روسيا وبروسيا أنّهما تقبلان كل ما تقرّره الدول بشرط أن يقبله الباب العالي غير مجبر عليه، وأعلنت النمسا أنّها لا تحب التدخّل بهذه المسألة لعدم قبول الدول ما عرضته من عقد المؤتمر في فيانا وكانت فرنسة تود أن يعطى محمّد علي وذريته مصر وسورية وولايتي ادنه وترسيس مدّة حياته، وأمّا إنكلترا فلم تكن تريد أن يعطى محمّد علي إلّا ولاية مصر ورغبة في إرضاء فرنسة قبلت أن يعطى محمّد علي مع مصر نصف سورية

الجنوبي بشرط أن لا تكون عكا من هذا النصف، ورفضت فرنسة رأي انكلترا وأعلنت النمسا وبروسيا استحسانها له، وأمّا روسيا فأرسلت سفيراً إلى لندره يقول إنّ القيصر مستعد إلى أن يترك لإنكلترا أن تعمل ما تشاء في مصر وأنّه يساعد إنكلترا على إذلال محمّد علي بشرط أن يتيحه حلول جيش روسي بالقرب من الآستانة وبر الأناضول يتيسّر له كبت ابراهيم باشا إذا حاول الهجوم على الآستانة، ومال بلمرستان إلى هذا الرأي لكن خالفه الرأي العام وتأجّلت المخابرات في المسألة المصرية إلى حزيران سنة ١٨٤٠م وعلم محمّد علي بكل هذه الأمور فأخذ يحصّن سورية ويتجهز للحرب.

وفي سنة ١٨٤٠م عقد المؤتمر المطلوب بلندره فطلبت فرنسة إبقاء سورية كلّها تحت ولاية محمّد علي باشا فعارضتها إنكلترا وأصرّت على أنّه لا يعطي إلّا نصف سورية الجنوبي بشرط أن يكون له مدّة حياته فقط ولا ينتقل لذريته بل يعود بعد موته إلى الدولة العلية وجارتها روسيا والنمسا وبروسيا، فلم يحصل وفاق بين الدول إلى أن تولى وزارة فرنسة تيار التسهير فلم يتبع خطّة أسلافه لحسم المسألة بالإتّفاق مع إنكلترا بل حاول أن ينهيها باتّفاقه مع الباب العالي ومحمّد علي، وأن يلزم الباب العالي أن يتخلّى عن ولاية مصر وسورية لمحمّد علي باشا وذريته وان لم يذعن الباب العالي لذلك ساعد محمّد علي عليه. وأرسل يشجّع محمّد علي ويحرّضه على القتال، وأمّا بلمرستون وزير إنكلترا فحنق من مخالفة فرنسة له ومن استبدادها بهذه المسألة فاتّفق مع روسيا والنمسا وبروسيا على إرجاع محمّد علي إلى حدود مصر وإجباره بالقوّة على ذلك إن لم يذعن، ووقّع مندوبو هذه الدول مع مندوب الدولة على معاهدة في ١٥ حزيران سنة ١٨٤٠م.

وأخصّ مواد هذه المعاهدة أوّلاً أنّه يلزم محمّد علي أن يرد البلاد التي فتحها على الدولة العلية ويبقي لنفسه القسم الجنوبي من سورية ما عدا عكا. ثانياً أن يكون لانكلترا والنمسا الحق أن تحاصر وتفتح سواني سورية بمساعدة كل من أراد من سكّان سورية خلع طاعة المصريين والرجوع إلى الدولة العلية. ثالثاً أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وانكلترا حق الدخول معاً إلى البوسفور لوقاية الآستانة إذا تقدّمت إليها العساكر المصرية. رابعاً أن لا يكون لإحدى الدول الحق بإدخال

مراكبها إلى البوسفور ما دامت الآستانة غير مهددة. خامساً أنّه يلزم مندوبي الدول التوقيع على هذه المعاهدة في مدّة لا تزيد عن شهرين.

وشرع عمّال إنكلترا يهيجون اللبنانيين من موارنة ودروز ومتاولة على خلع الطاعة للحكومة المصرية وأرسل سفيرها بالآستانة ترجمانه المستر وود إلى سورية لهذه الغاية، فقام بما عهد إليه به وانبث بين العامة روح العصيان وانتبه ابراهيم باشا لذلك فأمر الأمير بشيراً أن يجمع السلاح من النصارى والدروز، فهاج الأهلون أوّلاً في دير القمر وجاهروا بالعصيان ثمّ اجتمع حشد من السكان وفي مقدّمتهم أبو سمرا غانم من بكاسين في حرش بيروت وأخذوا ينهبون الطحين الوارد للعسكر المصري، وأتى إليهم الشيخ فرنسيس أبي نادر الخازن من غوسطا فجعلوه قائداً لهم ومالأهم بعض الأمراء الشهابيين واللمعيين، وأرسل الأمير بشير ينصحهم ويسترضيهم فلم ينثنوا عن عزمهم متشكين من الحكومة المصرية بزيادة الأموال الأميرية والسخرة بحفر معدن الفحم بقرنايل ونكث عهدها باسترجاع السلاح الذي أعطتهم إيّاه، وأرسلوا الأمير محمود سلمان شهاب إلى جهة صيدا والأمير علي منصور قيديبيه إلى جهة البقاع وأبا سمرا غانم إلى جهة طرابلس ليقطعوا الطريق على العساكر المصرية، ومن بقي منهم بالحازمية والدكوانة أرادوا قتال العسكر المصري ببيروت فالتقاهم الأرناؤوط إلى الأشرفية فبدّدوا شملهم، ومن أرسلوهم جمع كل منهم في طريقه رجالاً سار بهم، فالأمير محمود سلمان قاومه عسكر صيدا والأمير مسعود والأمير مجيد حفيدا الأمير بشير فهزموه وجماعته وقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً. وأمّا الأمير علي منصور ورجاله الذين جمعهم من المتن فانحدروا من المريجات إلى السهل وكانت وقعة بينهم وبين عساكر عثمان باشا الذي كان قد قدم من حلب إلى بعلبك فقتل منهم مائة وتسعة عشر رجلاً وانهزم الباقون منخذلين. وأمّا أبو سمرا فسار إلى غزير ثمّ جبيل ثمّ البترون حتّى انتهى إلى زغرتا وكان يجمع رجالاً يقيم بعضهم في الأماكن المذكورة ويسير ببعضهم، ولما علم والي طرابلس بقدومه إلى زغرتا أرسل إليه نحو أربعة آلاف عسكري فانتشبت الحرب بينهم فانكسر أبو سمرا إلى إيعال وقتل من جماعته سبعة رجال وقتل من العسكر عشرون رجلاً. ثمّ جمع أبو سمرا رجالاً في إيعال فقصدهم عسكر طرابلس على أنّه في هذه الوقعة

كان النصر لأبي سمرا وطرد العسكر إلى حدود طرابلس وقتل منه نحو خمسين رجلاً ومن اللبنانيين نحو عشرين، ولكن انفض بعد ذلك اللبنانيون عن أبي سمرا لقلّة المؤن فسار بعشرين نفراً من المتاولة إلى الضنية، واتّفق مع المشايخ بيت رعد فطردوا متسلّم الضنية ثمّ سطوا على متسلّم عكار واختبأ أبو سمرا بمزياره فخمدت هذه الثورة قليلاً واختبأ بعض رؤوسها واستسلم بعضهم طالباً العفو. ودخل عثمان باشا المذكور إلى المتن وجمع السلاح وأرسل الأمير بشير ابنه الأمير خليلاً إلى كسروان فجمع السلاح أيضاً بقساوة وقبض على الشيخ نقولا خارن وأرسله إلى بتدين وفرّ الشيخ فرنسيس أبو نادر إلى قبرص وصار القبض على آخرين، منهم أربعة من الأمراء الشهابيين، وأربعة من الأمراء اللمعيين، وثلاثة من المشائخ النكديين وأرسلوهم إلى مصر، ثمّ إلى الخرطوم، ثمّ ردّهم الإنكليز إلى لبنان بعد خروج المصريين منه.

وفي أثناء ذلك صدر أمر إنكلترا للأميرال نابير أن يسير بأسطوله إلى موانئ سورية ويأسر أو يحرق الأسطول العثماني الذي كان قد سلم إلى مصر وباقي مراكب مصر تجارية كانت أم حربية، فنبّهت فرنسة محمّد علي لذلك، فاسترجع تلك المراكب إلى مصر فأخذ نابير من وجده من المراكب المصرية ووصل إلى بيروت في ١٤ آب سنة ١٨٤٠م، وأعلن للعساكر المصرية لزوم جلائها عن بيروت وعكا ونشر على أهل سورية ما قرّرته الدول الأربع وحرّضهم على الخضوع للدولة العلية والعصاوة على الحكومة المصرية. وفي النهار نفسه حضر قناصل الدول المتّحدة إلى محمّد علي باشا وبلّغوه قرار دولهم وأمهلوه عشرة أيّام لاعطاء الجواب، وبعد انقضائها عادوا إليه وبلّغوه أنّ الدول لا تسمح له ولذريته إلّا بولاية مصر فقط دون إلحاق قسم من سورية بها، فحنق عليهم وطردهم واستعدّت فرنسة للدفاع عن محمّد علي باشا فلم يكمل استعدادها واضطرّ الموسيو تيار أن يستقيل من الوزارة لهياج الرأي العام عليه. وفي ١٠ أيلول من السنة المذكورة وصلت مراكب النمسا والدولة العلية إلى بيروت تقل نحو عشرة آلاف جندي عثمانيين وإنكليز. وفي ١١ منه أنزلت هذه الجنود في شمالي بيروت وكان سليمان باشا الفرنساوي قد خبر ابراهيم باشا فحضر من بعلبك إلى بيروت، وبعد نزول العسكر إلى البر بلّغه قائد

المراكب الانكليزية والنمساوية أن يخلي بيروت فطلب مهلة أربعة وعشرين ساعة ليداول ابراهيم باشا بذلك فلم يقبل طلبه. ومنذ الفجر في ١٢ أيلول ابتدأ إطلاق المدافع على بيروت فهدمت وأحرقت دوراً كثيرة وفرّ سليمان باشا بعسكره إلى الحازمية وكذلك فعلوا بأكثر ثغور سورية، وسارت بعض المراكب إلى جونية فأحلّت هناك عسكراً وفرّ أعوان الحكومة المصرية إلى الجبل، وظهر المختبئون وحضر الشيخ فرنسيس أبو نادر الخازن إلى معسكر الدول، وكتب قائد العسكر من جونية إلى اللبنانيين يستدعيهم لطرد العساكر المصرية فحضر إليه أناس من كسروان وباقي الأعمال مسلمين إليه، وكان يوزّع السلاح عليهم وأرسل مركباً مشحوناً بالأسلحة إلى جبيل والبترون فوزّعها على الأهلين المتقاطرين إليه، وكتب عزّت باشا القائد العثماني إلى أبي سمرا غانم فحضر بخمسمائة رجل فأكرمه وسلّمه أربعة آلاف بندقية ليسلمها لمن انضووا إليه وأرسله إلى بلاد جبيل والبترون وجبّة بشري فجمع أربعة آلاف رجل وتوجّه بهم إلى اليموني لمحاربة الأمير مجيد، ففرّ الأمير إلى عيناتا حيث كان العسكر المصري، وكان قتال بين أبي سمرا والعساكر المصرية فانتصروا عليه وقتل من عسكره ستون رجلاً، وانهزم إلى جبّة بشري حيث جمع رجالاً عاد بهم إلى عيناتا، فهزم العسكر المصري وأرسل ابراهيم باشا عثمان باشا إلى وطا الجوز بكسروان ومعه ثمانية آلاف مقاتل والأمير خليل، فاستدعى السرعسكر العثماني الكسروانيين وجرأهم على مقاتلة المصريين وأعطاهم سلاحاً ولوازمه فاجتمع منهم نحو ألف رجل واستمرّوا خمسة عشر يوماً يطلقون الرصاص من وراء الصخور ولا يجسرون أن يتقدّموا إلى العسكر، ولا العسكر المصري يصوب الهجوم عليهم فانطلق ابراهيم باشا من المتن إلى وطا الجوز وهجم على الكسروانيين فانهزموا فنهب عسكر ابراهيم باشا بعض قرى الجرد ورجع إلى وطا الجوز. وكان السرعسكر العثماني أرسل إلى الأمير بشير يخاطبه بالتسليم واعداً له أنه إن سلّم قبل مرور ثمانية أيّام بقي والياً كما كان بل بقيت الولاية لذريته من بعده، وإلّا فلا يعود مقبولاً، فاعتذر الأمير بأنّ أولاده وأحفاده بين العسكر المصري. ولمّا مرّت الأيّام الثمانية كتب السرعسكر إلى الأمير بشير قاسم ملحم (تمييزاً له عن الأمير بشير قاسم عمر المعروف بالكبير) شهاب أن يسرع إليه فلبى دعوته وأتى إلى جونيه فسرّ السرعسكر به وأكرم مثواه وأمره أن يتوجّه لمحاربة عثمان باشا في جرود

كسروان وأصحبه بألف جندي عثماني ومدفعين، واجتمع الكسروانيون ثانيةً وساروا إلى مطل وطا الجوز فوفد أمر من ابراهيم باشا إلى عثمان باشا أن ينهض حالاً بالعسكر إلى البقاع فقام صباحاً بعسكره ولمّا رآهم العسكر العثماني واللبنانيون أخذوا بالرحيل وثبوا وراءهم وجدوا في أثرهم وقتلوا بعض الساقة منهم أي المتأخّرين ونهبوهم وأسروا بعضهم، وأشار المستر وود على الوزير العثماني أن يولي الأمير بشير قاسم على لبنان فولاه.

وحضر ابراهيم باشا بعسكره إلى بقليع فأرسل السرعسكر لمحاربته عمر بك النمساوي العثماني بعسكر عثماني ولبناني في طريق بحرصاف فنهض ابراهيم باشا لملتقاهم، وأتى السرعسكر أيضاً لنجدة عسكره وانتشب القتال فانكسر عسكر ابراهيم باشا وانهزم هو منفرداً، ومرّ بصليما ووصل إلى قرنايل واجتمع إليه عسكره وكتب إلى سليمان باشا الذي كان مع عسكره في الحازمية أن يقوم حالاً بعسكره إلى البقاع فقام مسرعاً، وأمّا ابراهيم باشا فقصد أن يسير إلى بتدين وكان الأمير لمّا رأى ما آلت إليه الحال كتب إلى أحفاده أن يحضروا إليه وعزم على التسليم للدولة وسار ببعض ذويه إلى صيدا ولمّا علم ابراهيم باشا وهو في عين زحلتا بقيام الأمير بشير من بتدين انصرف بعسكره إلى المعلقة. وبعد أيّام ورد له الأمر من والده محمّد علي باشا بأن يعود من سورية إلى مصر دون قتال، فقام وسيّر عساكره في عدّة طرق إحتياطاً من الغدر بهم وهو سار في طريق العريش وجميعهم تحمّلوا في هذا السفر مشاق لا تقدّر. وكانت مراكب الدول المتّحدة وعساكرهم قد خرّبت أكثر ثغور سورية واستحوذت عليها، ولمّا قامت العساكر المصرية من بعض القلاع التي كانت قد بقيت بيدهم أحرقوا بها البارود الذي كان باقياً عندهم. ومما أذكره وأنا حدث لي من العمر سبع سنين إني أبصرت وأنا في راسكيفا في أوائل تشرين الأوّل سنة ١٨٤٠م عموداً ضخماً من الدخان ارتفع في الجو وسمعت صوتاً أشد من صوت المدفع ثمّ بلغ الخبر أنّ العسكر المصري عند قيامه من قلعة طرابلس أشعل ما كان بها من البارود وتهدّم جانب من القلعة.

أمّا الأمير بشير فعند وصوله إلى صيدا ومعرفة واليها خالد باشا أنّه أتى مُسلّماً عظّم ملتقاه وسيّره بحراً إلى بيروت لمواجهة عزّت باشا السرعسكر فخيّره

السرعسكر أن يختار محلاً لإقامته ما عدا فرنسة وسورية ومصر فاختار جزيرة مالطة فسافر من صيدا إليها يصحبه زوجه وأولاده وأحفاده ومدبّره بطرس كرامة ونحو سبعين رجلاً من خدمه، ثمّ سار من مالطة إلى الآستانة حيث توفي سنة ١٨٥٠م وأمّا محمّد علي باشا فأقنعه الأميرال نابير الانكليزي بأنّ دولته تسعى له لدى السلطان في أن يتولى مصر وذريته من بعده إذا تنازل عن سورية، وردّ إلى الدولة الأسطول العثماني الذي كان قد تسلّمه، فامتثل رأيه وقبل هذه الشروط. وبالمداولة مع الدول المتّحدة أنعم عليه السلطان بفرمان مؤرّخ في ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٦ الموافق ١٣ شباط سنة ١٨٤١م يتضمّن منحه ولاية مصر على طريقة التوارث لذريته بنوع أنّه متى خلا منصب الولاية يعهد به إلى من تختاره السدّة الملوكية من أسرته، وإذا انقرض الذكور من ذريّته لا يكون لأولاد نساء أسرته حق في الولاية، إلى شروط أخرى يتضمنها هذا الفرمان يمكن الاطّلاع عليها في كتاب محمّد فريد بك الموسوم بـ«تاريخ الدولة العلية». ثمّ التمس محمّد علي باشا أن يخفف الباب العالي بعض الشروط المشتمل عليها الفرمان المذكور، فصار تعديلها بفرمان آخر مؤرّخ في ١٩ نيسان سنة ١٨٤١ تراه في الكتاب المذكور ثمّ عيّن بفرمان آخر مؤرّخ في ٢ تموز سنة ١٨٤١م المبلغ الذي تدفعه حكومة مصر وهو ثمانين ألف كيس ثمّ زيد هذا المبلغ إلى مائة وخمسين ألف كيس. انتهى ملخّصاً عن عدّة مؤرخين وعن أخبار الأعيان لطنوس الشدياق الذي كان شاهد عيان لما كتبه.

عد ١١٠٤

السلطان الغازي عبد المجيد خان

هو ابن السلطان محمود خان ولد في ١٤ شعبان سنة ١٢٣٧هـ (سنة ١٨٢٢م) واستوى على أريكة الملك بعد وفاة والده سنة ١٨٣٩م وكانت حالة الدولة ما مرّ ذكره من انتصار ابراهيم باشا على الجيش العثماني في نصيبين وتدخّل دول أوروبا بينه وبين محمّد علي باشا كما مرّ. وكانت باكورة أعماله إصداره فرمان الإصلاحات المعروفة بفرمان الكلخانة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩م

ضمنه عدّة إصلاحات ونظامات مفيدة وأعلن به التسوية بين رعاياه من أي مذهب كانوا.

وكانت في أيّامه سنة ١٨٤٨م ثورة أهل الفلاخ والبغدان على أميريهما واكراههما على الفرار طلباً للاستقلال والانضمام إلى سكّان ترنسلفانيا، وتأليف مملكة جديدة سموها مملكة رومانيا، فأرسل السلطان عليهم جيشاً أمّر عليه عمر باشا أحد قوّاده الشهيرين، فأرسلت روسيا عسكراً إلى بلاد البغدان فطردت أصحاب الحكومة المؤقّتة الذين أقامهم الثائرون واحتلّت هذه البلاد، فأقام الباب العالي الحجة على هذا الإحتلال. وبعد مخابرات اتّفقت الدولتان على أنّ حق تنصيب الأمراء بهذه البلاد يبقى للدولة العلية كما كان قبلاً، وأن يحتل البلاد جيش عثماني وروسي مدّة سبع سنين إلى أن يستتب الأمر، وسُمّي هذا الإتّفاق إتّفاق بلطه ليمان نسبة إلى المحل الذي وقع به.

ومن أهم ما كان في أيّام السلطان عبد المجيد الحرب مع روسيا المعروفة بحرب القرم التي عاونت فرنسة وإنكلترا الدولة العلية بها، ومن أسبابها حصول المنازعات المعتادة بين اللاتين والكاثوليكيين الذين تحامي فرنسة عنهم، وبين الروم غير المتّحدين الذين تحاميهم روسيا. ففي سنة ١٨٤٨م اعتدى كهنة الروم على حقوق اللاتين بينما كانت فرنسة منشغلة بالتورة على الملك لويس فيليب، ولمّا صير نابوليون الثالث رئيساً للجمهورية الفرنسية كاشف الباب العالي في إزالة هذا التعدّي فعيّن الباب العالي لجنة مؤلّفة من أعضاء مختلفيّ المذاهب قرّرت الحق للاتين في عدّة كنائس وأديار فلم تقبل روسيا قرارها وهدّدت الدولة العلية بالحرب إن اتّخذت هذا القرار، وشدّدت فرنسة على التشبث بحقوقها، وأرسلت روسيا البرنس منشيكوف إلى الآستانة بصفة سفير غير اعتيادي للمخابرة ظاهراً بمسألة الأماكن المقدّسة، وأضمرت إيجاد ذريعة لاعلان الحرب على الدّولة العلية، وكاشف القيصر سفير إنكلترا في روسيا في أمر اتّحاد إنكلترا معه على إضعاف نفوذ فرنسة في الشرق، وعلى تجزئة أملاك الدولة فلم يجد أذناً صاغية لما ينوي، وخابر نابوليون الثالث ملكة إنكلترا بشأن الاتّحاد مع الدولة صداً لمطامع روسيا وإيقاف نفوذها فراق لها رأيه وكان البرنس منشيكوف يلحّ بتجديد شروط المعاهدة السابقة القاضية بأنّ لروسيا حق.

الحماية لجميع النصارى الكائنين ببلاد الدولة والباب العالي يسوفه في الإجابة وأعاد حينئذٍ السلطان رشيد باشا إلى منصب الصدارة وكان قد عزله عنه إرضاءً لروسيا فنبذ رشيد باشا مطالب روسيا.

ولمّا رأى البرنس منشيكوف ذلك أرسل إلى الباب العالي بلاغاً نهائياً في ٥ أيّار سنة ١٨٥٣م وطلب الإجابة إلى مطالب دولته في مدّة خمسة أيّام، ثمّ أضاف إليها ثمانية أيّام، ولما لم ينل مرغوبه قطع العلاقات مع الدولة وبارح الآستانة مهدداً باحتلال جنود روسيا إمارتي الفلاخ والبغدان إن أصرّت الدولة على عدم الإجابة، وأرسلت الدولة بلاغ روسيا إلى فرنسة وانكلترا فأمرت الدولتان أساطيلهما أن تسير إلى مدخل بوغاز الدردنيل لإنجاد الدولة على روسيا، واجتازت عساكر روسيا نهر ألبرت الفاصل بين أملاكها وأملاك الدولة في ٢ حزيران سنة ١٨٥٣م واحتلّت الإمارتين المذكورتين، وكان عاهل النمسا يحب صرف هذه المشاكل دون حرب فعرض على روسيا وفرنسة وإنكلترا عقد مؤتمر في فيانا لفصل الخلاف فعقد ولكن لم يأت بجدوى، وأرسل الباب العالي بلاغاً إلى البرنس كورتشاكوف قائد الجيش الروسي المحتل بالإمارتين في ٤ تشرين الأوّل سنة ١٨٥٣ أن ينجلي بعسكره عنهما في مدّة خمسة عشر يوماً، وأمر عمر باشا قائد الجيش العثماني أن يعبر نهر الطونة بعد انقضاء المدّة المذكورة، ولمّا لم يحفل القائد الروسي بهذا البلاغ ففي ٢ تشرين الثاني عبر عمر باشا الطونة فكانت بين الجيشين وقعة هائلة كان النصر فيها للجيش العثماني لكنّه لم يلحق أعداءه بسبب شدّة البرد والثلج، فعاد إلى معاقله وكذلك انتصرت العساكر العثمانية في آسيا واحتلّت بقلعة سان نقولا ووقفت رحى الحرب بسبب الشتاء.

وتقدّمت في هذه الأثناء مراكب فرنسة وإنكلترا إلى البوسفور برضى السلطان لتكون أقرب إلى البحر الأسود وإلى الذب عن الآستانة لو هاجمها الروس. وفي ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤م دهم الأسطول الروسي الأسطول العثماني في ميناء سينوب على البحر الأسود فدمّر أكثر مراكبه، فأمرت فرنسة وإنكلترا مراكبهما أن تدخل البحر الأسود فدخلت في ٤ كانون الثاني سنة ١٨٥٤م. وكتب نابوليون الثالث حينئذٍ رسالة إلى القيصر يكاشفه بالسلم ويظهر له عزمه على الحرب إن لم

يذعن لرغائبه فأجابه القيصر معتذراً مبيّناً عزمه على الحرب، واتّفقت وقتئذٍ فرنسة وانكلترا على أن ترسل فرنسة خمسين ألف جندي وإنكلترا خمسة وعشرين ألفاً بشرط أن تجلى عن بلاد الدولة بعد خمسة أسابيع من يوم عقد الصلح مع روسيا. وفي ٢٧ آذار أرسل نابوليون الثالث رسالة إلى مجلس النوّاب يخبرهم بها بإعلانه الحرب مع انكلترا على روسيا وأخذت الدولتان ترسلان الجنود إلى كاليبولي والآستانة في شهري نيسان وأيّار.

وأرسل الأميرال الانكليزي مركباً إلى أودسا ينقل منها قنصل إنكلترا ورعاياها فأطلقت من قلاعها القنابل عليه مع أنّه كان ناشراً علماً أبيض، فنهض بعض الأسطول الإنكليزي والفرنسي إلى أودسا وطلبا من حاكمها الترضية أو يرميان المدينة بقنابلهما وأمهلوه يوماً، ولمّا لم يجب طفقا يرميان المدينة بالقنابل فدمّرا قلاعها وأحرقا قسماً منها ثمّ انسحبا ورسيا أمام سيستوبول، ودعيا الأسطول الروسي للقتال فلم يخرج له، فأرسلا بعض السفن تضرب ثغور روسيا الواقعة على البحر الأسود فضربا بعضها وأعلنت روسيا الحرب للدول المعادية لها، وأمر القيصر البرنس بسكيفتش قائد الجيش الذي على ضفّة الطونة أن يعبر النهر فعبر وحاصر مدينة سلستريا خمسة وثلاثين يوماً فلم يقوَ عليها بل رفع الحصار عنها، فتتبع أثره عمر باشا عازماً أن يحتل إمارتي الفلاخ والبغدان، ولكن سبقته جنود النمسا إلى احتلالها بمقتضى اتّفاق كانت فرنسة وإنكلترا والدولة قد أبرمته مع النمسا على أن تحتل جيوش النمسا الفلاخ والبغدان إذا جلت عنها جنود روسيا وان تتّحد النمسا مع الدول إذا جاوزت جنود روسيا جبال البلغان، وفضلت روسيا احتلال جنود النمسا الفلاخ والبغدان لأنّها تراها أسلم وأقل ميلاً إلى الحرب.

وقرّر المجلس الحربي للدول المتّحدة على إرسال عساكرهم إلى بلاد القرم ومحاصرة سباستوبل المنيعة، وفي ٢٠ أيلول سنة ١٨٥٤م كانت أوّل وقعة بين جيش الدول المتّحدة وجيش روسيا وكان النصر لجيش الدول المتّحدة، لكنّهم لم يتتبّعوا أعداءهم إلى سباستوبل. وفي ١٧ تشرين الأوّل هاجموا هذه القلعة مهاجمة شديدة فلم ينالوا منها مأرباً، وبعد عدّة مهاجمات وخروج الروس مرات على غير طائل وقف القتال لشدّة البرد، وتفشي الأمراض في العساكر. وفي آخر هذه السنة

دارت المخابرات بالصلح في فيانا، ذلك أنّ افرنسة وإنكلترا عرضتا على النمسا أن تتّفق معهما على شرط أن تتعهّد بحماية الفلاخ والبغدان ضدّ روسيا، وأنّ فرنسة وانكلترا تساعدانها لو أعلنت روسيا الحرب عليها، فقبلت النمسا هذه الشروط ووقّع على هذا الاتّفاق في ٢ كانون الأوّل سنة ١٨٥٤م.

وفي ١٧ من شباط سنة ١٨٥٥م هاجم الروس من سباستوبل الجيش العثماني فردّهم عمر باشا على أعقابهم بعد أن قتل منهم كثيرين ومرض بعد ذلك القيصر نقولا وتوفي في ٢ آذار سنة ١٨٥٥م، وخلفه ابنه اسكندر الثاني. واتّفق بهذه الأثناء فيكتور عمانويل ملك بيامونتي مع الدول المتّحدة ضدّ روسيا، وأرسل إلى القرم ثمانية عشر ألف مقاتل بامرة الجنرال لامرمرا للإشتراك في فتح سباستوبل. وفي ٧ حزيران فتحت جنود الدول المحلّة المعروفة بالقمّة الخضراء، وفي ١٨ منه هاجم الفرنسيون حصن ملاكوف وردّوا عنه خاسرين، وهاجم الإنكليز حصناً آخر فلم ينالوا منه مأرباً، ولكن انتصر المتّحدون في وقعة تراكتو في ١٦ آب وابتدأوا في اليوم التالي في الرمي على ملاكوف. وفي ١٨ أيلول احتلّها الجنرال ماك ماهون الشهير ثمّ نسفوها لعدم تمكّنهم من البقاء فيها وفي أثر ذلك استحوذوا على سباستوبل بعد أن أبدى من كان داخلها ومن كان محاصراً لها آيات البسالة فدخلتها عساكر الدول المتّحدة في ٩ أيلول سنة ١٨٥٥، وتقدّمت جيوش الدول المتّحدة نحو مدن أخرى في أملاك الروسية. وفي هذه السنة رمت الأساطيل الفرنساوية والإنكليزية بقنابلهما عدّة ثغور في بحر يلبك وأضرّت كثيراً بتجارة روسيا وتقهقر الجيش الروسي إلى داخلية بلاده، ولولا قدوم فصل الشتاء لأخذ المتّحدون مدناً أخرى.

وقد رأى القيصر اسكندر الثاني صعوبة الانتصار على الدول المتّحدة ضدّه وعرضت النمسا على الدول المتّحدة أن ترسل إلى روسيا بلاغاً نهائياً بمطالبها فإن نبذته روسيا استأنفت الحرب في سنة ١٨٥٦م بأعظم شدّة وانضمّت إلى الدول المتّحدة جيوش النمسا.

فأقرّت هذه الدول ذلك وقبلت روسيا مطالبها وقرّ رأي جميع الدول على عقد مؤتمر بباريس لتقرير السلم نهائياً ووقّع على الاتّفاق بفيانا في ١ شباط سنة ١٨٥٦م وعقد هذا المؤتمر بباريس في ٢٥ من الشهر المذكور إلى ٣٠ من آذار سنة ١٨٥٦م.

وخلاصة ما كان في هذا المؤتمر هي أنّ البلاد التي فتحت أو تبوأتها عساكر كلا الفريقين في مدّة الحرب تتخلّى عنها فيرد قيصر الروس على الدولة العلية مدينة قارص وقلعتها وكل ما استحوذت عساكر الروس عليه وكان للدولة، وترد الدولة المتّحدة على روسيا سباستوبل وغيرها من المدن التي تبوأتها عساكر الدول المتّحدة. وقد أعلنت هذه الدولة أنّ للباب العالي اشتراكاً في الحقوق والفوائد الأوروباوية العامّة وتعهّد ملوكها بأن يحترموا استقلال السلطنة العثمانية وإبقاءها سالمة تامّة، وإذا حدث بين الباب العالي والدول المتّحدة خلاف خيف منه اختلال ألفتهم فعلى الدول المتنازعة أن تقيم الدول الأخرى الداخلة في المعاهدة وسطاء بينهما حسماً لذاك الخلاف. وأنّ السلطان قد تفضّل عناية بخير رعاياه بأن يصدر منشوراً في تحسين أحوالهم بقطع النظر عن اختلافهم ديناً أو جنساً، وأنّه يطلع الدول على هذا المنشور، وأنّه يبقى معمولاً بالاتّفاق السابق، على أنّ للسلطنة العثمانية إقفال باب بوغاز الدردنيل ومضيق جنق قلعة وأنّ البحر الأسود يكون مطلقاً السفر فيه للمراكب التجارية من كل الأمم، وكذلك يكون السفر في الدانوب مباحاً بنسبة باقي الأنهر الفاصلة بين عدّة ممالك. وإنّ أمارتي الفلاخ والبغدان تبقيان متمتعتين تحت سيادة الباب العالي وكفالة الدول بالامتيازات والاعفاءت الحاصلة لهم الآن ولا يكون للدول الكافلة حق بالتعرّض لأمور سكانهما الداخلية، وتعهّد الباب العالي أن يحفظ لهما إدارة أهلية مستقلّة ويبقى لهما الحرية في الدين والاحكام الشرعية والمتجر وسفر البحر والأنهار، ويكون فيهما عسكر أهلي لتأمين داخل البلاد وحفظ تخومها وأنّ إقليم الصرب يبقى متعلّقاً بالباب العالي على مقتضى الخط الهمايوني المبيّن حقوقه، ويكون من الآن فصاعداً تحت كفالة الدول المتعاهدة، ويحق لهذا الإقليم أن يحافظ على استقلاله بحكومة أهلية مع حرية المذهب والأحكام والمتجر والإبحار، ووقّع على هذه المعاهدة في ٣٠ آذار سنة ١٨٥٦م.

وقد كانت في أيّام السلطان عبد المجيد أيضاً الحرب الأهلية في سورية وبعثة العساكر الفرنسية إليها وسيجيء ذكر ذلك في كلامنا على سورية وقد توفي السلطان عبد المجيد خان وانتقل إلى رحمة الله في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ (٢ حزيران سنة ١٨٦١م).

عد ١١٠٥

ما كان بسورية في هذه المدة

قد مر ان السرعسكر العثماني نصب الامير بشير قاسم الشهابي والياً على جبل لبنان في مكان الامير بشير المعروف بالكبير، ولم تمض مدة وجيزة إلّا ووقعت النفرة بينه وبين بعض اعيان الدروز أفضت الى احتشاد الدروز ومحاصرتهم له في دير القمر، فكانت من جراء ذلك بين النصارى والدروز الحروب الاهلية المعروفة عند العامة بالحركة الاولى سنة ١٨٤١م حيث كانت عدة وقعات بين الفريقين في ساحل بيروت والغرب والشحار ودير القمر وزحلة والمتن وكانت خاتمة هذه الحرب. ان الامير بشير قاسم الوالي قد خرج من دير القمر على يد سليم بك والسيد فتيحة المرسلين الى دير القمر من قبل وزير الايالة، فأهانه الدروز في خروجه وسلبوه سلاحه وسلاح جماعته وظل سائراً الى بيروت، وقدم في اثناء ذلك من الآستانة مصطفى باشا نوري لترتيب شؤون جبل لبنان فحجز الامير بشير المذكور وسيره الى الآستانة واستدعى اعيان النصارى والدروز وخلع عليهم وكاشفهم بإقامة والٍ عليهم من رجال الدولة، فأبى النصارى طالبين الإبقاء على ولاية الامراء الشهابيين ورفعوا عرائض بذلك الى الباب العالي والى سفراء بعض الدول في الآستانة، وأما الدروز فأذعنوا لمشورته وارتضوا بولاية احد رجال الدولة.

وفي سنة ١٨٤٢م اقام مصطفى باشا المذكور والياً على لبنان يسمى عمر باشا النمساوي العثماني وارسله بعسكر الى بتدين ومعه الامير احمد واخوه الامين ارسلان واخذ عمر باشا مدبرين له الشيخ منصور الدحداح والشيخ خطار العماد وولى الشيخ فرنسيس أبا نادر الخازن على كسروان والشيخ ظاهر منصور الدحداح على الفتوح، وثلاثة مشايخ من الحمادية على بلاد جبيل والبترون والكورة العليا، فنفر المشايخ الخوازنة لانه ضم ولاياتهم الثلاث الى واحد منهم واساء اهل بلاد جبيل والبترون والكورة لان ولاية المتاولة على هذه البلاد كانت قد نسخت مذ سنوات متطاولة. وحاول عمر باشا ان يسترضي النصارى بولايته عليهم فادخل في خدمته جنوداً منهم وجعل ابا سمرا البكاسيني السابق ذكره ويوسف آغا الشنتيري

من بكفيا قائدين لهم، ومنع الدروز عن التعدي عليهم واستدعى ذات يوم الى بتدين الامير احمد ارسلان والمشايخ نعمان جنبلاط ونصيف نكد وحسين تلحوق ويوسف عبد الملك، ولما اتوا قبض عليهم وارسلهم الى بيروت فأمر مصطفى باشا بالحجز عليهم، ثم الحق بهم الشيخ خطار العماد فاستاء الدروز من ذلك وطفقوا يتزلفون الى النصارى طالبين الصلح والاتحاد على عمر باشا.

وفي اثناء ذلك صدر امر الدولة العلية بالإجازة للبنانيين أن ينتخبوا لهم والياً وارسلت مفوضين يكتبان أسماء المنتخبين، فكتب اعيان النصارى ووجوههم يسترحمون رد الامير بشير عمر الى ولاية لبنان، واستدعى الدروز النصارى لطرد عمر باشا من الولاية فلم يجيبوهم، وزينوا للأمير اسعد قعدان أن ينهض معهم على عمر باشا فينتخبوه والياً، فمالأهم على ذلك وراسلوا النصارى ثانية بالاتحاد فأجابوهم اليه بشرط أن يدونوا صكاً يصرحون فيه انهم يرضون برجوع الولاية الى الامراء الشهابيين، فدونوه وشرطوا به أن يكون احد الامراء اللمعيين معاوناً للوالي الشهابي وأن يكون له اربعة مدبرين: مدبران درزيان ومدبران مسيحيان. واجتمع الامراء اللمعيون وبعض وجوه المتن وكسروان بانطلياس واستدعى الدروز شبلي العريان من حوران واجتمعوا في المختارة وحصلت بعض مناوشات بينهم وبين عسكر عمر باشا فبددهم العسكر.

وفي هذه الاثناء احيلت ولاية صيدا الى اسعد باشا فأرسل الى المجتمعين بانطلياس رسولاً يحذرهم من الخروج عن خاطر الدولة فمضى وحذرهم وتوجه الى بطريرك الموارنة يستشيره بمن يصلح للولاية من الامراء اللمعيين، فأشار ان الامير حيدر اسماعيل هو الاصلح فعاد واخبر اسعد باشا ثم توجه اليه وجوه المجتمعين بانطلياس يطلبون والياً وطنياً عليهم فنصب الامير حيدر المذكور.

وكان في هذه الاثناء انه وُشي الى السرعسكر بأن المشايخ الدحادحة ساعون بما يكدر الدولة فأرسل بعض جنوده الى المشايخ أبناء حمزة حبيش في غزير يأمرهم أن يقبضوا على رسول الدحادحة ويرسلوه اليه فقبضوا عليه، وعلم الدحادحة فسار بعضهم بنحو خمسين رجلاً الى غزير وانفرد عنهم احدهم الشيخ رشيد ومعه بعض الرجال فاستخلص الرسول وعاد به الى عرامون، واما الباقون فالتقاهم اولاد حمزة

واقتتلوا معهم فقتل ثلاثة من اولاد حمزة وهم: فارس ويوسف ويعقوب وعمهم شديد فحنق السرعسكر وأرسل منيب باشا بعسكر فانهزم اهل عرامون والمشايخ، وأرسل منيب باشا يستدعي الدحادحة للتحقيق على ما كان فلم يحضروا فحضر الى عرامون وانزل العسكر في بيوت المشايخ واثقل على الاهلين ونبه اهالي كسروان أن لا يقبل احدهم الدحادحة، فاختبأوا وأرسل السرعسكر زيادة على عسكره وامر بالتفتيش عليهم في كل قرى كسروان وفي بلاد جبيل والبترون، وكتب الى والي طرابلس أن يرسل عسكراً الى جبة بشري للتفتيش، وبلغت فرقة منه الى عقبة حيرونا فالتقتها رجال اهدن وصدوها، وكانت وقعة انتصر بها الاهدنيون وانهزم العسكر الى طرابلس. وبلغ ذلك الى السرعسكر فأمر منيب باشا أن يقوم بعسكره والعسكر المقيم في زحلة الى جبة بشري، وأرسل كاشفاً بحث عن الواقعة فتحقق له ان الاعتداء وقع من عسكر طرابلس ولا ذنب للاهلين إلا المدافعة، فأطلق الامان لاهل جبة بشري وطلب الى المشايخ ان يوافوه الى الحدث حيث طلب أن يمر بعسكره بالجبة للتفتيش على المشايخ الدحادحة، فأبوا خشية أن يكون سبب بين العسكر والاهلين فأبقى عسكره في الحدث وتوجه بنفر قليل الى بشري والارز واهدن ورجع بعسكره الى طرابلس.

اما الامير حيدر اسماعيل اللمعي فولاه اسعد باشا على نصارى لبنان من نهر ابراهيم الى آخر الاقطاعات الجنوبية منه وسماه قائمقام النصارى وولّى على بلاد جبيل وتوابعهما والياً مسلماً، وولّى الامير احمد عباس الارسلاني على الدروز وسماه قائمقامهم، وأمر بعقد ديوان حافل للتحقيق على اسلاب النصارى، فكتب كل اسلابه. ثم انشأ ديواناً آخر سماه ديوان التحقيق وادخله بعض الوجوه من صيدا وبيروت فحطوا من قيمة مسلوبات النصارى حتى جعلوا قيمتها نحو ستة عشر الف كيس وجعلوا مسلوبات الدروز الفين وخمسماية كيس، وطرحوها من اصل مسلوبات النصارى فبقي لهم نحو ثلاثة عشر الف كيس وخمس مائة كيس. ونجموه على الدولة خمسة انجم كل نجم ألفا كيس وعلى الدروز ثلاثة آلاف وخمس مائة كيس. ثم اختلف القائمقامان على المختلطين في اعمال لبنان من نصارى ودروز فكتب اسعد باشا الى الباب العالي فصدر الامر بقسمة البلاد فجعل

الوزير سكة دمشق فاصلاً بين القائمقاميتين، وما كان منها الى الشمال تولاه قائمقام النصارى وما كان منها الى الجنوب قائمقام الدروز. وفي سنة ١٨٤٤ امر الباب العالي برجوع ولاية بلاد جبيل الى قائمقامية النصارى. وفي سنة ١٨٤٥ كانت الحرب الاهلية بين النصارى والدروز في لبنان وتعرف العامة هذه الحرب بالحركة الثانية، وكانت فيها عدة مواقع في ساحل بيروت والمتن والغرب والشحار والجرد والشوف، ولولا توسط رجال الحكومة في محلات كثيرة لأضرّ النصارى بالدروز اضراراً كبيرة. وكانت نهاية هذه الحرب في ان وجيهي باشا (الذي خلف اسعد باشا في حكم ايالة صيدا) جمع في بيروت بعض وجوه النصارى والدروز وأجرى بينهم الصلح واستكتبهم صكوكاً مانعة من تجديد الفتنة بينهم فكتبوها ووقعوا عليها، ثم وفد الى بيروت شكيب افندي مرسلاً من الآستانة لتدبير شؤون لبنان، وقدم نميق باشا سرعسكر السلطان من دمشق بألف جندي وتوجه الى بتدين، وسار الى هناك شكيب افندي ومعه الامير حيدر اسماعيل قائمقام النصارى، والامير احمد ارسلان قائمقام الدروز، وامرهما شكيب افندي باستدعاء اصحاب الاقطاعات بلبنان ووكلاء منها فلم يحضر إلا قليلون، واختبأ اكثرهم خوفاً، ومن احضروا منهم حجزهم شكيب افندي في بتدين واخذ سلاحهم. واستحضر وجوه دير القمر وامر أن يسلموه سلاح بلدهم ففعلوا، وأمر القائمقامين أن يرسلا اناساً لجمع السلاح من البلاد وفرق العساكر المنظمة في اعمال البلاد لهذه الغاية فأثقلوا على الاهلين ونهبوا بعض اشياء بحجة التفتيش عن السلاح وأهانوا بعض الكهنة بالحبس والضرب والشتم ولاسيما في كسروان، واختبأ بعض اصحاب المناصب وسار نميق باشا بعسكره الى العاقورة واخذ سلاح اهلها ثم نهض الى تنورين فالتقاه اهل جبة بشري قاصدين صده، فناوشهم فانهزموا الى الحدث ولحقهم الى هناك ففروا الى بشري. وتوسط بطريرك الموارنة امرهم بأن يقدموا سلاحهم الى الحدث ولا يدخل العسكر قراهم فرضى نميق باشا ذلك ولما قدموا سلاحهم سار بعسكره الى طرابلس ثم الى بيروت.

ثم عزل شكيب افندي الامير احمد ارسلان عن قائمقامية الدروز وولى مكانه اخاه الامير اميناً وقسم البلاد بينه وبين الامير حيدر اسماعيل جاعلاً طريق دمشق

فاصلاً بينهما، واعطى الامير امين نصف ساحل بيروت، فلم يرضَ الامير حيدر والسكان ودخل قناصل الدول في ذلك فقسم الساحل بين القائمقامين فأعطى الامير حيدر الساحل الشرقي والأمير اميناً الساحل الغربي وجعل طريق دير القمر فاصلاً بينهما.

وحصل اختلاف بينهما على قريتين الشياح ووادي شحرور العليا فوضع الوزير يده عليهما وأتبعهما لولاية ببيروت. واستتبت الراحة في لبنان في ايام ولاية الامير حيدر اسماعيل وكان حاكماً ورعاً عادلاً حليماً وقد أدركته الوفاة سنة ١٨٥٤م في قرية صربا بكسروان مفلوجاً بلا عقب وعمره سبع وستون سنة وحمل الى بكفيا فدفن بكنيسة الآباء اليسوعيين فيها.

فعين وامق باشا ابن اخيه الامير بشير عساف قائمقاماً للنصارى مؤقتاً وكتب الى الآستانة يلتمس الولاية للامير بشير احمد اللمعي فأجابه الباب العالي الى ذلك فخلع الوزير عليه. وفي سنة ١٨٥٩م كانت ثورة الكسروانيين على مشايخهم آل خازن وطردوهم من كسروان. وفي السنة المذكوة كانت وقعة بيت‌مري بين النصارى والدروز وعقبتها في سنة ١٨٦٠م الملاحم التي كانت في دير القمر وحاصبيا ودمشق والتي توقف قلمنا عن تدوين تفصيلها لما بذلك من المحاذير من ايقاظ الضغائن والتذكير باحداث يكره الفريقان اعادة ذكرها ويودان لو لم تكن حصلت وهي من حوادث ايامنا. ومن عادة المؤرخين أن يتحاشوا ذكر حوادث ايامهم.

فنقتصر على القول ان ما جرى على النصارى لم تتحمله رأفة السلطان الغازي عبد المجيد واشمأزت منه دول اوروبا وشعوبها، فأرسل جلالة السلطان فؤاد باشا بصفة مفوض بالاستقلال ليجزي كل من اشترك في المنكرات بما جنت يداه، ويؤمّن رعايا الدولة ويعيد السكينة والراحة الى البلاد، وارسلت حكومة فرنسة ستة آلاف جندي فرنسي باسم دول اوروبا وامرت على عساكرها الجنرال بوفور دي تبول والجنرال ديكرو، وارسلت دول فرنسة وانكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا مفوضين للمداولة باصلاح ذات البين وفرض ما يلزم من النظام لمنع تجديد الفتن الاهلية، فأقاموا ببيروت. وبعد أن أجرى فؤاد باشا جزاء من وجدهم مذنبين بهذه

الفظائع بقتل كثيرين ونفي كثيرين وتأمين البلاد اخذ يتداول مع مفوضي الدول بوضع نظام يتكفل بامنية البلاد وراحتها وعدم تجديد الفتن والقتال. وكانت نتيجة مخابراتهم انهم وضعوا اولاً نظاماً في ٢٠ آذار سنة ١٨٦١ مؤلفاً من سبعة وأربعين مادة من متضمناته تقسيم حكومة حبل لبنان الى ثلاث قائقاميات واحدة للموارنة وأخرى للدروز والثالثة للروم غير المتحدين، ثم تبدلت آراؤهم فعولوا على نظام آخر في اول ايار من السنة المذكورة مؤلفاً من ست عشرة مادة ومن فحواه أن يقام في الجبل حاكم واحد مسيحي ورفعوا النظامين الى الباب العالي ليتفق الباب العالي وسفراء الدول على احدهما مع ما يرون من الزيادة على المواد او الحذف او التبديل منها، ولدى اجتماعهم في ٣٠ ايار عند عالي باشا الصدر الاعظم وقتئذ دافع عالي باشا كل الدفاع عن وجوب وضع النظام الاول الموجب قسمة الجبل الى ثلاث قائمقاميات فعارضه اكثر السفراء في ذلك متشبثين بلزوم تقرير النظام الثاني اي أن يكون حاكم الجبل واحداً وارتضى اخيراً عالي باشا أن ينقاد الى آرائهم فتقرر أن يكون حاكم الجبل واحداً.

ثم بحث بعد ذلك في ما اذا كان هذا الحاكم يلزم أن يكون مسيحياً او غير مسيحي وتقرر ان يكون مسيحياً من مذهب اكثرية سكانه، ثم بحث في ما إذا كان هذا الحاكم يلزم أن يكون وطنياً او اجنبياً فكان انقسام في الآراء فكان من رأي عالي باشا الصدر الاعظم انه يلزم أن يكون اجنبياً ووافقه على ذلك السير هنري بولور سفير انكلترا فقام الموسيو المركيز دي لافالات سفير فرنسة مثبتاً انه يلزم ان يكون وطنياً حفظاً لامتياز اهل الجبل المعمول به من سنين متطاولة باثبات الدولة، ولأن الوطني اخبر بحالة البلاد ولغته. واسهب الكلام في ذلك ووافقه على رأيه البارون بروكش سفير النمسا، والبرنس لابانوف سفير روسيا، وأوضح الكونت كولنز سفير بروسيا انه لا يضاد الحاكم الوطني مع محافظته على حقوق السلطنة صاحبة السيادة في البلاد، وعرض طريقة للتوفيق بأن ينصب الآن حاكم اجنبي على سبيل التجربة والاختبار في مدة ثلاث سنين، وبعدها تعاد المخابرات وينظر بما يبينه الاختبار. ولدى عرض الموسيو دي لافالات الى الموسيو توفانل وزير خارجية فرنسة مما كان بهذه المداولات أجابه بالتلغراف الآتي تعريبه: «لا تترك محاماة الحكومة الوطنية بل

ابذل قصارى جهدك بها وإذا رأيت ان الضرورة تقتضي عليك بالتسليم بطريقة التوفيق فلا نوقع على القرار إلا مع التصريح بأن الحكام الوطنيين لا يكونون منفيين في ما بعد، وبعد أن تستوقف من علي باشا ان انتخابه للحاكم الاجنبي يكون واقعاً على داود افندي». ثم كتب له تلغرافاً في ٨ حزيران يقول به: «في الاجتماع الذي كان امس لما رأيت إجماع رأي زملائي السفراء على طريقة التوفيق سلمت بها». وعلى هذا البناء قد نصب داود افندي الارمني والياً على لبنان مدة ثلاث سين على سبيل التجربة واتفق السفراء مع عالي باشا على انهم بعد انقضاء هذه المدة يجتمع السفراء والصدر الاعظم فيرون ما يكون الاختبار بينه فيعتمد عليه. (قطفنا هذا الكلام الاخير من الكتاب الرسمي الفرنسي المعروف بالكتاب الاصفر عن اعمال الدولة سنة ١٨٦١) وحضر داود الى لبنان وجلت عساكر فرنسة عنه.

عد ١١٠٦

السلطان الغازي عبد العزيز خان

بعد وفاة السلطان عبد المجيد في ٢٥ حزيران سنة ١٨٦١م بويع بالخلافة اخوه السلطان عبد العزيز في اليوم التالي لوفاته، وكان السلطان عبد العزيز قد ولد في ١٤ شعبان سنة ١٢٤٥هـ الموافق ٩ شباط سنة ١٨٣٠م وكانت باكورة اعماله انه اقر الوزراء في مناصبهم الا ناظر الجهادية رضا باشا فانه بدله بنامق باشا. ومن الاحداث التي كانت في ايامه الحرب في الجبل الاسود، فإن أمير هذا الجبل المسمى دانيال كان قد طلب من مفوضي الدول في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦م الاعتراف باستقلاله فلم ينل طلبه قبولاً بل اشاروا عليه أن ينقاد للدولة العلية، وهي تتخلى له عن بعض املاكها في الهرسك لتوسيع تخومه، وتولية رتبة مشير، وتعين له راتباً مالياً في كل سنة، فلم يتفق على الحدود فحصلت لذلك عدة مواقع بين الجبليين وعساكر الدولة سنة ١٨٥٨م، وقتل الامير دانيال سنة ١٨٦٠م فخلفه ابن اخيه المسمى نقولا. وساعد اهل الهرسك في ثورتهم فأخمد عمر باشا ثورتهم وحاصر امارة الجبل فأرغم الأمير نقولا أن يوقع على الشروط التي وضعها له عمر باشا سنة ١٨٦٢م. وفي جملتها ان تبني الدولة قلاعاً في

الطريق بين اشقودرة والهرسك وتوسطت دول اوروبا ولاسيما فرنسة وروسيا فعدلت الدولة عن بناء القلاع في ارض الجبل على شريطة ان امير الجبل يتعهد بحفظ هذه الطريق ويكفل ما يسلب من اموال التجار العثمانيين فيها وقبل الامير هذا الشرط فانتهت الحرب وزال الخلاف سنة ١٨٦٤م.

ومما كان في السرب في ايام هذا السلطان انه لما كان قد تقرر في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦م استقلال السرب تحت سيادة الباب العالي، وأن يكون للدولة العلية الحق في اقامة حامية في ست قلاع بهذه البلاد. ففي سنة ١٨٦٢م حصلت فيها فتنة بين المسلمين والنصارى وتدخل قائد الحامية العثمانية بنجدة المسلمين فعقد مؤتمر في الآستانة حضره مفوضو الدول الموقعة على عهدة باريس، وتقرر فيها إخلاء قلعتين من الجنود العثمانية، وبقاؤها في اربع قلاع من الست، وان من بقي من المسلمين خارجاً عن القلاع الاربع لزمه أن يبيع املاكه ويهاجر، وان لا يتدخل القواد العثمانيون في ادارة البلاد البتة. وجلت العساكر العثمانية عن السرب سنة ١٨٦٧م، فكمل استقلالها وتكملة لتاريخ هذه البلاد نقول ان ميخائيل أمير السرب قتل سنة ١٨٦٨م وخلفه الامير ميلان فحارب الدولة لكن ظهرت عليه الجنود العثمانية سنة ١٨٧٦م، فأرغم على عقد الصلح لكنه عاد الى القتال سنة ١٨٧٧م لما رأى الجيش الروسي ظافراً الى ان قضى مؤتمر برلين باستقلال السرب وتوسيع تخومها سنة ١٨٧٨م، وجعلت مملكة سنة ١٨٨٢م والامير ميلان ملكاً عليها، الى أن تنزل لابنه عن الملك وسمي اسكندر. وقتل في هذه السنة في ٢٦ تموز سنة ١٩٠٣م على ما اتذكر، وخلفه بطرس الاول. واما الفلاخ والبغدان فكانت معاهدة ادريانوبل وضعت الفلاخ تحت حماية روسيا وحدها، ولكن في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م جعلت تحت حماية دول اوروبا الموقعة على تلك العهدة. وفي سنة ١٨٥٩م ضمت الى البغدان وتسمت الامارتان رومانيا، وكان يليهما معاً الامير كوزا ولهما مجلس شورى واحد ووزارة واحدة، وسُمِّي اميرهما يوحنا اسكندر الاول. وفي اواخر سنة ١٨٦١م صدر الفرمان باجازة انضمام الولايتين، فثار الاهلون عليه سنة ١٨٦٦م وارغموه على الاستقالة. واجتمع مفوضو الدول في باريس يتداولون بأمر الخلافة للامير اسكندر الاول وقرروا أن يكون الوالي من

أشراف البلاد فلم يرضَ الأهلون بل انتخبوا الامير شارل دي هنزولرن من اسرة بروسيا المالكة وسمي ملكاً بعد حرب روسيا الاخيرة. ومما كان في ايام السلطان عبد العزيز ثورة اهل كريت وتخميد عالي باشا لها، وانعقاد مؤتمر بباريس من مفوضي الدول الموقعة على معاهدتها سنة ١٨٥٦، وانتهت المسألة في ذلك الحين باصدار السلطان ارادة سنية في ١٩ ايلول سنة ١٨٦٩م منح بها الجزيرة بعض امتيازات، وعفا اهلها من دفع المال الاميري سنتين ومن الخدمة العسكرية. ومما فعله السلطان عبد العزيز خلافاً لعادة اسلافه زيارته للقطر المصري سنة ١٨٦٣م وزيارته لباريس سنة ١٨٦٧م واقامته لجنة لتأليف «مجلة الاحكام العدلية» سنة ١٨٦٩م. وفي ايامه انتهى فتح خليج السويس سنة ١٨٦٩م. وقد تآمر بعض اصحاب المآرب عليه بدسائس بعض الاجانب ايضاً على ما يظن وحملوا شيخ الاسلام خيرالله افندي على الفتوى بصحة خلعه ثم قضى اجله سنة ١٨٧٦م بطريقة يعلمها الله اذ لم تزل غامضة الى الآن.

عد ١١٠٧

السلطان مراد خان الخامس

هو ابن السلطان عبد المجيد خان ولد في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦هـ (سنة ١٨٤٠م) وبعد تبليغ السلطان عبد العزيز الفتوى بعزله، وانتقاله الى سراي طوبقبو بويع السلطان مراد بالخلافة والملك في اواخر ايار سنة ١٨٧٦م. وبعد استوائه على سرير الملك اصدر فرماناً بابقاء الوزراء وجميع المأمورين على مناصبهم مبيناً فيه خطة الاصلاح الذي يريد أن يجري عليها، لكنه لم يسمح الله له بابراز مقاصده الخيرية الى حيز العمل لانه ظهرت عليه امارات الاضطراب العصبي بعد المبايعة له باسبوع واحد ثم اخذت في الازدياد شيئاً فشيئاً ولاسيما بعد أن بلغه خبر قتل حسن بك الجركسي وحسين عوني باشا ومحمد راشد باشا. وكان الصدر الاعظم يكتم خبر انحراف صحة السلطان عن العامة ولكن كان يبديه عدم احتفاله بتسليم السيف السلطاني في جامع ابي ايوب كالعادة، وعدم مقابلته سفراء الدول. ولما اشتد مرضه دعا الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوي الشهير، وبعد أن فحص جلالته ولازمه

عدة ايام قضى بتعسر برءه من مرضه؛ فتشاور الوزراء وعرضوا على اخيه عبد الحميد افندي ان تسلم اليه مقاليد السلطنة لعدم لياقة اخيه لادارة شؤونها، فأجابهم رعاه الله انه لا ينبغي التسرع في الامر عسى الله يمنّ على اخيه بالفرج والعود الى ما كان عليه من حسن الذهن والذكاء، فامتثل الوزراء على انهم رأوا بعد ذلك ان اختلال شعوره يتزايد فاجتمعوا في ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣هـ (٣٠ آب سنة ١٨٧٦م) وقرروا لزوم المبايعة للسلطان عبد الحميد خان، واجتمعوا ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خيرالله افندي وجميع الكبراء والعلماء والامراء والأعيان واستفتوا شيخ الاسلام فأفتى بوجوب عزله وهذا نص الفتوى:

«اذ جن امام المسلمين جنوناً مطبقاً ففات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهدته والجواب يصح والله اعلم.

كتبه الفقير **حسن خيرالله** عفي عنه

عد ١١٠٨

السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني

هو سلطاننا الأعظم ومليكنا الأفخم ولي النعم ومن اشتهر بحكمته وحسن سياسته بين الأمم كنارٍ على علم نصره المولى المنان، وأبّد أريكة ملكه ما تتالى الملوان، وجد الجديدان. «ان من عادة المؤرخين ان لا يدونوا تراجم ملوك أيامهم خشية أن يعزى اليهم التملق والمغالاة في مدحهم فنحذو حذوهم، ولاسيما ان ما منَّ الله به على مولانا الاعظم من الحكمة السامية واصالة الرأي وسداد الفكر وتوقد الذهن وسمو المدارك وغير ذلك من الصفات النادرة المثال في الملوك الاعاظم هو غني عن البيان، ويعترف به كل لسان، فنقتصر على ذكر تاريخ مولده الشريف وسنة استوائه على العرش، وذكر بعض اعماله الباهرة، وبعض ما كان في ايامه الزاهرة. فقد كان مولده الشريف في ١٦ شعبان سنة ١٢٥٨هـ (٢٣ ايلول سنة ١٨٤٢م) وارتقى الى العرش في ١١ شعبان سنة ١٢٩٣هـ (٣١ آب سنة ١٨٧٦م)، وبعد القاء ذمة السلطنة والخلافة اليه اصدر فرماناً في ٢١

شعبان سنة ١٢٩٣هـ (١٠ ايلول سنة ١٨٧٦م) موجهاً الى محمد رشدي باشا الصدر الاعظم بيّن فيه تقريره لوزراء في مناصبهم، وشديد رغبته في الاصلاح، ثم استقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة لتقدمه في السن فعهد بهذا المنصب الى احمد مدحت باشا في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٣هـ (١٣ كانون الاول سنة ١٨٧٦م) وبعد اربعة ايام اصدر اليه الخط الشريف الهمايوني مرفقاً اياه بالقانون الاساسي الشوردي وامر بتنفيذه.

وعند استواء جلالته على العرش العثماني كانت المملكة محفوفة بالمخاطر من قبل الثورات التي اثارتها اصحاب المآرب السياسية في بلغاريا والسرب والجبل الاسود والهرسك والبشناق، واجتمع مؤتمر في الآستانة حضره مفوضو الدول في ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٧٦م فاقترحوا على الدولة اقتراحات مغضة من كرامتها مضرّة بمصلحتها فأبى الباب العالي إلا رفضها ونبذها فأشهرت روسيا الحرب على الدولة العلية في نيسان سنة ١٨٧٧م، وزحفت جيوش الطرفين للقتال ودول اوروبا راضية عن اعتداء روسيا غير مساعدة بشيء للدولة العلية، فأظهر الجنود العثمانيون وقادتهم في هذه الحرب آيات البسالة والثبات ولاسيما في مواقع بلفنه وقارص بنوع انهم وان تقهقروا الا انهم ابانوا لروسيا ولسائر دول اوروبا ما اتصفوا به من البسالة والثبات في القتال والتجلد على المشاق فيه ما ادهش كل من سمع بأخبارهم وعظمت مهابتهم في أعين أعدائهم أنفسهم.

وهاجر المسلمون من بلغاريا وغيرها الى الآستانة مستظلين بأكناف صاحب الخلافة فأثقلوا كاهل الدولة فوق اثقالها بالحرب ونفقاتها، ودخلت جيوش الروس الى ادرنة في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٨م وهددت الآستانة بالحصار، فارتأى الباب العالي أن يرسل نامق باشا وسرور باشا لمخابرة الغراندوق نيقولا بتوقيف الحرب فسارا اليه ومعهما نجيب باشا وعثمان باشا من جانب الجيش العثماني. ففي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٨م وقّع الفريقان على اتفاقين الأول وقّع عليه الغراندوق نيقولا ونامق باشا وسرور باشا ومفاده منح الدولة العلية الاستقلال الاداري للبلغار والاستقلال السياسي لرومانيا والجبل الاسود وتعديل تخومهما والتخلي لهما عن بعض املاك الدولة، وتقرير غرامة حربية لروسيا تدفع منقودة او يستعاض عنها بأخذ

بعض القلاع والحصون. والاتفاق الثاني وقع عليه نجيب باشا وسرور باشا ومفوضين من قبل الجيش الروسي مفاده توقيف الحرب وشروط الهدنة.

ولما بلغ دول اوروبا الاتفاق على مبادئ الصلح وحصول الهدنة طلبت النمسا الى انكلترا عقد مؤتمر يجتمع فيه مفوضو الدول الموقعة على معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م خشية أن يكون في هذا الصلح ما يحجف بحقوق الدولة، فأجابت انكلترا النمسا الى هذا الطلب واقترحت أن يكون عقد المؤتمر في مدينة باد، وشاع حينئذ ان روسيا ترغب في أن يكون الصلح مع الباب العالي بمعزل عن الدول، وشاع ايضاً ان عساكر الروس احتلت الآستانة فأمرت انكلترا اسطولها أن يدخل الى البوسفور لحماية رعاياها، فدخل الاسطول رغماً، واكتفى الباب العالي باقامة الحجة على دخوله فاغتنمت روسيا هذه الفرصة فطلب قائد جيشها ادخال فرق من الجيش المخيم قريباً من الآستانة الى المدينة بحجة المحاماة عن النصارى، فعارضت انكلترا كل المعارضة فعدلت روسيا عن ذلك.

وطلب الغراندوق أن ينقل مركز المخابرات من ادرنة الى البلدة المعروفة بسان اسطفانو في جوار الآستانة فقبلت الدولة ذلك. وفي ٢٤ شباط سنة ١٨٧٨م سافر الغراندوق الى البلدة المذكورة بألف جندي بصفة حرس له ثم تزايد عدد الجنود الروسية هناك حتى بلغ نحو عشرين ألف مقاتل، وحضر الى هناك صفوت باشا ناظر الخارجية وسعد الله بك سفير الباب العالي في المانيا والجنرال اينياتف مفوض روسيا. وبعد عدة اجتماعات طلب المفوض الروسي التصديق على اعمال المعاهدة قبل اليوم الثالث من آذار الواقع فيه عيد جلالة القيصر مهدداً بابطال الهدنة وسوق عساكر الروس الى الآستانة اذا لم يجرِ التصديق في اليوم المعين فاضطر مندوبا الدولة العلية الى التوقيع قبل التروي الكافي في مواد المعاهدة.

وهذه خلاصة مواد هذه المعاهدة التي يهم مطالعي تاريخنا معرفتها فقد تقرر في المادة الأولى تصحيح الحدود بين المملكة العثمانية والجبل الاسود بموجب خريطة صنعت لذلك، وأن يثبت الباب العالي استقلال امارة الجبل المذكور وأن تكون امارة السرب مستقلة ايضاً ومضبوطة تخومها بموجب خريطة، وان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد الملتحقة بالسرب لهم الخيار في أن يؤجروها او يقيموا وكلاء عنهم في ادارتها. وقد تقرر أيضاً أن يثبت الباب العالي استقلال رومانيا

وأن يكون البلغار امارة ممتازة تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية، ويكون مأمورو الحكومة والعسكر من النصارى، وأن امير بلغاريا ينتخبه الاهلون ويثبته الباب العالي بحيث لا يكون من اقارب ملوك اوروبا الجالسين على عرش الملك، ولا يبقى حق لعساكر الدولة أن تقيم في القلاع القديمة. وان لأصحاب الاملاك من المسلمين اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة أن يؤجروا أملاكهم أو يفوضوا من أرادوا بادارتها. وان الاصطلاحات التي تقررت في اول مجلس من مؤتمر الآستانة ينبغي تنفيذها دون تأخر في البشناق والهرسك مع التعديلات التي سوف تتقرر بين الدولة العلية ودولتي روسيا والنمسا. وان الباب العالي يتعهد باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع لجزيرة كريت سنة ١٨٦٨م طبق طلب الاهالي، وأن يصدر عفواً عاماً عن جميع المتهمين بالاحداث الاخيرة ويطلق الاسرى والمسجونين لهذا الداعي، وان مبالغ التعويضات التي طلبها قيصر الروس وتعهد الباب العالي بدفعها هي مائتان وخمسة واربعين مليون ومائتان وسبعة عشر ألف وثلاثمائة وإحدى وتسعون ليرة عثمانية وأعلن القيصر أن يأخذ بقسم كبير من هذه المبالغ املاكاً للدولة جرى تعيينها. وان خليج الآستانة وخليج جناق قلعة يكونان مفتوحين للسفن التجارية التي تمر الى بلاد روسيا الى غير ذلك. ووقع على هذه المعاهدة في ١٩ شباط و٣ آذار سنة ١٨٧٨م.

كونت انيانيف صفوت لليدوف سعدالله

وقد رأت دول اوروبا هذه المعاهدة معظمة للنفوذ الروسي في الممالك المحروسة ومجلبة الخوف من استحواذ روسيا على الآستانة العلية فطلبت تعديل معاهدة سان اسطفانو هذه، وكانت انكلترا اشد تشبثاً بهذا الطلب. وفي ٧ آذار سنة ١٨٧٨م دعت النمسا جميع الدول لعقد مؤتمر في برلين تحت رئاسة البرنس بسمارك وطلبت انكلترا ان تنظر الدول في كل مواد معاهدة سان اسطفانو وانكرت روسيا ذلك على انها رأت انه لا بد من الاجابة الى هذا الطلب. ودعا بسمارك الدول لارسال مفوضيهم الى برلين لعقد المؤتمر في ١٣ حزيران سنة ١٨٧٨م، فعقدوا عشرين مجلساً في مدة شهر الى ١٣ تموز سنة ١٨٧٨م.

وهذا شيء مما كان في هذا المؤتمر ففي المادة الاولى تقرر استقلال امارة البلغار

في امورها الداخلية وأن تدفع في كل سنة خراجاً للباب العالي وتبقى تحت سيادة الحضرة السلطانية ويكون حاكمها مسيحياً وعساكرها وطنية وعين المؤتمر تخومها من كل جهاتها وقرر ان اهل البلغار لهم الحرية التامة أن ينتخبوا اميرهم وللباب العالي ان يقرره برضى الدول العظام ولا يكون من بيوت الملوك المالكة، وبعد انتخابه تجتمع اعيان البلغار لتسن نظاماً لامارتهم، وان اختلاف المذهب بين البلغاريين لا يخرج احدهم من الحقوق العمومية والمدنية، والخراج الذي يدفعه البلغار للحضرة السلطانية يكون تعيينه عند ختام السنة الأولى من العمل بالنظام الجديد باتفاق بين الدول ومراعاة حالة الدخل وقيمة ما يتحمله البلغار من ديون الدولة العامة وان تجلى العساكر العثمانية عن البلغار وتهدم القلاع التي لها في هذه البلاد. ثم تقرر أن تشكل على جنوب البلغار ولاية تسمى الروملي الشرقية تبقى على تابعيتها السياسية والعسكرية للباب العالي، ولكنها حائزة على استقلال اداري ويكون واليها مسيحياً الى مدة خمس سنين منصوباً من الباب العالي برضى الدول، وحدد المؤتمر تخوم هذه الولاية.

ثم قد تعهد الباب العالي أن يجري في جزيرة كريت النظام الذي تقرر وضعه لها سنة ١٨٦٨م مع بعض التعديل الذي يرى من العدل اجراؤه. وتقرر أن تتبوأ عساكر النمسا والمجر ولايتي البشناق والهرسك ويناط بها امر ادارتهما، وتتفق مع الدولة العثمانية على المواد المتعلقة باحتلال عساكرها هذه. وقد اعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود واعترفت له بذلك الدول التي لم تقر له به قبلاً، وتقرر أن اختلاف المذهب لا يخرج احداً من اهل الجبل عن الاهلية المدنية والسياسية وعينت تخوم هذا الجبل، وان المسلمين الذين يحبون أن يسكنوا خارجاً عن الجبل تبقى لهم الحرية بالتصرف بأملاكهم، ويلزم الجبل الاسود أن يتحمل جانباً من الديون العامة على الدولة العلية. ثم وطد المؤتمر استقلالية السرب وعين تخوم هذه البلاد وأن تكون معاملة رعايا السرب القاطنين في السلطنة العثمانية بحسب اصول الاحكام المتداولة بين الدول. وأن تتحمل السرب قسماً من ديون الدولة العامة وتقرر ان اختلاف المذهب لا يخرج احداً من رعايا رومانيا عن الحقوق المدنية والوظائف العامة في هذه الامارة وان ترد هذه الامارة على روسيا اراضي بيسارابيا التي كانت قد اخذت من روسيا في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م.

ثم تقرر ان الباب العالي يسلم الى روسيا في آسيا، واردهان وقارص وباطوم وغيرها وتعينت التخوم الفاصلة بين المملكتين، وان ترد روسيا على المملكة العثمانية اودية الثغرا ومدينة بايزيد، وان الباب العالي يتعهد بأن يجري دون تأخر في الولايات التي سكنها من الارمن الاصلاحات والتحسينات التي تحتاجها في امورها الداخلية، وبأن يأمن الارمن من تعدي الجراكسة والاكراد، وأن يفيد الدول عما يصنعه بذلك وهي تراقب كيفية اجرائه. ولما كان الباب العالي اظهر رغبته في حفظ اصول حرية الدين فالدول الموقعة على هذا المؤتمر تنزل هذه الرغبة منزلة العمل فاختلاف الدين لا يخرج احد العثمانيين عن الاهلية لشيء من الحقوق المدنية والسياسية والدخول في الوظائف الاميرية او نيل مراتب الشرف او استعمال الصنائع، وأن يؤذن لجميع الناس أن يؤدوا الشهادة في المحاكم دون تمييز في الدين، ويحق لجميعهم استعمال امور دينهم بتمام الحرية ويكون الاكليرس والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية حائزين حقوقاً متساوية ومفوض الى قناصل الدول ونوابها أن يحاموهم ويحموا محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة وغيرها، اما الحقوق المقررة لفرنسة فتبقى مرعية الاجراء. ومن المقرر انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة، ثم قرروا اخيراً ان تبقى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦م ومعاهدة لندن سنة ١٨٧١م مرعيتي الاجراء في جميع المواد التي لم تنسخها او تعدلها هذه المعاهدة ووقع نواب الدول على هذه المعاهدة ووضعوا عليها اختامهم في ١٣ تموز سنة ١٨٧٨م.

وكانت في ايام متبوعنا الاعظم ثورة اليونان سنة ١٨٩٨م، وفتكت بهم الجنود العثمانية المظفرة واندعروا من وجهها في مواقع عديدة، ولولا شفقة جلالته ووساطة دول اوروبا لاستحوذ على بلادهم وأذاقهم الأمرّين. ولا ينكر ما كان في ايام عظمته من النهضة العلمية في جميع ممالكه ولا سيما عند الاتراك من تأسيس المدارس والمكتبات والمطابع وترجمة الكتب، فقلما نجد الان كتاباً علمياً هاماً في اي فن او علم كان الا ونجده مترجماً الى التركية، وقد احيت مطبعة الطباعة كثيراً من رمم مؤلفات القدماء واغنت المكتبات بها وبباقي مطبوعاتها اطال الله ايامه وزادها يمناً وسعداً وجعل الاقبال والرغد له رقاً وعبداً.

عد ١١٠٩

ما كان بسورية من سنة ١٨٦١ فصاعداً الى الآن

قل ما كان بسورية في هذه الفترة شيء من الامور الهامة، وتبدل على متصرفية لبنان الى الآن ستة ولاة او متصرفين فأولهم داود باشا الارمني سماه السلطان سنة ١٨٦١م برضى سفراء الدول الموقعة على نظام لبنان، ولم تخل ايام ولايته من القلق وكان فؤاد باشا قد سمى يوسف بك كرم وكيلاً لقائمقامية النصارى، وانتهت مأموريته هذه بوصول داود باشا الى لبنان واراد المتصرف أن يستعمله في احدى القائمقاميات لما كان للبك من نفوذ الكلمة بلبنان ومحبة الشعب له، لكن يوسف بك أبى قبول اية وظيفة كانت وأحب أن يعتزل طائعاً عن كل وظيفة، ولما ضويق ليقبل وظيفة سمي قائمقاماً لقضاء جزين لكنه استقال من هذا المنصب في اليوم الثالث من نصبه به، ومضى الى داره باهدن فوجس داود باشا من هذا الاعتزال وشكا الامر الى فؤاد باشا فكتب الى كرم أن يحضر اليه طلق العنان (كما في اصل الرسالة) فأسرع بالحضور دون ابطاء الى بيروت، ولما قابل فؤاد باشا امره ان يبقى حيث كان وقتئذ في القشلة العسكرية فبقي مكرماً، وبعد ايام صحبه فؤاد باشا معه بسفره الى الآستانة في اواخر سنة ١٨٦١م.

واقام كرم بك بالآستانة مطلقاً له ان يتوجه حيث شاء الا عوده الى سورية. وفي سنة ١٨٦٤م جددت ولاية داود باشا ولما عرف يوسف بك بذلك عاد الى زغرتا في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤م، فاهتزت البلاد له، ورأى داود باشا انه يتعسر عليه ادارة البلاد وهو فيها وان لا قوة كافية لكبته فأمنه وسافر سنة ١٨٦٥م الى الآستانة يستأذن ويستعد لحربه، وبعد عوده من الآستانة قبض في اواخر السنة المذكورة على بعض انسباء كرم وأصحابه، وعلم يوسف بك ما وراء الأكمة فأتى بجمهور من شمالي لبنان اكثرهم من اهل التعقل والسلامة لا من اهل الحرب آملاً أن يحمل الباشا على مصالحته، فبلغوا في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٦م الى دير مار ضوميط البوار، وبينا كان البك يسمع القداس وفد بعض فرسان الدراغون على رجال البك وناوشوهم القتال فاضطرمت نار الحرب، وتقدم البك برجاله الى المعاملتين فزادت نار الحرب تسعراً وقتل من الطرفين عدة قتلى وعاد البك برجاله الى زغرتا.

فأرسل داود باشا العساكر في أثره فكانت وقعات بين كرم والعساكر سيأتي ذكرها وفي اخرها اختفى كرم وكانت العساكر تطلبه فلم تنل منه مأرباً. اخيراً سئمت نفسه الاختفاء فظهر واجتمع عليه نحو ثلاث مائة رجل قام بهم في وسط البلاد من جبة بشري الى بلاد البترون وجبيل وكسروان حتى بلغ الى قاطع بيت شباب وعسكر الحكومة يتبعه عن بعد، ولم يتحرش لقتاله إلا في الوادي الفاصل بين كسروان والقاطع ولما رأى داود باشا اتساع الخرق لجأ الى قنصل فرنسة لايجاد مخرج من هذه الحال السيئة، وبينما كان يوسف بك في القاطع ارسل اليه قنصل فرنسة كتاباً يعرض عليه به ان يكون تحت حماية فرنسة وهي تسفره من لبنان بكل امن الى فرنسة وارسل اليه القنصل بعض اعيان ليقنعوه بالاجابة الى طلبه فعاد البك حينئذ برجاله الى دير بكركي كرسي بطريركية الموارنة الذي كان عينه القنصل موعداً للالتقاء به، فقبل البك حماية فرنسة وأن يسافر من لبنان تحت رايتها. وبارح بكركي قاصداً بيروت للسفر منها الى فرنسة، فاجتمعت في بكركي الألوف المؤلفة ورافقته في سفره، وغصت الطريق بالملاقين له من بكركي الى بيروت، فكان لدخوله بيروت احتفال لم يكن له مثيل قبله فأقام فيها ثلاثة ايام وسافر الى مرسيليا في شهر شباط سنة ١٨٦٧م ثم الى جزائر الغرب.

وأما داود باشا فاستمر على متصرفية لبنان بعد ذلك نحو سنة وعزله الباب العالي برضى سفراء الدول سنة ١٨٦٨م، وسمى خلفاً له المرحوم فرانكو باشا كوسا واستمر يدبر هذه المتصرفية الى أن مات مأسوفاً عليه سنة ١٨٧٣م ودفن في الحازمية. وخلفه في متصرفية الجبل رستم باشا وأقام فيها عشر سنين الى سنة ١٨٨٣م حين سمى الباب العالي بدلاً له واصه باشا الارديني الأصل وبقي يدبر الجبل الى أن توفي في ٢٩ حزيران سنة ١٨٩٢م، ودفن في الحازمية ايضاً بجانب مدفن حرمه ومدفن بنته اللتين توفيتا بلبنان مدة ولايته. وخلفه سنة ١٨٩٢م نعوم باشا ابن اخت فرانكو باشا ودبر جبل لبنان الى سنة ١٩٠٢م حين انقضت مدة ولايته، فسمى الباب العالي خلفاً له برأي سفراء الدول المتصرف الحالي وهو دولتلو مظفر باشا وفقه الله الى عمل ما به الخير ورضى المتبوع الاعظم ونجاح لبنان.

وفي سنة ١٣٠٣هـ (اي سنة ١٨٨٥م) فصلت ولاية بيروت عن ولاية سورية

وجعلت مستقلة. وأول والي سُمي لولاية بيروت هو المغفور له علي باشا اقام على الولاية سنة إلا اياماً وتوفي وسمي موضعه حسين فوذي باشا ثم رؤوف باشا ثم عزيز باشا ثم اسماعيل بك ثم خالد بك ثم نصوحي بك ثم رشيد بك افندي ثم خليل خالد باشا والينا الحالي.

الفصل الثاني

بعض المشاهير في القرن التاسع عشر

عد ١١١٠

بعض المشاهير السوريين في هذا القرن

١- الشيخ امين الجندي الحمصي

ولد بحمص في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة ونشأ بها وأخذ العلوم عن علمائها وتردد الى دمشق وقرأ على أئمتها، ومن جملتهم الشيخ عمر اليافي الشهير. ثم عاد الى حمص واقام بها واتقن الشعر واشتهر به. وفي سنة ١٢٤٦هـ (سنة ١٨٣٠م) وشى به الى عامل حمص انه هجاه وندد به ففر الشيخ الى حماه فبعث العامل رجالاً قبضوا عليه وحبسوه ومنعوا عنه الطعام إلا ما يقيه الموت. واتفق حينئذ ان سليماً بن باكر من الدنادشة دخل حمص عنوة بمائتي رجل من عشيرته وقتل ذاك العامل، واخرج الشيخ امين من سجنه، ولما كان ابراهيم باشا المصري بسورية كان الشيخ امين متقرباً اليه لائذاً بعقوته مكثراً من القصائد في مدحه، ومن نظم الادوار ليتغنى بها بذكره ومنها:

سل عن مزيل جراداً جل عن وصفِ   يغشى كنيل بلاد الشام بالزحفِ
ابو خليل نعم افناه بالحتفِ   وكم من جميل له في ذلك الحينِ

والللازمة لهذه الادوار

ان تبعديني فان الحب يدنيني   من ذا يقيني وسهم اللحظ يرميني
والمبسم الدر منه الرشف يشفيني   ان مسني الضر

وله غير ذلك كثيراً.

وقد عني بعضهم بجمع اكثر ما نظمه من القصائد والمقاطيع والموشحات فكان منه ديوان كبير وقد طبع حديثاً في بيروت بمطبعة المعارف ومن اغانيه:

يا بدر حسن تبدي من ورا الحجبِ   يفتر ياقوته عن لؤلؤ رطبِ
ويا غزالاً زها بالتيهِ والعجبِ   اراش عمداً لقتلي اسهم الهدبِ
سل بنديه عن عطفيه   من برديه ليلاً إذا بانا
من جفنيه ام لحظيه   ام كفيه دارت حميانا

ومن شعره تخميسه قصيدة حجازي افندي مفتي حلب ومطلعها:

شكر النسيم من العذيب ورودي   ما بين روض عباهر وورودي
ناديت غب تمزقي لبرودي   اهلاً بنشرٍ من مهب زرودي
أحيى فؤاد العاشق المنجود

حيا الصبا تلك الربى فتعطرت   واراح روحاً بالتواصل بشرت
ادى الرسالة مثلما قد سطرت   وروى شذى خير العقيقِ ففجرت
فيه عيون الدمع فوق خدودي

وهذا التخميس مشهور متداول. وقد توفي بحمص سنة ١٢٥٧هـ (سنة ١٨٤١م).

٢- المعلم بطرس كرامة

هو بطرس بن ابراهيم كرامة من اعيان ملة الروم الكاثوليكيين في حمص، ولد بها سنة ١٧٧٤م وبها نشأ وتأدب بالعلوم وكان له عم رقي الى الاسقفية سنة ١٧٦٣ على قلاية دمشق وسمي ارميا، واتى الى حمص ونزل في بيت اخيه ابراهيم. واتفق حينئذ أن حضر مطران من السريان الكاثوليكيينِ فلم يقبله السريان اليعاقبة وحل ضيفاً على المطران ارميا واقام القداس هناك اياماً، فشكا مسعود آغا سويدان ابراهيم كرامة بانه جعل بيته كنيسة لمن لا تعرفهم الحكومة السنية فقبضت الحكومة على الكهنة الكاثوليكيين وسجنوهم وغرموهم بمال، فسئمت نفس ابراهيم الإقامة بحمص فهاجر مع ابنه بطرس الى عكا ثم الى لبنان. وكان بطرس ضليعاً باللغة العربية ويحسن التركية فدعاه الامير بشير الشهابي المعروف بالكبير والي لبنان ليعلّم ابنيه خليلاً وأميناً سنة ١٨١٠م، فلبى دعوته واقام بخدمته فسر الامير بما رآه من درايته وسمو مداركه فرفع مكانته واعتمد عليه في تدبير شؤونه واشتهر بعلمه وتفننه وشعره وعظمت مهابته وبقي على ذلك الى أن نفي الامير بشير الى مالطة اولاً سنة ١٨٤٠م ثم سافر الى الآستانة. والمعلم بطرس اكبر مستشار له وتزلف هناك إلى رجال الدولة فعين مترجماً في المابين الهميوني الى أن أدركته المنية سنة ١٨٥١م في الآستانة وأرّخ الشيخ ناصيف اليازجي وفاته بقوله:

مضى من كان اذكى من اياسٍ   بحكمته واشعر من زهيرِ
فقل يا ابن الكرامة قر عيناً   لبطرس ارخوه ختام خيرِ

سنة ١٨٥١

وكان رحمه الله شاعراً مجيداً فصيح اللسان سيّال القلم طبع له ديوان في بيروت سنة ١٨٩٨ اشتمل على نحو سبعة آلاف بيت اكثرها في مدح الامير الشهابي ووصف اعماله وتقريظ من عاصره من الامراء والعظماء ومكاتبة الشعراء والأدباء، ومنهم عبد الباقي البغدادي الشهير.

ومن شعره يصف رشحاً ألمَّ به:

وليلة بت اشكو الرشح من ضرر حتى فنيت وحال الحال وانسابا
قالوا اترشح ياهذا فقلت لهم كلا ولكن انفي صار ميزابا
كأن عيني عين الماء في هطلٍ وصار انفي دلو الماء صبابا

وقصيدته الخالية التي التزم في كل بيتٍ منها كلمة الخال وكل منها بمعنى مشهورة ومطلعها:

امن خدها الوردي افتنك الخال فسح من الاجفان مدمعك الخالُ

وختامها:

لكل جماحٍ ان تمادى شكيمة ولكن جماح الدهر ليس له خالُ

٣- الشيخ ناصيف اليازجي

هو ناصيف بن عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي الحمصي الأصل اللبناني المولد والنشأة هاجر جده سعد المذكور من حمص نحو سنة ١٦٩٠م فتوطن في ساحل بيروت، وتفرق بعض هذه الاسرة في وادي التيم ومحالّ اخرى، واستمرت بقية منهم بحمص. وولد الشيخ ناصيف بقرية كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠م وتعلم القراءة على القس متى من قرية بيت شباب، وكان والده طبيباً مشهوراً وكان يحسن الشعر وان قل نظمه، فنشأ ناصيف على الميل الى الأدب والشعر واقبل بنفسه على الدروس والمطالعة لكتب النحو واللغة ودواوين الشعراء واخذ ينظم وهو حدث السن، وأكبّ على نسخ الكتب حتى يقال ان عند اسرته كتباً كثيرة بخط يده، ثم اتصل بالامير بشير الشهابي الشهير فقربه اليه وجعله كاتباً له واقام في خدمته اثنتي عشرة سنة، ولما ترك الأمير لبنان سنة ١٨٤٠م انتقل الشيخ نصيف الى بيروت واقام بها متفرغاً للمطالعة والتأليف والتدريس ونظم الشعر.

فمن تآليفه المشهورة ارجوزتان احداهما في التصريف والأحرى في النحو اشتملتا على نحو من ألف وخمسمائة بيت استوفى فيها اصول هذين العلمين على احسن اسلوب وشرحها بنفسه وتتداولها ايدي اكثر الطلبة في المدارس المسيحية. وله ايضاً ارجوزة في المنطق واخرى في العروض واخرى في المعاني والبيان وكتاب «عقد الجمان» في المعاني والبيان. وله ايضاً «مجمع البحرين» وهو كناية عن ستين مقامة نحا فيها نحو الحريري في مقاماته مرصعاً لها بأنواع البديع وامثال العرب وفصيح الألفاظ. وجمع من شعره ثلاثة دواوين هي شاهدة بطول باعه وسعة اطلاعه وجامعة بين دقة الصناعة ورقة العبارة وسمو البراعة. وقال الشيخ عبد الباقي العمري البغدادي عند وقوفه على النبذة الأولى من ديوانه:

على نبذة من شعر ناصيف ذي الفضل وقفت ومني العين في موضع الرجلِ
وطأطأت إجلالاً لها رأس شامخ لا خمصه هام العلى موطئ النعلِ

الى أن قال:

اذا انكرت دعواه في الشعر فتية اقام عليها شاهد العقل والنقل
وان رام شعري ان يباري شعره يقول شعوري اني عنك في شغل

ومدحه ايضاً عبد الهادي نجا الابياري والشيخ ابراهيم الاحدب وكانت بينه وبين شعراء زمانه مراسلات طبع جانب منها وسُمّي «فاكهة الندماء». ومن شعره قوله عندما زاره محمد عزت باشا احد قواد الجنود السلطانية.

يا زائراً بيتي اراك فتنته فعليك بيت غيره من مثلهِ
اجللته عني فصرت اهابه حتى كأني لم اكن من اهلهِ

وقال في بخيل

قد قال قوم ان خبزك حامض والبعض أثبت بالحلاوة حكمه
كذب الجميع بزعمهم في طعمه من ذاقه يوماً ليعرف طعمه

وقد بلي في آخر عمره بوفاة ولده الحبيب ووجد عليه كثيراً واخذ في نظم قصيدة برثيه بها لكنه لم يعد يملك عنان قريحته فلم يكملها وهذا ما نظمه منها:

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي   أسفاً عليه ويا دموع اجيبي
ربيته للبين حتى جاءه   في جنح ليل خاطفاً كالذيبِ
يا ايها الام الحزينة اجملي   صبراً فان الصبر خير طبيبِ
اني وقفت على جوانب قبره   أسقي ثراه بمدمعي المصبوبِ
ولقد كتبت له على صفحاته   يا لوعتي في ذلك المكتوبِ
لك يا ضريح محبة وكرامة   عندي لأنك قد حويت حبيبي

وكانت وفاة الشيخ ناصيف في ٨ شباط سنة ١٨٧١م بداء الفالج بعد أن لزمه سنتين.

٤و٥ فتح الله مراش وابنه فرنسيس

اما فتح الله مراش فكان احد اعيان طائفة الروم الملكيين في حلب وله المام ببعض العلوم، وقد كتب مقالة في انبثاق الروح القدس من الابن وحده على مذهب الروم غير المتحدين، فرد هذه المقالة الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد إذ كان نائباً بطريركيّاً رداً مفحماً في كتاب أفرده لذلك ولما طالع فتح‌الله هذا الكتاب حصحص له الحق وأبكمته الأدلة السديدة التي أشمل الكتاب عليها فأذعن للعقيدة الكاثوليكية بأن الروح القدس ينبثق من الآب والابن وصار كاثوليكياً.

اما ابنه فرنسيس فولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦م بحلب وسافر مع ابيه سنة ١٨٥٠م الى اوروبا فتجولا بها مدة ثم ارسله ابوه الى حلب وبقي فيها الى سنة ١٨٥٣م، ثم اتى الى بيروت فأقام نحو سنة وعاد الى حلب عاكفاً على التخرج بالادب والعلوم ودرس الطب ايضاً ورحل الى باريس طلباً للاجازة الطبية من

مدرستها الكبرى فعاندته صروف الدهر واعترته أسقام وضعف في البصر فحال ذلك دون بغيته ورجع الى حلب عليلاً كفيف البصر ومع ذلك اكبّ على نظم الشعر وتأليف الكتب فله منها أولاً: «غاية الحق» وهي رواية فلسفية طبعت في بيروت سنة ١٨٨١م وفي مصر ١٢٨٩هـ. ثانياً «مشهد الاحوال» وهو كتاب ادب نظم ونثر على اسلوب حديث ورونق لطيف طبع ببيروت سنة ١٨٧٠م. ثالثاً «مرآة الحسناء» وهو ديوان شعر طبع بيروت سنة ١٨٧٤م. رابعاً «الصدف في غرائب الصدف». خامساً كتاب «رحلته الى باريس» طبع ببيروت سنة ١٨٦٧م. سادساً كتاب سماه «شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة» طبع ببيروت ١٨٩٢م. وله عدا ذلك رسائل كثيرة في مواضيع مختلفة ومن شعره:

صدقوني كل الأنام سواء ... من ملوك الى رعاة البهائم
كل نفس لها سرور وحزن ... لا تني في ولائم او مآثم
كم امير في دسته بات يشقى ... باله والاسير في القيد نائم
اصغر الخلق مثل اكبرها جر ... ماً لهذا وذا مزايا تلائم
النمل تستطيع الذي تعجز ... عن فعله الاسود الضياغم
والخلايا للنمل اعجب صنعاً ... من قصور الملوك ذات الدعائم

وكانت وفاته سنة ١٨٧٣.

٦- الحاج عمر الانسي البيروتي

هو ابن السيد محمد ديب بن اعرابي بن حسين المعروفين ببني الصعقان ولد ببيروت سنة ١٢٣٧هـ (سنة ١٨٢١م) وتعلم القرآن واحكام التجويد على الحافظ الشيخ حسين الجيزي المصري، ثم اكب على اقتباس العلم على الشيخ محمد الحوت والشيخ عبدالله خالد وهما اشهر علماء بيروت في القرن الخالي وتقلب في

عدة مناصب منها مديرية قضاء حيفا ثم قضاء صيدا ثم نيابة صور. وتوفاه الله سنة ١٢٩٣هـ (سنة ١٨٧٦م) وكان شاعراً مجيداً وله منظومات عُني نجله الدكتور عبد الرحمن افندي بجمع شتاتها، فألف منها ديواناً سماه المورد العذب وطبعه وابياته تزيد على ستة آلاف وخمس مائة بيت ومنه قوله:

قلوب الورى في مطمح الفكر قلب — وبرق المنى في غيهب الوهم خلبُ
امانيك احلام والحلم يقظة — وامامك الاوهام والنفس اكذبُ
ويا رب نفس بالاماني عللت — وصاحبها من قابض الماء اخيبُ
فلا تعدن النفس بالخير طامعاً — اذا لم يكن للنفس في الخير مذهبُ
فكن صانع المعروف ما شئت انه — سبيل نجاح في الذي انت تطلبُ
فإن قلوب الناس كالماء راكداً — إذا ما تولاه الهوى يتقلبُ
إذ انت لم تعمل بما انت قائل — فانت اسير الجهل او انت تكذب

وقال يهجو خادماً في قهوة اسمه هلال:

تعس الهلال القهوجي لانه — قد قطع الانفاس في انفاسه
هذا الهلال هو الهلاك وانما — غلطوا فلم يضعوا العصا في رأسه

٧و٨ اسكندر ابكاريوس واخوه يوحنا

هما ابنا يعقوب آغا الارمني وقد توفي اسكندر في بيروت سنة ١٨٨٥م وله مؤلفات حسنة منها: «تزيين نهاية الادب في اخبار العرب» طبع ببيروت سنة ١٨٦٧م وهو تاريخ قدماء العرب في اليمن والعراق والشام في زمان الجاهلية، ثم «روضة الادب في طبقات شعراء العرب» طبع ببيروت سنة ١٨٥٨ ذكر فيه تراجم شعراء الجاهلية والشعراء المخضرمين مشتملة على ابيات استحسنها من نظم كل

منهم وله كتاب «المناقب الابراهيمية والمآثر الخديوية» ضمنه ترجمة ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا عزيز مصر عاونه في هذا الكتاب محمد مكاوي وطبع بمصر سنة ١٢٩٩هـ وله ايضاً نزهة النفوس وزينة الطروس طبع بمصر.

واما أخوه يوحنا فتوفاه الله بسوق الغرب من قرى لبنان سنة ١٨٨٩م. وله من التآليف كتاب سماه «قطاف الزهور في تاريخ الدهور» طبع ببيروت سنة ١٨٨٣. وله معجم انكليزي عربي مطول طبع ببيروت ايضاً ثم اختصر هذا المطول وطبعه. وله كتاب آخر سماه نزهة الخواطر يشتمل على روايات ادبية وتاريخية تلذ مطالعتها وطبع هذا الكتاب ببيروت سنة ١٨٧٧م.

٩- الشيخ يوسف الاسير

هو ابن السيد عبد القادر الحسيني الاسير ولد بصيدا سنة ١٢٣٠هـ (سنة ١٨١٤م) وكان ميالاً الى العلم فدرس شيئاً منه على الشيخ احمد الشرمبالي ثم شخص الى دمشق وأقام مدة في مدرستها المرادية ثم مضى الى القاهرة واقام في الجامع الازهر سبع سنين فنبغ في العلوم النقلية والعقلية، ثم اعتراه مرض الكبد فعاد الى صيدا فسار الى طرابلس واشتغل بالتدريس فأخذ عنه العلم بعض فضلاء الطرابلسيين، واختار اخيراً الاقامة ببيروت فكثر مريدوه وتلامذته وتولى الفتوى بعكا مدة ونصب المدعي العمومي في لبنان في مدة متصرفه داود باشا ثم سار الى الآستانة العلية وتولى رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف وعاد الى بيروت مكباً على التعليم والتأليف، فألف في الفرائض كتاباً سماه «رائض في الفرائض» وشرح كتاب «اطواق الذهب» للعلامة الزمخشري وله نظم كثير جمع منه ديوان يعرف باسمه وله رسائل وردود مشهورة وكنت قد اقترحت عليه نظم كتاب فقه اللغة للثعالبي ليسهل حفظه على طلبة العلم فلبى وأخذ بالنظم وأجزته بشيء عنه ولا اعلم انه أتمه وأقمته في مدرسة الحكمة سنتين يدرس صفاً من تلامذته الفقه وقوانين دولتنا العلية. وقد توفي سنة ١٣٠٧هـ (سنة ١٨٨٩م).

١٠- الشيخ ابراهيم الاحدب

ولد بطرابلس سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) واتقن علوم التفسير والحديث والاصول والكلام واللغة وآدابها وعكف على التدريس، فكان له تلامذة فضلاء وكان ذا قريحة شعرية حتى يقال ان ما نظمه بلغ ثمانين الف بيت وزار الآستانة ثم سار الى القطر المصري فأجلّه علماء مصر واشتهر ببراعته في الفقه الحنفي وامتدح كثيرين من الأمراء والوزراء وعين نائباً في المحكمة الشرعية ببيروت ثم رئيساً لكتابها وأقام على ذلك نحو ثلاثين سنة. ومن نظمه ثلاثة دواوين معروفة باسمه ونحو ثمانين مقامة على نحو مقامات الحريري. وله ايضاً كتاب سماه «فرائد الاطواق في اجياد محاسن الاخلاق» مشتمل على مائة مقالة نثراً ونظماً على مثال مقالات الزمخشري، وكتاب آخر سماه «اللآل في مجمع الامثال» نظم فيه الامثال التي جمعها الميداني في نحو ستة آلاف بيت ثم شرحه، وعني ابناه بطبعه. وكتاب آخر في الحكم والآداب. وله ايضاً «نشوة الصهباء في صناعة الإنشاء» و«كشف الأرب في سر الادب» ومهذب التهذيب في المنطق، وكشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان الى غير هذه. وقد توفاه الله سنة ١٣٠٨هـ (سنة ١٨٩٠م).

١١- امين الشميل

هو ابن ابراهيم الشميل من كفرشيما بلبنان ولد في القرية المذكورة في ٢٤ شباط سنة ١٨٢٨م وتفقه بالعلوم في مدرسة المرسلين الاميريكيين ببيروت ودرس اللغة العربية والفقه على اساتذة افاضل منهم محيي الدين افندي اليافي، وجَدَّ كثيراً بإزالة خلاف وقع سنة ١٨٤٩م بين المرحومين البطريرك مكسيموس مظلوم والمطران اغابيوس الرياشي مطران بيروت، وقد عكف على التجارة مدة طويلة فحاز ثروة ثم خسرها بتجارة القطن وغيره فعدل عن التجارة الى محاماة الدعاوى فنجح بها وأنشأ جريدة الحقوق الباقية إلى الآن في مصر وأكبّ على التأليف. فمن مؤلفاته كتاب سماه «الوافي في المسألة الشرقية» قسمه الى ستة اجزاء وضمنه تاريخ المسلمين الى حرب الروس وطبع منه جزئين بمطبعة الاهرام في الاسكندرية سنة

١٨٧٩م وكتاب سماه «المبتكر» ضمنه خمس مقامات وست وعشرين قصيدة في الاوهام والآمال والأحلام، وله مقدمات تاريخية علمية نشرها تباعاً في «جريدة الحقوق» وله ايضاً «سهام المنايا» وهي رسالة ردّ فيها على بعض المعترضين على كتابه الوافي. وله مقالة في نظام الحكومة الانكليزية. وله «السدرة الجلية في المباحث الفضائية». الى غير ذلك. وقد توفاه الله سنة ١٨٩٧م.

١٢- نقولا الترك

هو شاعر كان بباب الامير بشير الشهابي الكبير لم نهتدِ الآن الى نسبه ولا الى سنة وفاته ونعلم ان له كتاب تاريخ حملة الفرنسيس على مصر في اواخر القرن الثامن عشر. وقد طبع كتابه هذا مع ترجمة له الى الافرنسية في باريس سنة ١٨٣٩م. وله ديوان اشعار كانت عندنا منه نسخة مخطوطة. وله قصائد كثيرة في مدح الامير بشير المذكور منها قصيدته عند عود الامير من مناصرة سليمان باشا على يوسف باشا والي دمشق حيث قال:

فلبى الندا بحر الندى قاهر العدا ... شهاب الهدى ذاك السعيد المظفرُ
بشير الملا بالنصر واليمن والعلا ... امير به اعتز الولا والتأمر
وساروا ومن احزاب قيس امامه ... رجال كآساد الفرائس تزأرُ
قروم صناديد قرون اماجد ... اسود صعاب للوغى قد تصدروا

وقد نظم تاريخ وفاة الامير حسن اخي الامير بشير المذكور فقال:

مات الذي قد كان عوناً للورى ... فبكى الوجود لفقده لما ارتقى
حسن الوجود اميرنا المولى الذي ... قد كان للدنيا شهاباً مشرقا
فالجسم وسد في ضريح كان مضجعاً ... به قبلاً ابوه ذو التقى
والنفس منه مع ابيه ارخوا ... حقت بنعم الفوز في دار البقا

سنة ١٢٢٣هـ (سنة ١٨٠٨م

عد ١١١١

بعض المشاهير غير السوريين

١ – عبد الله الشرقاوي

هو عبدالله بن حجازي المعروف بالشرقاوي المصري. له تآليف أشهرها «تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين» ضمنها ما يتعلق بمصر وحكامها من اول الزمان الى ايامه، والحقها بذكر حملة الفرنسيس على مصر في آخر القرن الثامن عشر وطبعت في مصر سنة ١٢٨١هـ. وقد طبعت التحفة ايضاً على هامش «لطائف اخبار الاول في من تصرف في مصر من ارباب الدول» للاسحاقي. وللشرقاوي ايضاً حاشية على شرح محمد منصور الهدهدي لرسالة السوسي في التوحيد الموسومة بأم البراهين والعقائد. وطبعت حاشية الشرقاوي هذه في القاهرة سنة ١٣١٠هـ. وله ايضاً شرح على كتاب «الحكم في التصوف» لابن عطاالله الاشعري العقيدة. وطبع الشرح في بولاق سنة ١٢٨٥هـ. ثم طبع كتاب الحكم في القاهرة سنة ١٣٠٦هـ وعلى هوامشه شرح الشرقاوي. وقد توفي الشرقاوي سنة ١٢٢٧هـ (سنة ١٨١٢م).

٢ – عبد الرحمن الجبرتي الحنفي

هو مؤرخ مصري اشهر تآليفه كتابه «عجائب الآثار في التراجم والاخبار» طبع بالقاهرة في اربعة اجزاء سنة ١٢٩٧هـ وهو تكملة لتاريخ ابن اياس، وتاريخ ابن اياس تتمة لتاريخ المقريزي، وابتدأ الجبرتي في تاريخه بذكر فتح السلطان سليم خان الاول مصر وانتهى منه في منتصف حكم محمد علي باشا سنة ١٢٣٦هـ. وكان شاهد عيان للحملة الفرنساوية على مصر في آخر القرن الثامن عشر. وقد اوجز في تاريخ مصر مدة القرون السابقة لعصره واسهب في تاريخها في مدة الثلاثين سنة الاخيرة فهو فيها كجريدة حوادث يومية. وذكر تراجم اعيان عصره بالدقة وقد طبع تاريخه

ايضاً على هامش تاريخ ابن الاثير المعروف بالكامل الذي طبع بالقاهرة من سنة ١٢٩٠ الى سنة ١٣٠٣هـ وكانت وفاة الجبرتي في ١٢٣٧هـ (سنة ١٨٢٢م).

٣- حسن بن محمد العطار

له كتاب في الانشاء طبع بالقاهرة سنة ١٢٨٨هـ ثم طبع بها سنة ١٣١٠هـ وهو مطلوب ومرغوب فيه من اكثر الناس، وهو مقسوم على قسمين: الأول في الخطابات، والثاني في الصكوك والشروط. وطبع في القسطنطينية بمطبعة الجوائب ايضاً مع كتاب «بديع الانشاء في المراسلات» لمرعي بن يوسف المقدسي الحلبي المتوفى بمصر سنة ١٦٢٠. وله حاشية على السمرقندية وهي رسالة في البيان لأبي الليث نصر السمرقندي من علماء النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة طبعت هده الحاشية بالقاهرة سنة ١٣٠٩ وكان حسن العطار قد توفي في سنة ١٢٥٠هـ (سنة ١٨٣٤م).

٤- ابراهيم الباجوري

وهو عالم مصري شافعي ولد بالباجور في المنوخية بمصر سنة ١١٩٨هـ (سنة ١٧٨٣م) وتوفي سنة ١٢٧٦هـ (سنة ١٨٥٩م)، وله مؤلفات كثيرة تشهد بطول باعه منها: «تحفة المريد على جوهرة التوحيد» والجوهرة كتاب لابراهيم اللقاني المالكي المتوفي سنة ١٠٤١هـ (سنة ١٦٣١م) في التوحيد. وقد طبعت التحفة بالقاهرة سنة ١٣٠٤هـ وبهامشها متن الجوهرة. وله ايضاً حاشية على شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير بانت سعاد. طبعت القصيدة وشرح ابن هشام وحاشية الباجوري عليه بمصر سنة ١٣٠٤هـ. وله ايضاً حاشية على شرح حسن افندي لكتاب شمائل النبي الذي يخص الترمذي، وسمى الباجوري حاشيته «المواهب اللدنية» وطبعت ببولاق سنة ١٢٨٠هـ وبالقاهرة ١٣٠٩هـ. ومن مؤلفاته حاشية على كتاب ابي شجاع احمد الاصفهاني في الفقه المعروف بالمختصر

وبالتقريب وطبعت هذه الحاشية ببولاق سنة ١٢٨٣هـ. وله ايضاً حاشية على ام البراهين والعقائد وهي رسالة للسنوسي في التوحيد وتعرف بـ«السنوسية الصغرى» وطبعت حاشية الباجوري عليها ببولاق سنة ١٢٨٣هـ. ثم طبعت بمصر مراراً. وله كتاب «تحقيق المقام في كفاية العوام» والكفاية كتاب للفضالي في العقائد شرحه الباجوري في كتابه المذكور الذي طبع ببولاق سنة ١٣٠٩هـ. وله ايضاً حاشية على كتاب «الايضاح» وهو شرح لأحمد الدمنهوري على أرجوزة الأخضري في المنطق التي سماها «السلم» فسمى الدمنهوري كتابه ايضاح المبهم مما في السلم فوضع الباجوري حاشيته على كتاب الايضاح وطبعت بالقاهرة سنة ١٣٠٨هـ. وللباجوري ايضاً حاشية على شرح الشيخ حامد الازهري لقصيدة البوصيري المعروفة بـ«البردة» طبع شرح الشيخ حامد وحاشية الباجوري عليه بالقاهرة سنة ١٣٠٢هـ. وله ايضاً شرح على كتاب الترصيف لعبد الرحمن بن عيسى العمري في النحو وسمى الباجوري شرحه فتح الخبير اللطيف على الترصيف وطبع كتابه بالقاهرة سنة ١٣١٠هـ وعلى هامشه متن الترصيف. ومن مؤلفاته ايضاً حاشية على شرح «الملوى» لرسالة الاستعارات المعروفة بالسمرقندية في علم البيان لابي الليث نصر السمرقندي وطبعت حاشية الباجوري ببولاق مراراً.

٥ – محمد الدمنهوري

هو عالم من دمنهور بمصر توفي سنة ١٢٨٨هـ (سنة ١٨٧١م) وله من التآليف «الحاشية الكبرى على متن الكافي في علمي العروض والقوافي»، والكافي تأليف الامام احمد بن عباد بن شعيب القناوي الشافعي وسمى الدمنهوري شرحه لهذا الكتاب «الارشاد الشافعي على متن الكافي». وقد طبع هذا الشرح بمصر مراراً وله ايضاً: «مختصر الشافي على متن الكافي» طبع بمصر ايضاً مراراً وبكازان من روسيا سنة ١٨٩٥م. ولمحمد الدمنهوري ايضاً حاشية على الرسالة السمرقندية المار ذكرها في البيان سماها «لقط الجواهر السنية على الرسالة السمرقندية» طبعت هذه الحاشية ببولاق سنة ١٢٧٣هـ وبهامشها متن السمرقندية.

٦- عبدالله ابو السعود المصري

ولد سنة ١٢٤٤هـ (سنة ١٨٢٨م) وتفقه بالعلوم في المدرسة التي انشأها محمد علي باشا بالقاهرة ثم عين في ادارة اعمال الحكومة، وكان شاعراً مجيداً، وقد اشتهر كثير من منظوماته ولاسيما ألفيّته في تاريخ محمد علي باشا، نهج فيها منهج المعلقات وطبع ديوانه بالقاهرة. وله «نظم اللآلئ في السلوك في من حكم افرنسة من الملوك» ترجمه عن الفرنسية وطبع ببولاق سنة ١٢٥٧هـ، وجعل ثلثي هذا الكتاب في تاريخ ملوك فرنسة من الدولة الميروفنجية الى عهد الملك لويس فيليب. والثلاث الأخر ضمنه تاريخ من تولوا مصر من الخليفة ابي بكر الصديق الى السلطان عبد المجيد خان. وله «قانون المحاكمات والمخاصمات» اكثره مترجم عن الفرنسية والايطالية وقد طبع ببولاق سنة ١٢٣٨هـ. وقد توفي ابو السعود بمصر سنة ١٢٩٥هـ (سنة ١٨٧٨م).

٧- الدكتور كرنيليوس فان ديك

ليس الدكتور فان ديك سوريّاً أصلاً ولا شرقياً بل هو أميريكي، لكنه اقام ببيروت خمس وخمسين سنة مشتغلاً بنفع الناس بكتبه العلمية وبتعليمه وتطبيبه فقد ولد بقرية من اعمال ولاية نيويورك بأميريكا سنة ١٨١٨م وتلقى العلوم في بلاده واتقن اللغتين اليونانية واللاتينية فضلاً عن اللغة الانكليزية والهولاندية ونال الدبلوما الطبية مع لقب دكتور ثم اختاره مجمع المرسلين الامريكيين مرسلاً وطبيباً لسورية، فبلغ الى بيروت سنة ١٨٤٠م وشرع يتعلم اللغة العربية فأتقنها وكان من احسن الكاتبين بها والغريب انه اتقن لفظها حتى اننا لا نعرف اعجمياً آخر نطق بأحرف العربية كلهجة السوريين سواه. ودرس هذه اللغة وفنونها على بطرس البستاني صديقه والشيخ نصيف اليازجي وتعلم ايضاً اللغتين العبرانية والسريانية وأقام بمدرسة عبيه اربع سنين مشتغلاً بالتدريس والتأليف، ثم انتقل الى صيدا وكان عالي سميت

قد اخذ في ترجمة الاسفار المقدسة الى العربية. فتوفي سنة ١٨٧٥م فخلفه في هذا العمل الدكتور فان ديك فأتمه سنة ١٨٦٤، وتوجه سنة ١٨٦٥م الى الولايات المتحدة فطبع هذه الترجمة وعاد الى بيروت سة ١٨٦٧م، واخذ بتأسيس المدرسة الكلية الطبية ووضع مع صديقه الدكتور يوحنا ورتبات نظاماً لدروسها، واخذ في التعليم فيها. وكان الدكتور فان ديك يعلم فيها الكيمياء وعلم الفلك، وقد عُني كثيراً ببناء المرصد الفلكي فيها وأنفق على اتقانه مبلغاً وافراً من ماله، واشتهر هذا المرصد باسمه الى ان نكبت هذه المدرسة بحادث شوه تاريخها فاعتزل فان ديك عنها وعوضته المدرسة مما تركه في مرصدها بخمسمائة ليرة انكليزية، ثم قُضي عليه بأن يترك التطبيب في المستشفى البروسيوي واخذ يعني بالمستشفى المعروف بمستشفى القديس جرجس للروم غير المتحدين باذلاً جهده في نجاحه مادياً ومعنوياً، واستمر على ذلك الى يوم وفاته، واقام له كثيرون من اهل سورية سنة ١٨٩٠م عيداً حافلاً لمرور خمسين سنة على اقامته فيها. وقد أدركته الوفاة في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥م واما مؤلفاته فهي:

١ـ «محيط الدائرة في علمي العروض والقوافي»، طبع ببيروت سنة ١٨٥٧م.

٢ـ «الاصول الهندسية»، طبع ببيروت مرتين.

٣ـ «الروضة الزهية في الاصول الجبرية»، طبعت ببيروت ثلاث طبعات.

٤ـ «المرآة الوضية في الكرة الارضية» في الجغرافية، طبعت ببيروت ثلاث طبعات.

٥ـ «اصول الكيمياء»، طبعت ببيروت سنة ١٨٦٩.

٦ـ «اصول الباثولوجيا الداخلية» وهي مطولة في علاج الأمراض طبعت ببيروت سنة ١٨٧٨م.

٧ـ «التشخيص الطبيعي»، طبع ببيروت سنة ١٨٧٤م.

٨ـ «اصول علم الهيئة» اي الفلك، طبعت ببيروت سنة ١٨٧٤م.

٩ـ «ارواء الظماء في محاسن القبة الزرقاء» وهو مرشد الى معرفة الاجرام السماوية ومواقعها، طبع ببيروت سنة ١٨٩٠م.

١٠- «النقش في الحجر» وهو تسعة اجزاء صغيرة في مبادئ العلوم الطبيعية.

١١- «الانساب ومساحة المثلثات»، طبع ببيروت سنة ١٨٧٣م.

١٢- «التفاكه» لتلامذة المدارس. هذا عدا رسائله وتكميله ترجمة الاسفار المقدسة الى العربية.

وأما المشاهير من الموارنة فسوف نفرد لهم فصلاً في الملحق في تاريخهم المعلق في آخر هذا الباب وقد حذونا حدو اكثر المؤرخين في اننا لم نذكر تراجم العلماء الأحياء. انتهى.

القسم الثاني

تاريخ سورية الديني في القرن التاسع عشر

الفصل الاول

بطاركة انطاكية في هذا القرن

عد ١١١٢

بطاركة انطاكية للروم الملكية غير المتحدين

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في تاريخ القرن الثامن عشر بذكر البطريرك افتيميوس الذي استمر في البطريركية من سنة ١٧٩٣ إلى سنة ١٨١٣م وخلفه في السنة المذكورة سيرافيم وبقي على الكرسي الانطاكي إلى سنة ١٨٣٢م حين توفاه الله فخلفه السيد مثوديوس من ناكسوس فدبر البطريركية ثماني عشر سنة. وتوفي سنة ١٨٥٠م فخلفه في تلك السنة البطريرك اياروثاوس من غانوخورا، وقام يدبر شؤون البطريركية خمساً وثلاثون سنة، وتوفاه الله سنة ١٨٨٥م فخلفه تلك السنة السيد جراسيموس من المورة، فقام بأعباء البطريركية ست سنين وانتقل في سنة ١٨٩١م من بطريركية انطاكية إلى بطريركية اورشليم فخلفه على الكرسي الانطاكي البطريرك سبيريدون من قبرص سنة ١٨٩١م المذكورة، واستمر مدبراً البطريركية الانطاكية ثماني سنين إلى أن خلفه السيد البطريرك الحالي ملاتيوس الثاني ابن موسى دوماني من دمشق، وهو الجالس الى الآن سنة ١٩٠٤م على

الكرسي الانطاكي متخذاً دمشق كأسلافه كرسيّاً لبطريركيته ولم نتوصل إلى معرفة ما صنعه هؤلاء البطاركة من الامور الخطيرة الجديرة بأن تؤرَّخ، فاقتصرنا على ذكر ما وجدناه مدوَّناً في سلسلة بطاركة انطاكية للروم الملكية غير المتحدين التي أرسلت الينا من دمشق من قبل البطريركية، وما عثرنا عليه في الكتاب الموسوم بالأرج الزاكي في تهاني غبطة البطريرك الانطاكي للسيد ملاتيوس دوماني المطبوع بالمطبعة العثمانية في بعبدا سنة ١٨٩٩م.

عد ١١١٣

بطاركة انطاكية على الروم الملكية المتحدين في هذا القرن

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في تاريخ القرن الثامن عشر بذكر انتخاب السيد اغابيوس مطر الدمشقي وتثبيت البابا بيوس السادس له سنة ١٧٩٧م. والآن نقول ان البطريرك بعد تثبيته عقد مجمعاً في ١ ايلول سنة ١٧٩٧م في دير مار ميخائيل بزوق ميكائيل للنظر في شأن الرهبانية التي كان السيد اغناطيوس صروف مطران بيروت قد انشأها في دير القديس سمعان، وكان خلاف في آراء المجتمعين أفضى الى إلغاء هذه الرهبانية فشق ذلك على المطران اغناطيوس صروف، واظهر النفور والمخالفة للبطريرك فربطه البطريرك عن الحبريات ثم اصطلحا وكانت بينهما الفة ووداد. وفي ٢٣ تموز سنة ١٨٠٦م عقد هذا البطريرك مجمعاً بدير القديس انطونيوس في القرقفة وسنَّ به فرائض وقوانين للتهذيب البيعي. وفي سنة ١٨١١م اشترى دار الشيخ سعد غندور الخوري في عين‌تراز وجعلها مدرسة اكليريكية واقام رئيساً عليها المطران مكسيموس مظلوم الذي كان قد رقاه الى اسقفية حلب سنة ١٨١٠م، فكان المطران المذكور يدرّس تلامذتها العلوم واللغات ثم توفي البطريرك اغابيوس مطر في ٢١ كانون الثاني سنة ١٨١٢م في مدرسة عين‌تراز ودفن بكنيسة المدرسة.

وخلفه البطريرك اغناطيوس صروف وكان قد ولد بدمشق سنة ١٧٤٢م ودخل الرهبانية الحناوية سنة ١٧٥٨م، ورقي إلى درجة الاسقفية على بيروت سنة ١٨٧٧م

من يد البطريرك توادوسيوس الدهان وانتخب بطريركاً في ٩ شباط سنة ١٨١٢م في مجمع اساقفة عقد في دير القديس جرجس بالغرب، وكان عمره سبعين سنة. وأقام بدير القديس سمعان لكنه لم يبقَ في البطريركية إلا نحو تسعة اشهر لانه بينما كان مجتازاً من الدير المذكور الى دير النياح في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨١٢م سطا عليه أوغاد لئام وهم الياس عماد وأولاده فاغتالوه ظلماً وعدواناً غير مختشين نقمة الله وعذابه، فقبض الامير بشير والي الجبل حينئذ عليهم وشنقهم جميعاً. وانتقم الله من امرأة الرجل المذكور ايضاً إذ طارت شرارة من النار وعلقت ثوبها فاحترقت حينئذ وقد نظم احد الشعراء تاريخ قتلهم ولا أتذكر من نظمه إلا فقرة التاريخ: الله ابلى القاتلين بشنقهم سنة ١٢٢٨هـ (سنة ١٨١٣).

وبعد البطريرك اغناطيوس صروف قام في السدة البطريركية المطران اثناسيوس مطر وكان دمشقياً وأخا البطريرك اغابيوس مطر المار ذكره من الرهبانية المخلصية، وبعد انتخاب اخيه للبطريركية رقاه الى اسقفية حوران سنة ١٨٩٨م ثم نقله الى كرسي صيدا سنة ١٨٠٠م ثم انتخب بطريركاً في ٣ آب سنة ١٨١٣م في مدرسة عين‌تراز، وأقام بهذه المدرسة على انه لم يستمر في البطريركية إلا ثلاثة اشهر إذ ابتلي بالطاعون فقضى اجله في ٢٨ت[1] السنة المذكورة ودفن في دير النبي الياس بعبرا.

وبعد وفاة البطريرك اثناسيوس المذكور اجتمع الاساقفة في دير المخلص في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٨١٣م فانتخبوا المطران مكاريوس الطويل اسقف الفرزل وزحله بطريركاً وثبته الكرسي الرسولي واقام بدير المخلص، واستأثرت به رحمة الله في ٣ كانون الاول سنة ١٨١٥م ودفن بالدير المذكور.

وبعد وفاة البطريرك مكاريوس اجتمع الاساقفة في دير القديس انطونيوس المعروف بالقرقفة فانتخبوا خلفاً له الخوري موسى القطان من زوق ميكائيل في ١ تموز سنة ١٨١٦م، وسمي اغناطيوس وكان قبل انتخابه وكيلاً على ابرشية حلب من قبل الكرسي الرسولي. وأقام في دير مار ميخائيل في قرية الزوق المذكورة ونال التثبيت من الحبر سنة ١٨١٨م. وفي هذه السنة استحصل المطران جراسيموس اسقف الروم غير المتحدين فرماناً سلطانياً يجبر الروم الكاثوليكيين على قضاء فروض

دينهم في كنيسته فأبى الكاثوليكيون ذلك وكان قلق جسيم ادى إلى فرار نحو خمسة عشر كاهناً وشماساً من حلب الى البطريرك اغناطيوس فأحلهم في بعض الاديار ولم يتمكنوا من الرجوع الى حلب إلا في سنة ١٨٢٥م. وكان مثل هذا القلق في دمشق سنة ١٨٢٠م إذ استحصل البطريرك سيرافيم على الروم غير المتحدين امراً سامياً باجبار الروم الكاثوليكيين على إقامة فروض الدين في كنيسته. وقد ابتلى البطريرك اغناطيوس بمرض في عينيه أفضى به إلى فقد بصره. ويحكى ان البطريرك يوسف حبيش زاره وهو في هذه الحال فقال له البطريرك اغناطيوس:

يـا آل ودي انـى تـنـكـرونـي   كـهـلاً مـن بـعـد عـرفـانـي فـتـي

فاجابه البطريرك يوسف:

فلأذكرنك ما حييت وان امت   فلتذكرنك اعظمي في قبرها

وتوفي البطريرك اغناطيوس في ٩ شباط سنة ١٨٣٣م.

وبعد وفاته اجتمع الاساقفة في دير القديس جرجس بالغرب لانتخاب خلف له فوقع انتخابهم في ٢٤ اذار سنة ١٨٣٣م المذكورة على السيد مكسيموس مظلوم وكان هذا السيد قد ولد بحلب سنة ١٧٧٩م ووالده جرجس المظلوم ووالدته مريم البنا وانتخب ليكون كاهناً بحلب سنة ١٨٠٣م، فأمره المطران جرمانس ادم اسقف حلب حينئذٍ أن يتعلم العلوم اللازمة للكهنوت فتضلع بها ورقاه إلى درجة الكهنوت سنة ١٨٠٦م ودعي ميخائيل. ولما توفي المطران جرمانوس المذكور سنة ١٨٠٩م دعاه البطريرك اغابيوس مطر اليه وسلمه المنشور المعتاد بانتخاب خلف للسيد المتوفى فوقع الانتخاب على نفسه، فاثبت البطريرك الانتخاب ورقاه الى اسقفية حلب في ٦ آب سنة ١٨١٠م. ودعي مكسيموس وأقام سنة ١٨١١ بمدرسة عين‌تراز رئيساً لها مع اسقفيته على حلب. وفي سنة ١٨١٣م ارسله البطريرك اثناسيوس مطر الى اوروبا لدعاوي تخص الكرسي البطريركي في تريسته وليفرنو وسار منها الى رومة. وفي سنة ١٨١٥م تنزل عن ابرشية حلب وسماه البابا بيوس السابع رئيس اساقفة ميراليكيا، وعكف في مدة اقامته برومة على درس اللغات اليونانية واللاتينية والايطالية وعلى التضلع بالعلوم

البيعية، وسار في سنة ١٨١٨م الى فيانا ثم في سنة ١٨٢٠م الى مرسيليا ثم إلى باريس حيث تعلم اللغة الفرنسية وانشأ كنيسة لطائفته في مرسيليا على اسم القديس نيقولاوس، وعاد من مرسيليا سنة ١٨٢٣م إلى رومة حيث أقام ثماني سنين عاكفاً على المطالعة والتأليف والترجمة الى العربية.

وفي سنة ١٨٣١م رحص له البابا غريعوريوس السادس عشر بالعود إلى الشرق ليدبر مدرسة الطائفة بعين‌تراز التي تقهقرت مغيابه، فعاد اليها وشرع في مرمتها وتوسيع بنائها، وحمع التلامذة اليها واستمر على ذلك إلى أن توفي البطريرك اغناطيوس وانتخب هو خلفاً له كما مر. ثم اخذ في زيارة رعيته وسار لذلك الى دمشق سنة ١٨٣٤م مصحوباً بأمر من محمد علي باشا والي سوريا حينئذ فاستقبل بغاية الحفاوة والاجلال وزار حوران ايضاً وعاد إلى لبنان. وفي ٢ من كانون الاول سنة ١٨٣٥م عقد مجمعاً في عين‌تراز وضع فيه ٢٥ قانوناً اثبتها الكرسي الرسولي. وسنة ١٨٣٨م نال براءة من السلطان الغازي محمود خان بتسميته رئيساً على كرسي انطاكية واسكندرية واورشليم ولما عرض ذلك للبابا غريغوريوس السادس عشر رخص له أن يوقع اسمه كذلك واقتدى به خلفاؤه، وسار إلى رومة سنة ١٨٤٠م ومنها الى مرسيليا سنة ١٨٤١م ثم سافر سنة ١٨٤٣م إلى الآستانة بداعي القلنسوة التي كان رؤساء الروم قد اخذوا امراً بنهي اكليروس طائفته عن لبسها مستديرة كقلنسوة الروم بل يلزم أن تكون مربعة كقلنسوة الارمن، ففاز بمرغوبه في الآستانة حتى عرفت الدولة العلية طائفته مستقلة عن طائفة الروم، ونال له ولبعض اساقفته البراءة السلطانية وانعم عليه السلطان بالنيشان المرصع كالنيشان الذي يعطاه بطاركة الروم القسطنطينيون، وعاد من الآستانة سنة ١٨٤٨م الى بيروت ثم سار متفقداً رعيته في صيدا وعكا واورشليم ثم دمشق ثم الاسكندرية وسار منها الى حلب وأقام فيها الى سنة ١٨٥٠م حين حلول تلك النازلة المشهورة واضطر أن يسافر من حلب متنكراً الى بيروت. وسنة ١٨٥٣م سافر الى الاسكندرية لبناء الكنيسة والدار البطريركية فكان هذا آخر اسفاره فتوفي هناك في ١٠ آب سنة ١٨٥٥م.

ولا نكير لما لهذا البطريرك من الفضل على ملته إذ مكّن استقلالها وعززها بما

كان له من الوجاهة ومن الاجتهاد في تثقيف اكليروسها وانشاء الكنائس والمعابد ولاسيما بما ألفه وترجمه من الكتب، منها كتاب «كنز العبادة الثمين في اخبار القديسين» طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين. وكتاب «الاحوال الصرفية في القواعد العربية» طبع برومة. وكتاب «النميقة البرهانية في دوام كنيسة الروم الكاثوليكية» طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت. و«الرسالة البرهانية في تدبير الديانة النصرانية» طبعت بمصر. وكتاب «حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق» طبع بأورشليم. وكتاب «القائد الامين في اثبات القضايا الخمس التي ينكرها الروم غير الكاثوليكيين» طبع ببيروت. الى غير ذلك من الرسائل والمقالات والكتب ومنها رسالته في الكنيسة اليونانية وخروج الطوائف منها ثم كتاب في قدم اللغة اليونانية وان الكنيسة اليونانية هي الكنيسة الشرقية، وفي المجامع اليونانية وتسمية ملكيين. وهذه الرسالة وهذا الكتاب هما اللذان انتقدهما وردّ عليهما البطريرك بولس مسعد وهو اسقف في كتابه المشهور الموسوم بالدر المنظوم. وأما الكتب التي ترجمها فمنها: كتاب «أمجاد مريم» للقديس ليكوري طبع برومة سنة ١٨٢٧م وكتاب «الاستعداد للموت» للقديس المذكور وكتاب «الواسطة العظيمة» وكتاب «الرياضة اليومية» وكتاب «زيارة القربان». كل هذه الترجمات طبعت برومة، وكتاب «تأملات شهرية في عواقب الانسان» طبع ببيروت، وكتاب «حروب الصليبيين» طبع بأورشليم إلى غير ذلك من ترجماته.

وبعد وفاة البطريرك مكسيموس مظلوم اجتمع الاساقفة في دير المخلص في ١٩ آذار سنة ١٨٥٦م تلبية لدعوة القاصد الرسولي السيد بولس برنوني الذي حضر هذا الاجتماع فانتخبوا السيد اكليمنضوس بحوث بطريركاً، وكان قد ولد في شفا عمرو سنة ١٧٩٦م، ودخل الرهبانية المخلصية سنة ١٨١٦م ورقي إلى درجة الكهنوت وارسل الى ليفورنو لخدمة معبد فيها وتعلم اللغة اليونانية. وفي سنة ١٨٣٦م رقاه البطريرك مكسيموس مظلوم إلى اسقفية عكا ثم انتخب بطريركاً كما مر. وثبته البابا بيوس التاسع في ١٦ حزيران سنة ١٨٥٦م. وفي سنة ١٨٥٧م اصدر منشوراً بوجوب اتباع الحساب الغريغوري فنشأ عن ذلك اختلاف جسيم في آراء ابناء الطائفة حتى الكهنة، فمنهم من امتثل ومنهم من

أبى، بل ان بعض الاساقفة قبل ادخال الحساب في ابرشياتهم وبعضهم لم يقبل خيفة من شذوذ البعض، واتسع خرق هذه المسألة اتساعاً عظيماً وتباعدت الخواطر وتباينت الافكار وكثر القيل والقال، ولما رأى البطريرك تعاظم هذا الخلاف كتب الى الاساقفة وهو في دمشق سنة ١٨٥٨م صك استقالته موقعاً عليه القس ميخائيل بحوث بياناً لاعتزاله البطريركية، وكتب بعض الاساقفة إلى رومة فورد الجواب بأن الحبر الروماني لم يقبل استقالة البطريرك فعاد هو الى مباشرة مهام البطريركية مواظباً على ذلك إلى سنة ١٨٦٤م، وحينئذ دعا الاساقفة للاجتماع بدير القديس يوحنا الصايغ بالشوير ولم يبين لهم سبب الاجتماع وبعد اجتماعهم في ٢٤ من ايلول تلك السنة دخل الكنيسة معهم متشحاً بالبطراشيل وبيده العصا الحبرية. ولما انتهى إلى الخورس ألقاها من يده ونزع البطراشيل من عنقه معلناً استقالته بعبارات دالة على تواضعه وزهده في الدنيا، فكتب الاساقفة إلى السيد يوسف فالركا البطريرك الاورشليمي والقاصد الرسولي فسار اليهم واخبرهم ان البطريرك كتب من عهد قريب الى امام الاحبار مستقيلاً وان الحبر الروماني قبل استقالته، وانتخبوا حينئذ السيد غريغوريوس يوسف مطران عكا بطريركاً. وذهب السيد بحوث الى دير المخلص حيث قضى باقي سنيه بالنسك والتقشفات والانقطاع إلى الله بسيرة معمرة، وقد دعي الى رومة سنة ١٨٦٩م ليشهد المجمع الفاتيكاني فلبى الدعوة. وبعد توقف المجمع اقام نحو سنة برومة ثم عاد الى دير المخلص معتزلاً كل عمل إلا عمل الخلاص، وفقد بصره فتحمل مصابه بالصبر الجميل الى أن نقله الله اليه في ١٣ حزيران سنة ١٨٨٢م.

اما السيد غريغوريوس يوسف المنتخب حينئذ بطريركاً فقد ولد برشيد إحدى مدن مصر في آخر تشرين الاول سنة ١٨٢٣م، ووالده انطون بن ميخائيل سيور من اعيان دمشق، وسمي يوحنا واستخدم في شبابه في الدوائر الاميرية في الاسكندرية الى أن قادته العناية الربانية الى دير المخلص سنة ١٨٤٠م، فانتظم في سلك رهبانه وسمي غريغوريوس ودخل مدرسة الآباء اليسوعيين بغزير مدة ثم ارسل الى مدرسة القديس اتناسيوس برومة، فنبغ في علومه الاكليريكية وتضلع بمعرفة اللغات ورقي إلى القسوسية في المدرسة المذكورة سنة ١٨٥٢م. ولما ارتقى

اكليمنضوس بحوث مطران عكا الى البطريركية رقاه البطريرك الى اسقفية عكا سنة ١٨٥٦م، وبعد استقالة السيد بحوث من البطريركية اجتمع رأي الاساقفة على انتخابه بطريركاً في ٢٩ من ايلول سنة ١٨٦٤م، وكان اول اهتمامه ومعظمه إزالة الخلاف من ملته في امر الحساب ورد من شذّ منهم الى الدين القويم، فتيسر له ذلك بعناية الله وذكائه، وتبته البابا بيوس التاسع في ٢٧ آذار سنة ١٨٦٥م. وفي تشرين الاول من تلك السنة اخذ في إنشاء المدرسة البطريركية في بيروت ولم يلبث بعد ذلك أن سار الى الآستانة العلية فأدى فرض الخضوع والطاعة لسلطان البلاد الاعظم فأنعم عليه بالبراءة السلطانية وبوسام الشرف المجيدي من الرتبة الاولى.

وفي السنة المذكورة جمع طلبة اكليريكيين إلى مدرسة عين‌تراز وكانت مقفرة منهم منذ سنة ١٨٦٠م، وفي سنة ١٨٦٧م لبى دعوة البابا بيوس التاسع بالشخوص إلى رومة ليشهد مع باقي رؤساء العالم الكاثوليكي الحفلات لعيد الرسولين بطرس وبولس القرني، ولاعلان قداسة بعض الشهداء. ثم سار الى مرسيليا وباريس وكان لي الحظ أن أتعرّف به في هذه الاسفار إذ كنت بمعية بطريركنا الطيب الذكر بولس مسعد وان اغنم برضاه عني ما دام حياً، ثم سار الى رومة مع بعض اساقفته سنة ١٨٦٩م لحضور المجمع الفاتيكاني وخطب فيه خطبتين في المحاماة عن حقوق الكنائس الشرقية، وقد استمر هذا السيد متفانياً بالغيرة على شعبه في ما بقي له من العمر منشئاً الكنائس والمعابد والمدارس والمكتبات معتنياً بتهذيب اكليروس طائفته وزيارته معلماً شعبه بخطبه ومواعظه ومثله منجداً له في كل ملمة غير مذخر لقباً ولا مالاً ولا اهتماماً في سبيل خير رعيته الروحي والزمني، إلى أن أدركه المنون سنة ١٨٩٧م، وذهب ليلقى أجر تجارته وربح الوزنات المسلمة اليه وقد وفيته شيئاً من حقوق اعزازه لي وانتمائي اليه بتأبين له في كنيسة بيروت عند الصلاة لراحة نفسه الذكية تأبيناً طبع حينئذ وحفظ كثيرون نسخاً منه.

وبعد وفاة البطريرك غريغوريوس يوسف اجتمع اساقفة طائفته في دير صربا برئاسة السيد كيرلس دي فال القاصد الرسولي فانتخبوا السيد بطرس الجريجيري بطريركاً مكان البطريرك غريغوريوس يوسف الذي رقاه الى اسقفية بانياس في ٢٢

شباط سنة ١٨٨٦م، ثم خلفه بعد وفاته فأبدى السيد بطرس صنوف الغيرة والجهاد في خير طائفته، ولكن لم يفسح الله بأجله فعاجلته المنية في اوائل سنة ١٩٠٢م وبعد وفاته اجتمع الاساقفة في عين‌تراز فانتخبوا السيد كيرلس حجي مطران حلب بطريركاً في اواخر حزيران سنة ١٩٠٢م وهو بطريركهم الحالي اتاح الله التوفيق له لخير الدين الكاثوليكي وطائفته. اعتمدنا في ذكر هؤلاء البطاركة الى البطريرك غريغوريوس يوسف على الكتاب المعروف بمختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٤م.

عد ١١١٤

بطاركة انطاكية على السريان الكاثوليكيين

قد مر ان بعض السريان رجعوا الى الايمان الكاثوليكي على اثر المجمع الفلورنسي لكنهم ما عتموا أن عادوا الى بدعتهم الى أن ارتد الى الايمان القويم اندراوس احيجان الحلبي على يد البطريرك يوسف العاقوري بطريرك الموارنة وارسله البطريرك يوحنا الصفراوي الى مدرسة الموارنة برومة فتهذب بالعلوم فرقاه الى درجة الكهنوت ثم الى الاسقفية سنة ١٦٥٦م وارسله إلى حلب وصحبه بالقس اسطفانوس الدويهي (الذي صار فيما بعد بطريركاً) فرد كثيراً من اليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي. ولما توفي اغناطيوس سمعان بطريرك اليعاقبة سنة ١٦٥٩م ارسل المطران اندراوس احيجان صورة ايمانه الى الكرسي الرسولي فسماه البابا اسكندر السابع بطريركاً على السريان الكاثوليكيين واستمر على البطريركية الى سنة ١٦٧٨م حين توفاه الله، وكان قد رقى أخاه الى اسقفية حلب وسمي ديوانيسيوس وخلفه في البطريركية على السريان الكاثوليكيين اغناطيوس بطرس غريغوريوس وثبته البابا اينوشنسيوس الحادي عشر سنة ١٦٧٩م، ورقى الى الاسقفية ديوانيسيوس رزق على حلب وغريغوريوس يشوع على اورشليم وتوفي في السجن بأدنا بمكيدة جرجس بطريرك اليعاقبة سنة ١٧٠١م.

وبعد وفاة البطريرك المذكور لم يقم للسريان الكاثوليكيين بطريرك إلا في سنة

١٧٨٣م فإن المطران ديونيسيوس ميخائيل جروة الحلبي جحد اليعقوبية واعترف بالايمان الكاثوليكي وأقنع اربعة اساقفة يعقوبيين أن يقتدوا به ففعلوا وهم: ابراهيم ونعمة وموسى وجيورجيوس بشارة. وهؤلاء انتخبوه بطريركاً في دير ماردين، وسُمِّي بطريركاً انطاكياً وثبته البابا بيوس السادس في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٨٣م. وإذ لم يتمكن من السكنى بين اليعاقبة لجأ الى لبنان فقبله الموارنة بكل اعزاز، وبعد سكناه في دير سيدة النجاة المعرف بدير الشرفة الذي كان الخوري يوسف مارون الطرابلسي قد بناه سنة ١٧٥٧، وتوفى الله هذا البطريرك في الدير المذكور في ١٤ ايلول سنة ١٨٠٠م.

وبعد وفاته اجتمع اساقفة السريان في الدير المذكور فانتخبوا كيرلس بهنام مطران الموصل بطريركاً عليهم فلم يقبل أن يكون بطريركاً فاجتمعوا ثانية وانتخبوا بإجماع رأيهم الخوري ميخائيل ضاهر الحلبي في ٢٤ نيسان سنة ١٨٠٢م، ودعوه من حلب فلبى دعوتهم فرقوه في ٤ ايار من تلك السنة الى الاسقفية ثم الى البطريركية، وثبته البابا بيوس السابع في ٢٠ كانون الاول سنة ١٨٠٣م ثم استقال من البطريركية في ايلول سنة ١٨١٠م وبقي كرسيهم فارغاً مدة.

ففي سنة ١٨١٤م أقيم عليهم غريغوريوس سمعان الموصلي مطران اورشليم بطريركاً، ولكن قبل أن يبلغه تثبيت الحبر الروماني استقال بتمام رضاه من البطريركية كما يظهر من اوامر المجمع المقدس البارزة بهذا الشأن في ٢٠ حزيران سنة ١٨١٨م وبقي كرسيهم فارغاً الى ان اجتمع اساقفتهم في دير الشرفة وانتخبوا في ٢٥ شباط سنة ١٨٢٠م بطريركاً غريغوريوس بطرس جروة الحلبي ابن اخي البطريرك ميخائيل جروة السابق ذكره، وكان مطراناً على اورشليم وطلب التثبيت من الكرسي الرسولي فلم يحسن له ان يعطيه اياه الى أن حضر إلى رومة فمنحه التثبيت الباب لاوون الثاني عشر في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٨٢٨. وفي سنة ١٨٣٩م أنعم عليهم السلطان الاعظم بفرمان يحررهم من مضايقة بطريرك اليعاقبة لهم ويجعلهم طائفة مستقلة. وقد توفي البطريرك بطرس جروة في حلب سنة ١٨٥١م وخلفه السيد انطونيوس السمحيري مطران ماردين في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٥٣م وثبته البابا بيوس التاسع في ٧ نيسان وجعل سكناه في ماردين حيث

بنى كنيسة وداراً بجانبها لسكنى بطاركتهم. وتوفي السيد السمحيري في سنة ١٨٦٤م وخلفه السيد فيلبوس عركوش سنة ١٨٦٦م، وتوفي سنة ١٨٧٤ وخلفه السيد جرجس شلحت مطران حلب في سنة ١٨٧٤م، ثم توفي سنة ١٨٩١ وخلفه السيد بهنام بني مطران الموصل سنة ١٨٩٣م، ثم توفي السيد بهنام المذكور في سنة ١٨٩٧ وخلفه السيد افرام الرحماني مطران الرها اولاً ثم مطران حلب في ٩ آب سنة ١٨٩٨م وثبت في ٢٨ تشرين الثاني من السنة المذكورة وهو بطريركهم الحالي.

واما بطاركة الموارنة الانطاكيون فسوف نذكرهم في الملحق المعلق بآخر تاريخ هذا القرن.

الفصل الثاني

بطاركة أورشليم في هذا القرن وبطاركة الأرمن بلبنان

عد ١١١٥

بطاركة اورشليم على الروم غير المتحدين

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في تاريخ القرن الثامن عشر بذكر وفاة البطريرك افتيميوس سنة ١٨٠٨م فبعد وفاته انتخب بوليكربوس بطريركاً وبعد جلوسه على الكرسي الاورشليمي احترق هيكل القيامة فاهتم بتجديده وكتب الى البطريرك القسطنطيني يستمده لذلك، ودوّن رسائل كثيرة الى الأعيان والوجوه يطلب اسعافهم، واخذ في البناء فلم تنته سنة ١٨١١م إلا وعاد الهيكل الى رونقه السابق وتوفي هذا البطريرك سنة ١٨٢٧م وبعد وفاته اجتمع الاساقفة والرؤساء فانتخبوا خلفاً له السيد اثناسيوس ويوصف بالخامس وقد انشأ بعض كنائس وكانت وفاته سنة ١٨٤٤م، فكان خلاف في انتخاب الخلف. وفي اواخر شهر

آذار سنة ١٨٤٥م انتخبوا كيرلس ويوصف بالثاني وأنشأ مدرسة للعلوم السامية واللغات ومدرسة استعدادية للذكور وأخرى للإناث. وتوفي سنة ١٨٧٢ فخلفه برروكوبيوس الثاني تلك السنة لكنه لم يقم في البطريركية إلا ثلاث سنين وتوفي سنة ١٨٧٥م فخلفه في تلك السنة ايروثيوس واستمر في البطريركية الى سنة ١٨٨٢م وخلفه البطريرك نيقوديموس ودبر البطريركية الى سنة ١٨٩٠م واعتزل البطريركية لخلاف وقع بينه وبين الرهبان ونظنه حياً الى الآن في الآستانة وانتخب خلفاً له السيد جراسيموس مستقيلاً من كرسي انطاكية الى كرسي اورشليم سنة ١٨٩١م فدبر البطريركية الاورشليمية الى سنة ١٨٩٧م وتوفي وخلفه السيد دميانوس وهو البطريرك الآن.

عد ١١١٦
بطاركة اورشليم اللاتينيون

قد قام من الافرنج بطاركة لاتينيون على انطاكية واورشليم في مدة ولاية الافرنج على هاتين المدينتين ذكرناهم في تاريخ القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولكن بعد مقتل كريستيانوس بطريرك انطاكية سنة ١٢٦٨هـ حين اخذ الملك الظاهر بيبرس هذه المدينة وطرد الافرنج منها انقطع البطاركة اللاتينيون عن الاقامة في انطاكية وصار الاحبار الرومانيون يسمون بطاركة لانطاكية شرفاً يقيمون برومة. وكذلك كان في اورشليم فان نيقولاوس بطريركها الاخير غرق في البحر عند محاصرة الملك الاشرف عكا سنة ١٢٩١هـ فاختار البابا شالستينوس الخامس رودلفوس الثاني بطريركاً على اورشليم وكان رئيساً اقليمياً في الارض المقدسة فتوفي سنة ١٣٠٤هـ فصار الاحبار الرومانيون يسمون بطاركة شرفاً على اورشليم ويقيمون برومة الى أن حسن للبابا بيوس التاسع أن تكون اقامة بطاركة اورشليم بها فنصب السيد يوسف فالركا بطريركاً مقيماً بأورشليم سنة ١٨٤٧م واتى اليها سنة ١٨٤٨م ليخضع لسلطته اللاتينيون الذين بفلسطين وقبرص، فدبر هذه البطريركية واضيفت اليه بعد ذلك القصادة الرسولية في سورية الى ان توفاه الله سنة ١٨٧٣م

وخلفه في هذه البطريركية السيد منصور براكو وكان اسقفاً نائباً له وقد امره الكرسي الرسولي أن يبرز اليمين المعتادة على يد اول اسقف كاثوليكي يجتمع به وعند سفره من اورشليم الى قبرص بطريق بيروت عرج الى دارنا الاسقفي وتلا اليمين امامنا فصادقنا على ذلك وبقي يدبر هذه البطريركية بالبر والقداسة والغيرة الى سنة ١٨٨٨م حين نقله الله لرحمته فأقام الكرسي الرسولي بطريركاً على اورشليم في ٢٨ آب سنة ١٨٨٩م السيد لودوفيكوس بيافي وكان قاصداً رسولياً بسورية ونائباً رسولياً بحلب وهو الآن البطريرك الاورشليمي.

عد ١١١٧

بطاركة الارمن بلبنان

يعلم كل من له إلمام بالتاريخ ان الارمن تابعو اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة على بدعتهم بواسطة برصوما الذي غرهم بهذا الضلال كما اضل يعقوب البردعي السريان وسموا يعاقبة، وقد رجع بعض رؤساء الارمن وبعض شعبهم الى الايمان الكاثوليكي في اوقات متباينة قبل المجمع الفلورنسي وفي مدة انعقاده وبعده، لكن اولئك المرتجعين لم يثبتوا زماناً طويلاً متمكنين بالايمان القويم بل عادوا الى عيهم الى أن أقام منهم ملكيور طاسباس مطران ماردين في اواسط القرن السابع عشر، وكان كاثوليكياً فانضم اليه جماعة ترأس عليهم الى أن نفي الى الآستانة بسعاية الأرمن غير المتحدين ومات في منفاه سنة ١٧١٤. وكان حينئذ ايضاً يعقوب مطران مرعش كاثوليكياً لكنه فرّ من الاضطهاد ولجأ الى البطريرك اسطفانوس الدويهي وأقام عنده في قنوبين عدة سنين، ورقى بطرس بطريرك كيليكيا ابريهام الأرمني العينتابي الى اسقفية حلب سنة ١٧٠٨م. وكان ابريهام في جملة اتباع ملكيور طاسباس الكاثوليكي وصحبه في منفاه الى الآستانة ومات طاسباس على يده. فابريهام هذا انتخب في ٢٦ت٢ سنة ١٧٣٩م في حلب بطريركاً على الارمن بكيليكيا وسار الى رومة فثبته البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٦ ت٢ سنة ١٧٤٢م بطريركاً على الارمن في كيليكيا. وانفذ البابا المشار اليه رسالة الى

بطريرك الموارنة واساقفتهم وشعبهم مؤرخة في ٢٥ نيسان سنة ١٧٤٣م يوصيهم بها بالبطريرك ابريهام المذكور وطائفته، فحضر هذا البطريرك الى لبنان وجعل سكناه في دير المخلص المعروف بدير الكريم بكسروان الذي كان أربعة شبان من حلب قد انشأوه. فهؤلاء الشبان قصدوا هجر العالم والانقطاع لعبادة الله فهاجروا موطنهم حلب وقصدوا طرابلس وأسماؤهم: يعقوب ومتياس ويوحنا وابراهيم. فانضوى يوحنا ويعقوب الى رهبان دير قزحيا ليتمرنا في السيرة الرهبانية، واتى ابراهيم ومتياس الى قرية غوسطا بكسروان فأعطاهما الشيخ صخر بن قنصوه الخازن محل دير الكريم بموجب صك مؤرخ في سنة ١٧١٦م فعادا الى حلب ليبيعا ما يملكان فيها وينفقاه في بناء الدير. فمات متياس بحلب ووجد ابراهيم رفيقاً عوضه يسمى انطون عاد معه الى كسروان وانضم اليهما يعقوب ويوحنا اللذان كانا بدير قزحيا فانشأوا سنة ١٨١٨م دير الكريم الذي ابتدأت فيه رهبانيتهم آخذة قوانين رهبان دير قزحيا دستوراً لها.

ففي الدير المذكور حل البطريرك ابريهام المذكور وأبدى الموارنة له ولجماعته كل تجلّة وتكريم ومساعدة ودبر رعيته بصنوف الغيرة على قدر ما مكنته الحال الى أن مضى الى لقاء ربه سنة ١٧٤٩م ودفن في دير الكريم، وخلفه يعقوب مطران حلب في ١٤ ت[1] سنة ١٧٤٩م وثبته البابا بناديكتوس الرابع عشر في ١٣ ايلول سنة ١٧٥٠م. وكان الشيخ شرف دهام الخازن وقف على طائفة الارمن الكاثوليك محل دير بزمار ودوّن به صكاً باسم المطارين بولس ويوسف ويوحنا الارمن مشرطاً الرجوع بوقفه ان رجع الموقوف عليهم عن الدين الكاثوليكي. فباشر البطريرك والمطارين في بناء دير بزمار سنة ١٧٤٩م وتوفي البطريرك يعقوب سنة ١٧٥٣م في دير بزمار ونقلت جثته فدفنت في دير الكريم، وانتخب ميخائيل مطران حلب خلفاً للبطريرك يعقوب في ٢٣ حزيران سنة ١٧٥٣م وثبته البابا بناديكتوس الرابع عشر ايضاً في ٦ آذار سنة ١٧٥٤. وفي زمان هذا البطريرك قلدهم البابا اكليمنضوس الثالث عشر الولاية على الارمن الذين بالجزيرة اي ما بين النهرين في ٢٠ تموز سنة ١٧٦٠م، وولاهم البابا اكليمنضوس الرابع عشر على طوقات وبركتيك في ١٢ آب سنة ١٧٩٦م. وتوفي البطريرك ميخائيل سنة ١٧٧٠م ودفن ببزمار في مدفن

خلفائه وخلفه باسيليوس مطران ادنه في اول كانون الاول سنة ١٧٨٠م وثبته البابا بيوس السادس في ٢٦ حزيران سنة ١٧٨١م، وتوفي سنة ١٧٨٨م فخلفه غريغوريوس مطران ادنا ايضاً في ١١ ايار سنة ١٧٨٨م وثبته البابا بيوس السادس ايضاً في ١٥ك[1] سنة ١٧٨٨م واسس هذا البطريرك سنة ١٧٩٠م مدرسة في كرسيه ببزمار وفرض أن ينذر تلامذتها العفة والفقر والطاعة كسائر الجمعيات القانونية بنوع ان مقتنى كل منهم يعود بعد وفاته الى الجمعية وتوفي البطريرك غريغوريوس سنة ١٨١٢م. وخلفه غريغوريوس الثاني مطران مرعش في ٢٣ حزيران سنة ١٨١٢م وثبته البابا بيوس السابع في ١٩ ايلول سنة ١٨١٩م وتوفي سنة ١٨٤٠م وخلفه يعقوب الثاني مطران اماسيا في ٣٠ حزيران سنة ١٨٤١م وثبته البابا غريغوريوس السادس عشر في ٢٧ ك[1] سنة ١٨٤٢م، وتوفي سنة ١٨٤٣م. وبعد وفاته خلفه ميخائيل اسقف قيسارية ودعي غريغوريوس الثالث في ٧ آب سنة ١٨٤٣م وثبته البابا غريغوريوس السادس عشر ايضاً في ٢٣ ك[1] سنة ١٨٤٤م وتوفي سنة ١٨٦٦م.

وبعد وفاة البطريرك غريغوريوس الثالث حسن للكرسي الرسولي أن يضم الارمن الذين يرعاهم الجاثليق المقيم في القسطنطينية الى الارمن المقيمين في بطريركية كيليكيا، فلدى اجتماعهم بعد وفاة البطريرك غريغوريوس ببزمار اختاروا السيد انطونيوس حسون جاثليق القسطنطينية بطريركاً لكيليكيا ايضاً في ١٤ ايلول سنة ١٨٦٦م، فساس الارمن الكاثوليك مدة ونشأت بينهم اختلافات افضت الى انشقاق طائفتهم بين حسونيين وكوبليانيين ودام الانشقاق سنتين الى أن حسن لدى الكرسي تسمية البطريرك حسون كردينالاً واقامته برومة، وانتخب الارمن الكاثوليكيون السيد اسطفانوس عازريان بطريركاً في ٢٤ حزيران سنة ١٨٨١م. وتوفي سنة ١٨٩٩م فخلفه بولس بطرس الحادي عشر عمافوليان في ١٤ تموز سنة ١٨٩٩م وثبته البابا لاون الثالث عشر في ١٤ كانون الاول سنة ١٨٩٩. وتوفي في هذه السنة ١٩٠٤م.

ملحق

تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر

الفصل الاول

حكام الموارنة واعيانهم

عد ١١١٨
حكام الموارنة في هذا القرن

من بعد اواسط القرن الثامن عشر الى سنة ١٨٦٠م كان حكام لبنان موارنة. فإن الامراء الشهابيين في هذه المدة الذين تولوا لبنان اي اولاد الامير يوسف والامير بشير وغيرهم كانوا موارنة، ولما قسم لبنان الى قائمقاميتين مارونية ودرزية كان على قائمقامية الموارنة اولاً الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع ثم خلفه بعد وفاته الامير بشير احمد ابي اللمع الى ان كانت الحرب الاهلية سنة ١٨٦٠م، وكان للموارنة في نظام لبنان المعمول به الآن أربع قائمقاميات في اربع اعمال وهي البترون مع جبة بشري وزاوية طرابلس ثم كسروان مع الفتوح وبلاد جبيل ثم المتن مع قاطع بيت شباب وساحل بيروت ثم جزين مع ما يليها، ينصب فيها اربعة قائمقامين من الموارنة من الامراء وغيرهم واكثر المديرين في هذه القائمقاميات هم موارنة، ومنهم عدة مديرين في قائمقامية الشوف. واما في زحلة والكورة فلا مدير لهم فيهما لصغرهما وان كان من الموارنة جماعة كبيرة فيهما.

واما الاعيان الموارنة في هذا القرن فقد تكاثر عديدهم وربا على ما تتمحله حالتهم وثروتهم، فالأمراء الشهابيون في لبنان صاروا جميعاً نصارى موارنة إلا قلائل منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكيين او الملكيين غير المتحدين، وكذلك الامراء اللمعيون إلا نفراً منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكيين، وازداد ايضاً كثيراً عدد المشايخ الخازنيين والحبيشيين وآل ظاهر وآل دحداح ومشايخ جبة بشري وآل أبي صعب وآل هاشم، وهؤلاء كانوا دائماً ما برحوا موارنة قحاً. ولكن زيادة عددهم وتوفر احتياجات المعيشة والملبس والأثاث في هذا العصر آلت بكل هذه الأسر الشريفة الى الانحطاط وضيق ذات اليد في عيالٍ كثيرة منهم، وقلّ من بقي يتمكن من أن يعيش كما يقتضيه شرف اصلهم. وزاد في الطين بلة انتشار روح الحرية في هذا العصر فحمل الاهلين على ازدراء سلطتهم وانكار وجاهتهم وعدم رعاية شرف اصلهم، فثار اهل كسروان على مشايخهم الخوازنة وطردوهم من اوطانهم واعتدوا على حاصلات املاكهم حتى قتلوا نفراً منهم، فذهب ذلك بمهابتهم وجشمهم اضراراً وخسائر، وانتشرت هذه الروح في باقي اعمال لبنان فانحطت مهابة الامراء ايضاً وباقي المشايخ لا الموارنة فقط بل غيرهم ايضاً من اية طائفة كانوا. وعندنا ان هذه الحطة في مقام شرفاء البلاد أضرّت بها كثيراً إذ كثر رؤساء القوم، ولا مشاحة انه حيث كثر الرؤساء كثر الخلاف ولم تستقم الحال. وبعد أن كانت سلطة البلاد تنحصر برأي كم وجيه من هذه الاسر امسينا ألعوبة، فتعددت آراؤنا بقدر تعداد افرادنا، على اننا لا ننكر ان بعض الجهلة من هذه الأسر تسبب بهذا الانحطاط بأعمالهم التي لم تنطبق على واجبات الحق والعدل والشرف، ولم يكن من جهة العقلاء من يتدارك غوائل عمل الجهلاء فأفضت الحال الى ما تراها فيه الآن ولله في خلقه غايات لا تدرك.

وكان من اعيان الموارنة في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر الشيخ جرجس باز ابي شاكر من دير القمر وأخوه عبد الأحد، وكانا مدبري اولاد الامير يوسف شهاب والتمسا لهم سنة ١٧٩٢م من الامير حيدر والأمير قعدان والي لبنان حينئذ أن يؤجرهم بلاد جبيل فأجروهما اياها بستين ألف قرش كل سنة، وكان جرجس باز حازقاً خبيراً بأساليب السياسة استمال الى مخدوميه أعيان البلاد

واصحاب المناصب فيها حتى آثروهم على الاميرين الواليين واستهانوا بهما، وأصبحا عاجزين عن ادارة البلاد وجباية المال الاميري منها، فأشار عليهما بعض اصحابهما ان يسلما الولاية الى اولاد الامير يوسف حذراً من ان يستردها الامير بشير الكبير، فراسلا جرجس باز بذلك، فأرسل أخاه عبد الاحد إلى الجزار ومعه مائة ألف قرش فأرسل الجزار خلع الولاية إلى اولاد الامير يوسف وابقى عبد الاحد رهناً على ما بقي من المال، فلبس اولاد الامير يوسف الخلع وساروا مع جرجس باز الى دير القمر. ولما تغلب الامير بشير على اولاد الامير يوسف واخذ الولاية من الجزار سار جرجس باز بمخدوميه الى جبيل ولم يلبث الجزار أن تغير على الامير بشير سنة ١٧٩٤م وكتب الى اولاد الامير يوسف أن يحضروا لديه ليوليهم فحضروا من جبيل الى ساحل بيروت، فأرسل لهم الخلع فسار احدهم الامير حسين الى دير القمر ومعه مدبره جرجس باز وسار احدهم الامير سعد الدين الى جبيل، إلا ان الجزار تغير سنة ١٧٩٥م على اولاد الامير يوسف وعزلهم من الولاية وولى الامير بشير، فأراد ان ينتقم من اولاد الامير يوسف فعارضه بذلك جرجس باز مدبر الامراء، وتمكن في سنة ١٧٩٨م أن يردّ الولاية الى اولاد الامير يوسف، لكن اوقفهم الجزار عن المسير الى لبنان بسبب قدوم العساكر الفرنسية الى اسكندرية ثم الى عكا. وبعد أن ارتحل الفرنسيس عن عكا خلع على الاميرين حسين وسعد الدين ابني الامير يوسف وسيرهما الى لبنان وابقى اخاهما الامير قاسم رهناً عنده، فتوجه جرجس باز مع الامير حسين من جهة البقاع واخوه عبد الاحد مع الامير سعد الدين من جهة اقليم الخروب وطاردوا الامير بشير حتى اضطر الى الخروج من لنان بدعوة سميث الاميرال الانكليزي له لمقابلة الصدر الاعظم في غزة، ولما عاد الامير بشير الى لبنان ومال السواد الاعظم من اهله الى إعادة الولاية اليه بقي جرجس باز معارضاً بما قدر عليه من التدابير الى أن وقع الصلح، على أن يتولى اولاد الامير يوسف بلاد جبيل والامير بشير باقي البلاد، واقام جرجس باز في دير القمر عند الامير بشير في اوج الوجاهة واخوه عبد الاحد في جبيل وبيده زمام الحكومة.

ولما توفي الجزار ونصب ابراهيم باشا مكانه وبلغ الى دمشق ارسل اليه الامير بشير جرجس باز بمائة فارس فأمر الوزير أن تلتقيه قواد العساكر والاعيان ودخل

جرجس باز عليه فأكرمه وأجلّه وكان يستشيره في مهامه، وعظمت منزلة جرجس باز واخيه عند اعيان البلاد ولم يكن لهما ميل الى الامير بشير بل كانا يصنعان افعالاً تسوءه، فأضمر لهما السوء واتفق مع اخيه الامير حسن على اغتيالهما ووافقهما على ذلك المشايخ اليزبكية الدروز وساروا مع الامير حسن الى جبيل في ٥ ايار سنة ١٨٠٧م، واحاطت جماعة بعبد الاحد باز في داره فألقى نفسه من شباك فقتله من كانوا اسفل، وفي النهار المذكور استدعى الامير بشير الشيخ جرجس باز اليه ولما جلس بحضرته خرج الامير واغلق الباب وامر بعض الدروز أن يدخلوا ويقتلوه فدخلوا عليه وخنقوه.

وكان من اعيان الموارنة في هذا القرن المشايخ بنو ابي صعب فأبو صعب هو جرجس ابن الخوري بطرس بن يونان ابي سليمان من المتين وكان له اربعة اولاد اسعد والياس وغالب ونصيف وقد أقام بخدمة الامير يوسف شهاب واشترى املاكاً في جبيل وارتحل اليها، ولما نزح المقدمون بنو الشاعر من تولا سنة ١٧٧٠م اشترى ابو صعب دارهم في تلك القرية، ثم شرى بعض مزارع في جنوبي جبة بشري واستوطن احداهما المعروفة بمزرعة الحاج حسن وتعرف الان بمزرعة بيت ابي صعب، وعاون مشايخ جبة بشري على طرد المتاولة منها. وقد اشتهر ابنه اسعد بفراسته وشجاعته في وقائع عديدة في ايام الامير يوسف واولاده والامير بشير الكبير. وتوفي ابو صعب جرجس سنة ١٧٩٤م واستمر ابنه اسعد يزداد شهرة في بسالته في خدمة الامير بشير الى أن توفي سنة ١٨٢٣م وله ابنان جرجس ويوحنا، وسنة ١٨٣٤م دعا الامير امين ابن الامير بشير شهاب يوحنا المذكور لخدمته وجعله رئيس كتابه، وسافر سنة ١٨٤٠م معه ومع الامير بشير والده الى مالطة، فتعلم هناك اللغة الايطالية ثم سافر معهما الى الآستانة سنة ١٨٤١م فتعلم التركية وأتقن اصول الخط العربي فنبغ فيها ورجع الى بيروت سنة ١٨٤٩م كاتباً عربياً في خدمة مصطفى باشا الشكودري، ثم استدعاه وامق باشا والي ايالة صيدا واعزه وجعله ترجماناً لطائفته عنده، ولما تولى الامير بشير احمد ابي اللمع قائمقامية النصارى سنة ١٨٥٤م جعله رئيس كتابه وقربه اليه. وسنة ١٨٥٥م أنعم عليه وامق باشا بلقب بك فكتب له الامير ولأقاربه الأخ العزيز مثل باقي مشايخ لبنان، وتزوج

يوحنا زيجة اولى بنت يوسف فرنسيس نادر من المشايخ بيت الخازن، وخدم متصرفية لبنان مدات بوظيفة رئيس القلم العربي في مدة داود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا وتوفي من سنين وكان شاعراً وله ديوان كبير.

وأما اخوه جرجس فقد اشتهر بالشجاعة في المواقع التي كانت بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١م، وفي سنة ١٨٤٣م اختير عضواً لديوان الامير حيدر اسماعيل قائممقام النصارى، وعزل سنة ١٨٥١م ثم اعاده الأمير حيدر الى وظيفته سنة ١٨٥٣م، ولما تولى الأمير بشير احمد قرّبه اليه وبقي في خدمته الى أن توفي سنة ١٨٥٨م، وكان ابناه اسعد والياس في عضوية مجلس ادارة لبنان على التعاقب في نظام لبنان الحالي عدة سنين.

عد ١١١٩

يوسف بك كرم

هو ابن الشيخ بطرس كرم حاكم اهدن وما يليها. ولد بإهدن سنة ١٨٢٥م على ما نعلم ونشأ على روح الدين والتقوى وحب الشرف وطلب المعالي وأقام له ابوه من اهتم بتعليمه اللغة العربية والفرنسية ومبادئ العلوم، وتعلم علم السلاح من اطلاق رصاص وضرب سيف على الشيخ عماد الهاشم العاقوري الشهير وبرع في ذلك ولو كان للنصارى حظ في الجندية في الممالك المحروسة وتجند لكان للسلطنة فيه قائد من اعظم قواد هذا العصر كما سترى من ذكر اعماله. وفي نحو السنة العشرين من سنة نصبه الامير حيدر اسماعيل قائممقام النصارى حاكماً على اهدن اقطاع ابيه واسرته وله في مدة حكومته هذه اعمال تذكر فتشكر من اجراء عدالة وعفاف نفس ومحافظة على آداب، ورعاية دين وتدريب شبان على محبة الدولة والوطن، مقرناً كل ذلك بصلاح سيرة وورع وايمان حيّ وغيرة على الدين والادب. وقد تفرر بحبه الطهارة حتى يمكن أن يقال عنه انه في حياته كلها ما نظر الى وجه امرأة نظراً يؤاخذ عليه، وقد عاش نحو عشرين سنة في مدن اوروبا كباريس

نابولي والناس تتعجب من فضيلته هذه، ورؤساء الدين يجعلونه مثلاً للطهر يحثون على الاقتداء به. ومع ما كان عليه من الوجاهة وسعة اليد استمر متبتلاً حياته كلها.

وكان قد عزم في سنة ١٨٥٩م أن يجمع كهنة علماء ويوقف املاكه عليهم ويعيش معهم مثابراً على اعمال الرسالة الدينية والروحية، وقد كاشفني بهذا ورغب لي ان انضم اليهم وانا كاهن معلم في مدرسة القديس يوحنا مارون، فأجبته أن يلزم التأني بفحص دعوته لأني أرى ان المقتدرين مثله على نفع عباد الله في الزمنيات قليلون جداً، وأما الكهنة المقتدرون على الرسالة فكثيرون، وعليه ارى ان الله يدعوه لنفع عباده بالزمنيات بالاولى. كنا في هذا الحديث مساء بداره باهدن السنة المذكورة، وفي اليوم التالي وردت الاخبار المنبئة بحصول وقعة بين النصارى والدروز في قرية بيت مري فرأيته شبت فيه نار الغيرة وهبت عاصفة الحمية والوطنية واخذ يستدعي مشايخ جبة بشري والزاوية ووجوههما لاجتماع في قرية بان حيث خطب فيهم مبيناً ما يلزم عمله والاحتياط به وقاية من غوائل الحال المستقبل، وكأنه ناظر بذكائه ما كان بعداً، ولدى اجتماعي به ثانية أبنت له أن الله يدعوه لغير الرسالة. فقال حينئذ: (لتكن مشيئة الله).

ولما انتشبت الحرب الاهلية بين النصارى والدروز سنة ١٨٦٠م ارسل صكوك املاكه الكثيرة الى بيروت يرهنها عند من يدفع له ثلاثمائة الف غرش لينفقها في انجاده النصارى، وقام في نحو اربع مائة شاب اختارهم من جبة بشري وصحبه في سيره كثيرون الى أن بلغ بكفيا مجتمعاً اليه نحو الفي مقاتل، فورد له رسالة من قنصل افرنسة الكونت دي نيتي فوليو يمنعه فيها من التقدم الى بلاد الدروز لئلا يثبت ان النصارى معتدون، فأجابه ان الجميع يعلمون ان الدروز ابتدأوا القتال وما انفكوا يجددونه وما نحن إلا مدافعون عن نفوسنا واخوتنا، فأرسل القنصل اليه ثانية يقول قد اتفقت انا وقناصل الدول وخورشيد باشا على ان دولته يمنع الدروز عن كل عمل عدواني وانا أوقفكم في محلكم، وإذا لم تقفوا في بكفيا حيث انتم كان النصارى جميعاً مسؤولين بعملكم. فأجابه قد امتثلت الامر وان كنت على يقين ان الدروز لا يقفون عن القتال ولكني إذا شعرت بأقل حركة منهم اسرعت للحال الى

المدافعة.ٌ وبعد ارسال الجواب ورد الخبر ان الدروز والعرب وغيرهم محاصرون زحلة فهبّ البك برجاله طلق العنان، ولكنه لما اطل على زحله رأى النار تشتعل في بيوتها ثم التقى بالفارين منها فعاد الى المروج ثم الى جونية جاعلاً لها مركز المدافعة متجشماً نفقات لا تقدر على رجاله وعلى كثير من الفارين. وقد بقي بجونية مع رجاله الى ان وفد فؤاد باشا والعساكر الفرنسية الى بيروت فسماه فؤاد باشا وكيل قائمقامية النصارى وأظهر له المحبة والايناس، وقدره الفرنسيون ووكلاء الدول حق قدره وكان الجنود الفرنسيون يسمونه يوسف الاول، ولكنه اختلف اخيراً مع قسم من كبرائهم لنصحه لهم بترك بعض مظاهرات تعود على شأنهم بالانحطاط وعلى البلاد بالضرر، واستمر على وكالة القائمقامية الى أن سمي داود باشا متصرفاً للبنان.

وأراد داود باشا أن يستعمل كرم بك في احدى قائمقاميات لبنان لعلمه بما له من نفوذ الكلمة وما للشعب من الهوس به، لكن البك كان يعلم بما كان من المفاوضات بالآستانة من شأن متصرف جبل لبنان، وانه سمي احنبياً على سبيل الاختبار مدة ثلاث سنين، وإذا لم ينجح فيها استبدل بحاكم وطني كما كانت فرنسة والنمسا وروسيا تبتغي، ولذلك ابى قبول اية وظيفة كانت. ولما كثر الالحاح عليه بقبول منصب شرط أن يستقيل منه متى أراد تخلصاً فسمي بقائمقامية (كانت حينئذ تسمى مديرية) جزين فاستقال منها في اليوم الثالث كشرطه وسار الى داره بإهدن.

وسمي الأمير مجيد شهاب قائمقاماً على كسروان والبترون (جعلا بعدئذ قضاءين) ورغب في أن يتفق مع يوسف بك كرم وكاشفه بذلك على يد بطريركية الموارنة فأبى البك إلا الاعتزال عن كل خدمة للحكومة، فوجس داود باشا من هذا الاعتزال وشكا الامر الى فؤاد باشا فكتب الى كرم بك أن يحضر اليه طلق العنان (كما في اصل الرسالة) فأسرع بالحضور الى بيروت دون ابطاء، ولما قابل فؤاد باشا امره أن يبقى حيث كان في الثكنة العسكرية، فبقي فيها مكرماً وبعد ايام صحبه فؤاد باشا معه مسافراً الى الآستانة في آخر سنة ١٨٦١م.

وأقام بالآستانة مكرماً مطلقاً له أن يتوجه حيث شاء إلا سورية وعين له راتب شهري، وانتقل بعد مدة الى قرية برنابا بجوار ازمير منتظراً نهاية مدة الاختبار بمرور

ثلاث سنين، ولكن عند نهايتها في سنة ١٨٦٤م كان بعض عمال فرنسة قد غير افكار رجال وزارتها في شأن طلب حاكم وطني، فعدلوا الى تجديد ولاية داود باشا. ولدى اجتماع سفراء الدول عند ناظر الخارجية بالآستانة تقرر هذا التجديد ولما عرف يوسف بك بذلك سار مسرعاً من برنابا الى ميناء طرابلس ثم الى زعرتا فبلغها في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤، فاهتز لبنان له وأمّه الناس افواجاً من كل انحاء لبنان، ورأى داود باشا ان لا قوة كافية له لكبته فلجأ الى بطريرك الموارنة واعداً أن يسترضي الدولة عن يوسف بك وينيله كل ما يبتغي بحيث أن يكتب له كتاباً يبين فيه انه يريد الاقامة بوطنه خاضعاً للشريعة والنظام، وبعد الإلحاح على البك بذلك كتب له كما رغب وأجابه الباشا مؤمناً له ومبدياً كل انعطاف اليه.

صنع داود باشا هذا وسافر سنة ١٨٦٥م الى الآستانة عالماً انه لا تستقيم له حال إلا أن يذلل كرم أو يبعده عن البلاد، وعرض الامر على الباب العالي مدعياً انه لا وسيلة له في حكم لبنان إلا بأن يستريح من كرم، واستعد لحربه واتى بفرقة من الدراغون الى لبنان، وبعد عوده من الآستانة قبض في آخر السنة المذكورة على بعض انسباء كرم واصحابه قاصداً تهييجه، وأتى وأقام بصحراء جونيه يصحبه العسكر اللبناني والدراغون وفريق من العسكر العثماني، وعلم يوسف بك بما وراء الاكمة فأتى بجمهور من سكان شمالي لبنان غالبهم من اهل السلامة لا من اهل الحرب إذ كان مقصده ابداء مظاهرة تحمل الباشا على الصلح. وبلغ البك في حشده في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٦م الى دير مار دوميط البوار وبينا كان يسمع القداس اطل بعض فرسان الدراغون على رجال البك وناوشهم القتال فتشبت نار الحرب، وتقدم البك برجاله الى المعاملتين فزادت نار الحرب تسعراً وقتل من الطرفين عدة قتلى، وأتى بعض الكسروانيين من جهة غزير لانجاد الكرميين فصدهم العسكر الذي كان في غزير وعاد البك برجاله الى زغرتا.

ان في ما كان ليوسف بك كرم في الاحداث الآتي ذكرها موعظة فعالة ووزاعاً شديداً في ردع كل فرد من رعايا الحكومات عن أن يجسر ولاسيما في هذه الايام على أن يعاند السلطة العظمى ولو مهما كان متبوعاً او كان مزيناً به من الشجاعة والبسالة، حتى ولو كان معتقداً بأنه يخالف عمال الحكومة لا رأسها

فالحكومة ترى العصيان على عمالها عصياناً عليها كما كان لهذا الرجل، فإنه بعد انكسار رجاله في المعاملتين كتب الى عمال الباب العالي بسورية والى قناصل الدول ببيروت يقيم الحجة على انه متشبث بالطاعة للمتبوع الاعظم ولا يريد العصيان ولا محاربة عسكر الدولة العلية، على انه لا بد له من المدافعة عن نفسه وأرفاقه إذا ارسل داود باشا العساكر عليه، فأخذ داود باشا يبين لهم ان ترك كرم في هذه الحال حطة في شأن الحكومة ولا يستقيم لها حال إلا باذلاله وابعاده، ويتعهد بكبته بأقرب آن وبأيسر وسيلة، فأجيب الى طلبه بتوجيه العسكر ثانية اليه فأرسل العسكر اللبناني ونحو ثلاثة آلاف مقاتل من جنود المملكة فقام البك من زغرتا الى بنشعي ومعه نحو اربعمائة رجل فتبع العسكر آثارهم واضطرمت نار الحرب ساعات وفي آخرها رجع عسكر داود باشا مدحورين الى طرابلس، وكسب الكرميون شيئاً كثيراً من سلاحهم استعانوا به على حربهم في مواقع اخرى.

فاتسع خرق هذه الفتنة وامسى ضربة لازب أن تنتصر الحكومة اعلاء لشأنها فجمع داود باشا نحو ثمانية آلاف مقاتل وسيرهم على كرم وهو في قرية سبعل واصحابه لا يبلغون خمسمائة رجل، فتلظت نار الوغى بين الفريقين من الصباح حتى المساء، وبات كل من المتحاربين متحفزاً للقتال، وعند الصباح رأى كرم انه لم يبق لرجاله بارود فصرف جمهوراً منهم ليذهبوا في سبيلهم ومضى بمن بقي الى داره في اهدن ثم عمد الى الاختباء ومعه نحو خمسة عشر رجلاً فدخل العسكر اهدن وحرق داره.

وكان كرم يغير مخبأه وقد كبسه مرات رجال الحكومة وكان يتملص منهم سالماً ظافراً فكبسه مرة مدير بشري ومعه نحو مائتي رجل وكان في خربة بيته بإهدن ومعه سبعة رجال بدّد بهم حشد المدير. وكان مرة في وادي النسور في منعطف لبنان من جهة بعلبك فجمع قائمقام بعلبك حشداً كبيراً من جنود وغيرهم نحو الف رجل وقصدوه في مخبئه فهب اليهم بسبعة رجاله فلم يجسروا ان يدنوا منه بل ولّوا هاربين. واحتاطه مرة في نبع جوعيت نحو ألف رجل فانحدر امامهم في وادي النهر لجهة مزيارا فأقاموا له كميناً على الطريق التي بين سبعل ومزيارا واتبعه الرحال على ضفتي الوادي، ولما بلغ الكمين وايقن أن لا

مناص له صاح بأصحابه وكانوا نحو خمسة عشر رجلاً: سيوفكم يا أبطال واستلّ سيفه ومشى على القوم المشتبكين في الطريق وحوله رجاله فارتاع الكامنون وانحسروا من طريقه واجتاز بينهم ومضى.

واخيراً سئمت نفسه الاختفاء فهبّ متظاهراً على بيع جوعيت وتألب اليه نحو ثلاثمائة شاب من نخبة رجاله، فسار بهم في وسط البلاد لا يعترضه احد بل رحب به الجم الغفير مارّاً بجبة بشري وبلاد البترون وجبيل وكسروان الى أن بلغ بكفيا في أواسط كانون الثاني سنة ١٨٦٧م والعسكر اللبناني يتبعه عن بعد ولم يتحرش لقتاله إلا في الوادي الفاصل بين كسروان والقاطع، وقبل ان ينتهي القتال بلغ الى البك وفد من قبل القنصل الفرنساوي العام يعرض عليه أن يكون مظللاً بحماية فرنسة ويسافر اليها بضمانتها وأن يلتقيه الى بطريركية الموارنة، ذلك ان داود باشا رأى اتساع الخرق على الراقع فلجأ الى قنصل فرنسة بهذه الوسيلة فأذعن البك لوساطة القنصل وعاد الى بكركي وجاء القنصل اليها.

وشهر القنصل اعلان حماية فرنسة لكرم على الجمهور وقبل البك هذه الحماية وأن يسافر الى فرنسة تحت رايتها وبارح بكركي قاصداً بيروت للسفر منها الى مرسيليا فاجتمعت في بكركي ألوف مؤلفة ورافقه اكثرهم الى بيروت وغصت الطرق بالملاقين له من بكركي الى بيروت وكان لدخوله الى بيروت ملتقى قلّ أن يسبق له نظير وسافر منها الى مرسيليا في شهر شباط سنة ١٨٦٧م.

وسار من مرسيليا الى جزائر العرب حيث اقام مدة وجعل له عاهل فرنسة جعلاً سنوياً ألف ليرة فرنسية ثم استأذن بعدها بالحضور الى باريس فشخص اليها، ولما لم يرَ من وزير خارجيتها ما يوافق مصلحته خرج منها الى البلجيك ثم اتى الى رومة فأقام بها مدة وصرف مدة اخرى في كورفو وعاد الى نابولي فتوطنها مدة طويلة. وفي سنة ١٨٨٧م بلغ الباب العالي انه يسعى ليأخذ الجنسية الايطالية فوجس من ذلك، وكنت تلك السنة برومة فأوعز اليّ سفير دولتنا العلية أن أقنعه بالعدول عن ذلك فعند مبارحتي رومة عرجت الى نابولي وكاشفته بما قيل عنه فحقق لي ان ما عُزي اليه من اتخاذه جنسية ايطاليا لم يخطر له ببال وانه لو شاء أن يغير جنسيته العثمانية لأمكنه أن يتخذ جنسية دولة اخرى لكنه حافظ ويريد أن

يحافظ ما دام حياً على صبغته العثمانية، وانه كرر قيام الحجة مراراً على انه ما قصد البتة أن يخرج من طاعة السلطان الأعظم، بل ان كل ما عمله لم يكن إلا مدافعة عن نفسه من ظلم خصمه داود باشا. واستشهد جريدة الجوائب التي كانت في مدة حربه مع داود باشا تجد في اثبات هذه الحقيقة اي انه لم يكن عاصياً على الدولة بل على داود باشا، ولما بلغت الى الآستانة العلية وعرضت ما قاله لي على فخامة الصدر الاعظم كامل باشا أسمعني انه إذا اراد كرم نصَّبه قائمقاماً او متصرفاً ايضاً على احدى مدن سورية خارجاً عن لبنان، فكاشفته بذلك فاجابني انه يابى كل خدمة ويؤثر ان يقضي ما بقي من حياته في الغربة. وهكذا كان، فإنه توفي بنابولي سنة ١٨٨٨م ودفن في احدى مدافنها ولم يحنّط. وبعد نحو خمسة عشر شهراً ارسل البكوات ابناء اخيه من يأتي برفاته الى موطنه فعجب كل من حضر من بقاء جثته سالمة من الفساد وقد اتَي بها الى اهدن وشاهدها خلق كثير لا يحصى بريئة من الفساد والتغير ويعزو الجمهور ذلك الى فضيلة طهارته التي حافظ عليها في حياته كلها بشهادة كل من عرفه في المشرق والمغرب.

الفصل الثاني

بعض مشاهير العلم من الموارنة

عد ١١٢٠

المعلم بطرس البستاني

هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابي شديد بن محفوظ بن ابي محفوظ البستاني (كذا ذكر نسبه في كتابه دائرة المعارف). ولد بقرية الدبية باقليم الخروب سنة ١٨١٩م ودرس مبادئ العربية والسريانية على الخوري

ميخائيل البستاني ثم ارسله نسيبه المطران عبدالله البستاني مطران صور وصيدا الى مدرسة عين ورقة، فتلقى فيها آداب اللغة العربية ثم اللغات السريانية والايطالية واللاتينية ثم العلوم الفلسفية واللاهوتية والشريعة الكنسية والتاريخ والجغرافية والحساب، وأراد البطريرك يوسف حبيش أن يرسله الى رومة للتكمل بعلومه فلم ترضَ امه اذ كان ابوه توفي فعين معلماً في المدرسة المذكورة وبقي فيها الى سنة ١٨٤٠م، حين حضرت مراكب الدول الى ثغور سورية لاعانة الدولة العلية على اخراج الحكومة المصرية منها فاستخدمه الانكليز ترجماناً، وتعرف حينئذ ببعض القسوس الاميريكان فكان يعلمهم العربية ويعرّب لهم الكتب التي ينشرونها، فتمكنت علاقات المودة بينه وبينهم حتى شايعهم وتابعهم على مذهبهم. وفي سنة ١٨٤٦م انشأ الدكتور فان ديك مدرسة بعبيه وجعله معلماً فيها وأقام على ذلك سنتين وألّف إذذاك كتابه الموسوم بـ«كشف الحجاب في علم الحساب» ثم قدم الى بيروت فعين ترجماناً في قتصلية اميريكا بها وعكف على التأليف والترجمة ودرس في اثناء ذلك اللغتين العبرانية واليونانية وعاون الدكتور سميث الاميريكي على ترجمة الاسفار المقدسة الى العربية، فوضعا ترجمة اكثرها ثم توفي سميث فأتم الدكتور فان ديك هذه الترجمة المشهورة وألّف المعلم بطرس حينئذ معجمه الموسوم بـ«محيط المحيط». وانشأ في سنة ١٨٦٠م نشرة سماها «نفير سورية». وسنة ١٨٦٣م انشأ ببيروت مدرسة سماها «المدرسة الوطنية» تخرّج بها كثيرون من الطلبة وانعمت عليه الحضرة السلطانية بوسام الشرف مكافأة لخدمته. وكان ولده سليم رئيساً للمدرسة تحت إدارة والده ويدرس بها الطبيعيات والتاريخ والصف الاول في اللغة الانكليزية، ولما فرغ من معجمه محيط المحيط اقتطف منه مختصراً سماه «قطر المحيط». وفي سنة ١٨٧٠م انشأ مجلة علمية ادبية سياسية سماها «الجنان» وعهد بإدارتها وانشائها إلى ولده سليم، فكان له بها مقالات كثيرة جزيلة الفائدة ثم انشأ جريدة اسبوعية سماها «الجنة» ونشرة يومية سماها «الجنينة».

وكان قد وعد في آخر محيط المحيط بتأليف معجم لأسماء الأعلام المشاهير ثم رأى أن يتوسع في مشروعه هذا فأخذ في تأليف مؤلفه الشهير المعروف بـ«دائرة المعارف» جامعاً فيه تراجم الاعلام من سلاطين وملوك وعلماء واعيان

ومدن واعمال ومقالات في العلوم والفنون على اختلاف مواضيعها، فشرع فيه سنة ١٨٧٥م يعاونه به ابنه سليم وبعض الكتّاب، فأكمل ستة مجلدات وتوفي في بدء السابع، فأتمّ ابنه سليم السابع والثامن وتوفي قبل شروعه في التاسع فأصدر أبناؤه الباقون الجزء التاسع بمعاضدة ابن عمهم سليمان خطار البستاني الذي احذ في اتمام هذا التأليف النافع مع نجيب ونسيب ابني المترجم، فصدر منه الجزء العاشر والحادي عشر، ومأخوذ في تأليف الثاني عشر. وتوفي المعلم بطرس في اول أيار سنة ١٨٨٣م بعد أن قضى حياته كلها خادماً للعلم. وله من التآليف ما سبقت الاشارة اليه وكتاب مسك الدفاتر وكتاب مفتاح المصباح في الصرف والنحو. وقد طبع كتاب «بحث المطالب» للمطران جرمانوس فرحات وذيَّله بحواشٍ كثيرة وخطَّأَه في بعضها لاعتماده على نسخ غير صحيحة، فانتقدت تلك الحواشي بكتاب لم يطبع. وللمترجم خطب ومواعظ كثيرة وأبَّنه ورثاه بعد موته عدة من مشاهير قطرنا وفاضت الجرائد العربية وغيرها بالرثاء والاسف على فقده. ومن أحبّ الاطلاع على ذلك فليطالع المجلد السابع من دائرة المعارف في كلمة دائرة وكتاب مشاهير القرن التاسع عشر لجرجي افندي زيدان. وبعد وفاته عاد ابناؤه وبعض بناته الى المذهب الكاثوليكي في الطقس الماروني وقد حافظ هو في حياته على طائفته المارونية بأمياله ومساعيه وكان ينوي العود الى المذهب الكاثوليكي لو لم يعاجله الموت بغتة وكذلك كان لابنه سليم.

عد ١١٢١

فارس الشدياق

هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق من سلالة المقدم رعد بن خاطر الحصروني الماروني الذي تولى جبة بشري في القرن السابع عشر. ولد بعشقوت من كسروان سنة ١٨٠٤م وانتقل والداهُ الى الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٠٩م وتخرَّج اولاً بشيء من العلوم في مدرسة عين ورقة. وتوفي والده وهو صبي فأتقن صناعة الخط وكان ينسخ الكتب لنفسه

ولغيره بالاجرة، ثم سار الى مصر وفيها اتقن الدروس العربية وتولى كتابة جريدة «الوقائع» المصرية ثم سافر إلى مالطة سنة ١٨٣٤م وأقام بها زهاء اربع عشرة سنة يدرس في مدرسة المرسلين الاميريكان ويعرب ما يطبع في مطبعتهم. واخذ في التأليف والتصنيف. وفي جملة ما ألّفه هناك كتابه الذي سماه: «الواسطة في معرفة احوال مالطة». وفي سنة ١٨٤٨م طلبته جمعية ترجمة الاسفار المقدسة بلندرا من حاكم مالطة ليعاونها في ترجمة الاسفار الى العربية، فعاونها بتعريب هذه الترجمة وتنقيحها وضبطها فكانت احسن الترجمات من حيث اللغة العربية. وعاد بعد فراغه من هذه الترجمة الى باريس فاجتمع بصديقه وابن وطنه الشيخ رشيد الدحداح نزيل باريس حينئذ، وكان الشيخ رشيد قد طالع كتاب المترجم الموسوم بـ«الفرياق» واخبرني انه لامه وعتبه على تخطئته به حدود الادب والحشمة واقترح عليه أن يكتب كتاباً آخر يصلح به ما فرط منه بالفرياق فأخذ حينئذ بتأليف كتابه الموسوم بـ«كشف المخبا عن احوال اوروبا» وصف به تلك البلاد وصفاً دقيقاً محكماً بعبارة فصيحة رقيقة وقضى مدة طويلة متجولاً بأوروبا بزيّه العربي. وأتقن اثناء ذلك اللغتين الانكليزية والفرنسية وتزوج بسيدة انكليزية لم تلد له اولاداً ونال حماية دولة انكلترا. واتفق ان احمد باشا باي تونس زار فرنسة وهو فيها وأجزل عطاياه لفقرائها فنظم له المترجم قصيدته الشهيرة ومطلعها:

زارت سعاد وقلبي اليوم متبول   فما الرقيب بغير النشر مدلول
وما سعاد وقد زارت باسكن من   ظباء وجرة تهديها مطافيل
وشاحها مثل قلبي لم يزل خلفقا   وزندها اخرس الدملوج مجدول

وارسلها اليه الى تونس فأرسل الباي يستقدمه اليه على سفينة حربية فتعجب المترجم لهذه الدعوة وقال لعمري ما كنت أحسب ان الدهر ترك للشعر سوقاً رائجة. وأقام بتونس يدوّن بها جريدة «الرائد التونسي».

ومن جملة نظمه قصيدة مدح بها السلطان عبد المجيد ابان الحرب بينه وبين دولة روسيا تزيد على المائة والثلاثين بيتاً قال في مطلعها:

الحق يعلو والصلاح يعمرُ والزور يمحق والفسادُ يدمرُ
ومنها من كان من بين الورى سلطانه عبد المجيد فإنه لمظفر
من جوهر الاخلاص صور ذاته رب قدير كيف شاء يصور
ولاه امر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتأمر

فسرّت جلالة السلطان بهذه القصيدة واوعزت اليه بالقدوم الى الآستانة، وكان قد شخص الى تونس فولاه الباي احسن منصب فأسلم وسُمّي احمد فارس الشدياق فطلبه الصدر الاعظم من الباي فقدم الى الاستانة فتولى تصحيح الطباعة العامرة سنين.

وفي سنة ١٢٧٧هـ (سنة ١٨٦١م) انشأ جريدة «الجوائب» الشهيرة وأجاد في انشائها وسبكها فأقبل عليها الجمهور وكثر المشتركون فيها في الهند وفارس والعراق وبلاد العرب ومصر وسورية والمغرب، واقتطف ابنه سليم منها كتاباً يسمى «منتخبات الجوائب» وقضت الاحداث بالغاء الجوائب سنة ١٨٨٤م وما زال عاكفاً على التأليف والتصنيف الى آخر ايامه. وسار قبل وفاته الى مصر فلقي بها كل تجلة واكرام من الخديوي ووزرائه وكبراء القوم وعلمائهم، ونعلم عن رسالة كتبها الى احد انسبائه انه كان ينوي العود الى لبنان موطنه ليموت بين اهله ومواطنيه وابناء ملته، فألجئ الى العود الى الآستانة حيث وافته المنية، وأوصى أن تنقل جثته الى لبنان ويدفن بالقرب من ابنائه فدفنت في الحازمية على مقربة من الحدث موطنه سنة ١٨٨٧م.

اما مؤلفاته فمنها:

١- «سر الليال في القلب والابدان» وهو كتاب في اللغة قصد به بيان مدلولات الاسماء والافعال من قلبها او تبديل بعض أحرفها وكشف اسرار معانيها واستدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل. طبع بالآستانة سنة ١٢٨٤هـ وقد اهدى إلي نسخة منه عند وجودي بالآستانة بمعية الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م.

٢- «الجاسوس على القاموس» انتقد به الفيروزبادي في قاموسه المحيط ضمنه افادات كثيرة لغوية، وترجمات صاحب القاموس وصاحب العباب والصحاح والمحكم ولسان العرب، وانتقد القاموس من جهة عبارته وخطته ومعاني الفاظه واشتقاقها الى غير ذلك.

٣- «كشف المخبا عن فنون اوروبا» وتقدم ذكره.

٤- «الواسطة في احوال مالطة» وتقدم ذكره ايضاً.

٥- «اللفيف في كل معنى ظريف» جمع فيه كلمات مفيدة وحكماً مأثورة وأمثالاً وحكايات ونكتاً لغوية.

٦- «غنية الطالب ومنية الراغب» في التصريف والنحو.

٧- «الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية» و«المحاورة الانسية في اللغتين العربية والانكليزية».

٨- «السند الراوي في الصرف الفرنساوي».

٩- «الساق على الساق في ما هو الفرياق». يريد بالفرياق فارس الشدياق وليته لم يكتب هذا الكتاب لأنه أورد به الفاظاً وحكايات وعبارات اراد بها المجون، لكنها تجاوزت حدود الأدب ويأبى الاديب مطالعتها. ولم يكن له من المفيد في هذا الكتاب إلا جمعه الالفاظ المترادفة ومجموعات اسماء كل موضوع على حدة كأسماء الآلات والمأكولات والمشروبات والمفروشات والحلى والجواهر واوصاف الرجال والنساء الى غير ذلك.

عد ١١٢٢

الكونت رشيد الدحداح

هو ابن الشيخ غالب بن سلوم الدحداح ولد سنة ١٨١٣م في قرية عرامون بكسروان وأحسن والداه تربيته فأقاما له الشماس نهرا مراد (هو الذي صار بعداً

المطران نقولا مراد) معلماً فكان يهذبه ويعلمه مع اخويه خليل وعباس (الذي ارتقى الى اسقفية دمشق وسمي نعمة الله) ثم ارسله والده الى مدرسة عين ورقة فتعلم بها اصول العربية والايطالية ثم دخل مدرسة بزمار للارمن الكاثوليكيين فأتقن اللغة التركية. وفي سنة ١٨٣٨م ادخله الامير امين ابن الامير بشير الكبير في كتبة ديوان أبيه فأقام هناك سنتين ولما ابعد الامير بشير الى مالطة رجع الشيخ رشيد الى بيته بعرامون ولما تولى عمر باشا لبنان سنة ١٨٤٢م قرّب اليه الشيخ رشيد وولاه نظارة البكاليك بلبنان فلم يمكث طويلاً إلا وكان ما دفعه الى ترك هذه النظارة. وفي تلك الاثناء قبض بعض خصومه على رسول له كان قد سيره الى البطريرك يوسف حبيش برسائل ذات بال، فنزل ببعض اقاربه ورجالهم الى غزير فأنفذ رسوله واسترد رسائله وكان حينئذ ما مر ذكره من القتال بين المشايخ الحبيشية والدحادحة فاضطر أن يفرّ ويختبئ الى أن ظهر بين الساعين بنصب الامير اسعد قعدان شهاب والياً على لبنان، وعين مدبراً لاعماله سنة ١٨٤٣م. ولما لم يقبل عمر باشا تولية الامير اسعد تشتت شملهم وفر الشيخ رشيد الى صيدا حيث أقام سنتين منصباً على درس الفقه وتوسطت سفارة فرنسة لدى الباب العالي فصار الصفح عن المشائخ آل الدحداح فرجعوا الى اوطانهم ورجع الشيخ رشيد الى عرامون.

ولما عاد الشيخ مرعي الدحداح من مرسيليا الى لبنان صحب معه حين عودته الى مرسيليا الشيخ رشيد وجعله كاتباً في محل تجارته وزوجه ابنته مرتا. وفي سنة ١٨٥٢م ترك محل تجارة عمه وأنشأ محلاً تجارياً بفرنسة ثم محلاً في انكلترا، واستدعى اخاه الشيخ سلوماً ليعاونه بتجارته. وكان مع انهماكه في المشاغل التجارية يعكف آونة الفراغ منها على التأليف والتصنيف فطبع سنة ١٨٤٩م «قاموس المطران جرمانوس فرحات» بعد أن هذبه وزاد عليه وسمى كتابه «احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب». ثم طبع ديوان الشيخ عمر بن الفارض مع شرحين عليه احدهما للشيخ عبد الغني النابلسي والثاني للشيخ حسن البوريني جامعاً بينهما. ثم انشأ في باريس جريدته المشهورة «برجيس باريس» و« وأنيس الجليس». وله فيها المقالات الخطيرة الرنانة. ومما نشره فيها قصيدة رنانة في العاهل نابوليون الثالث مطلعها:

ماذا على المتطي أعلى ذرى الدول   حتى يفوق كرام الأعصر الأُوَل

ونشر ايضاً مجموعة اشعار حكيمة لأشهر شعراء العرب سماها «طرب المسامع في الكلام الجامع». وقد تقرّب الى سمو باي تونس فجعله ترجماناً له في مدة زيارته لفرنسة، وسعى له بقرض عاد على الباي بمنافع فتكرّم عليه بمبلغ عظيم جعله له مكافأة على اتعابه. وللشيخ رشيد في مدحه قصيدته اللاميّة المشهورة ومطلعها:

بانت سعادتنا والفتح مكفولُ   باسم المليك فلا تلهيك عطبول

وفي سنة ١٨٦٤م عاد الى فرنسة واستوطن باريس وامتلك قصراً في الشانزاليزا حل به سنة ١٨٧٦م الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد والمطرانين يوحنا الحاج وبطرس البستاني وشقيقه الخوري نعمةالله والخوري يوحنا الحبيب، وهذا الكاتب، الى غيرنا من الخدم والحشم. وفي تلك السنة انعم عليه السعيد الذكر البابا بيوس التاسع بلقب كونت روماني، وعلى بكر انجاله وسلالته من بعده. وفي سنة ١٨٧٥م اشترى بلدة دينار على شاطئ بحر المانش وأجال فيها يد العمارة واوصل اليها السكة الحديدية فصارت كبيرة وزادت قيمتها على ثمنها اضعافاً كثيرة فصارت ثروة طائلة.

ومن منشوراته ومؤلفاته ايضاً كتاب «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي طبعه بباريس سنة ١٨٦١م ثم طبع بمصر سنة ١٢٨٤هـ بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٥م في بيروت. وكتاب عنوانه «قمطرة طوامير» ضمنه مقالات ادبية وفوائد لغوية. وله كتاب كبير في عدة مجلدات لم يطبع سماه «السيار المشرق في بوار المشرق» نقل عنه نتفاً في كتابه قمطرة طوامير. وقد تلا عليَّ المجلد الثاني منه سنة ١٨٧٥م إذ كنت بباريس فعجبت منه كثيراً وهو في العرب ومن تنصر منهم ومناظراتٍ مع علماء التفسير من المسلمين وكلام في ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه. وله ايضاً رسالة في فن المناظرات نحو خمسين صفحة عنوانها: «تروح البال في القلم والمال». وقد أدركته المنية في ٥ أيار سنة ١٨٨٩م وهو في السادسة والسبعين من عمره الذي صرفه في خدمة الدين والعلم والاعمال الخطيرة.

عد ١١٢٣

ابراهيم بك النجار

هو ابن خليل النجار من دير القمر ولد سنة ١٨٢٢م بدير القمر ولما شخص الدكتور كلوط بك رئيس اطباء العساكر المصرية الى لبنان ورأى افتقار اهله الى اطباء نال من محمد علي باشا الرخصة بقبول بعض شبان سوريين يدرسون الطب في مدرسة قصر العيني بمصر، فانتخب الامير بشير الكبير ابراهيم بك المذكور وأرسله الى هذه المدرسة سنة ١٨٣٧م، فتلقى الدروس الطبية فيها بجدّ ونجاح حائزاً قصبات السبق بين أقرانه ونال الشهادة المعتادة في سنة ١٨٤٢م، واستأذن بالعود الى بلاده فأذن له به لكنه سافر من اسكندرية الى ازمير ليعود الى لبنان. وإذ كان الامير بشير الكبير انتقل حينئذ الى الآستانة فآثر أن يسير اليها قبل عوده الى لبنان ليشاهد من ربي بنعمته ويقضي الوطر بزيارة عاصمة السلطنة. فسار وقبله الامير بشير بالبشاشة والاكرام وامر بافراد منزل له في داره وكان في تلك الاثناء أن توفق الى اخراج حصاةٍ من رجل رومي وزن الحصاة خمسة واربعين درهماً فكان ذلك وسيلة لتعرفة باريس الأطباء بالآستانة. ونال من كلية الطب الدكتوراه بعد الامتحان، واقام مدة في الآستانة يمارس المعالجات مع اطباء المدرسة وأتقن في هذه المدة اللغتين التركية والفرنسية. ثم عين في جملة الاطباء العسكريين براتبٍ كافٍ، فأقام على ذلك اربع سنين وانعمت عليه الحضرة السلطانية برتبة سرهزار اي رئيس ألف، وأمرت بأن تكون خدمته في الآستانة العلية، فاسترحم أن يعفى من الخدمة في دار السعادة فصدرت الارادة بأن يكون طبيباً اولاً للعساكر ببيروت، فباشر صناعته للعساكر وعامة الناس بنجاح وشهرة لا ينساها الكثيرون، ويتذكرون ما كان عليه من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق وحب عمل الخير وفصاحة اللسان. وله من التآليف كتاب: «مصباح الساري ونزهة القاري» طبعه على نفقته ببيروت سنة ١٢٧٢هـ (سنة ١٨٥٨م) تكلم فيه عن اسفاره والسلاطين العثمانيين الى السلطان عبد المجيد خان، ووصف الآستانة ورتب الدولة ودخلها وخرجها. وله ايضاً كتاب سماه: «هدية الأحباب وهداية الطلاب» تكلم فيه في بعض المبادئ الطبيعية. وتوفي سنة ١٨٦٠م ولم نظفر بمعرفة سنة وفاته.

الفصل الثالث

بطاركة الموارنة ومن رقوهم الى الاسقفية في هذا القرن

عد ١١٢٤
البطريرك يوسف التيان

فرغنا من كلامنا في تاريخ القرن الثامن عشر على بطاركة الموارنة بذكر وفاة البطريرك فيلبوس الجميل وانتخاب البطريرك يوسف التيان خلفاً له في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م وتثبيت البابا بيوس السادس له في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م. ونقول الآن ان يوسف التيان ولد ببيروت وأرسله البطريرك يوسف اسطفان الى مدرسة الطائفة برومة فتخرج بها باللغات والعلوم السامية، وفاق اقرانه ورقي الى درجة الكهنوت. وفي سنة ١٧٨٤م أجمع رأي البطريرك يوسف اسطفان ومطارين الطائفة واعيانها على أن يرسلوه الى رومة نائباً عن الطائفة لقضاء حاجاتها ولاسيما عود البطريرك يوسف اسطفان الى مقامه البطريركي الذي كان قد وقف عنه. وفي خزائن اوراق البطريركية المارونية رسالة من الشيخ سعد الخوري الى الكردينال كرسيني جواب له عن رسالة أوصاه بها بالخوري يوسف التيان. فالشيخ المذكور يجيبه عنها بأنه عند وصول الخوري المشار اليه الى لبنان أبدى له كل مساعدة احتراماً لتوصاة نيافته ولاستحقاق هذا الكاهن نظراً الى اخلاقه وعلومه وسلوكه فانه جذب اليه محبة الجميع. ويكفي بياناً لذلك ان طائفتنا المارونية لم تجد اجدر منه للنيابة عنها امام الكرسي الرسولي فانتدب لذلك باجماع الرأي وبشكر لعناية نيافته التي جعلت مدرستنا تربي اشخاصاً نظيره وليت جميع تلامذتها يكونون مثله. فأتمّ الخوري يوسف التيان وفادته الى رومة وقضى وطر الطائفة على احسن حال

وبأسرع زمان وعاد الى لبنان مصحوباً بالأوامر الرسولية لرد البطريرك الى مقامه وكرامته.

وفي ٦ آب سنة ١٧٨٦م رقاه البطريرك يوسف اسطفان الى الاسقفية على دمشق فدبر هذه الابرشية سنتين ثم استقال منها وجعل نائباً بطريركاً في الروحيات، وسلمت ابرشية دمشق الى المطران ميخائيل الخازن سنة ١٧٨٨م. ولما توفي البطريرك فيلبوس الجميل اجتمع الاساقفة في دير بكركي فانتخبوا المطران يوسف التيان بطريركاً في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م، فأرسل القس لويس بليبل الراهب اللبناني (الذي صار بعداً اسقفاً على قبرص سنة ١٧٩٨م) الى الحبر الروماني مستمداً التثبيت فأناله إياه البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م، فأقام يدبر البطريركية بغيرة لا يدانيها ملل متحملاً هذا العبء الثقيل طامعاً بالاجر المؤبَّد.

وفي سنة ١٧٩٩م كانت مناقشة بينه وبين المطران جرمانوس آدم الملكي الكاثوليكي مدارها على السلطة المطلقة للحبر الروماني على الاساقفة ولو مجتمعين، فكتب البطريرك الى المطران ثلاث رسائل بيَّن بها صراحة صحة آرائه ورهن رأي معارضه، وقد جمعت الرسائل الثلاث مع بعض شروح في كتاب لم يطبع واعرف منه نسختين احداهما في مدرسة مار يوحنا مارون طالعتها سنة ١٨٥٧م وأنا مدرس لتلامذه هذه المدرسة والأخرى في البطريركية في بكركي.

ان البطريرك يوسف التيان كان يؤثر العيشة بالنسك والزهد والانفراد على اعباء البطريركية ويرغب في العزلة متفرغاً لعبادة الله ومسؤولاً عن نفسه لا عن نفوس الطائفة جمعاء، وزاد في اضرام رغبته هذه معاكسة بعض الأساقفة لبعض رغائبه الخيرية واستمالوا اليهم بعض اصحاب الامر فاغتنم هذه الفرصة وسيلة لنوال بغيته فاستقال من البطريركية سنة ١٨٠٩م ولزم العيشة النسكية في دير القديس يوحنا مارون (الذي صير بعد ذلك مدرسة)، وفي دير قنوبين. ويروون عنه في نسكه اخباراً معمرة يقتدي بها الى أن أدركته المنية في دير قنوبين في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠م ودفن في مدفن البطاركة اسلافه حذاء مغارة القديسة مارينا. وقد تلا على المرحوم المطران بولس مطران طرابلس تاريخاً لوفاته بها، وقال اليَّ إنه من نظم اسعد الشدياق فحفظه عنه وهو مخمساً:

يا شعب مارون الجليل المنقذِ   بالله ما للترب نشراً قد شذي
فأجابني مسترجعاً بتعوذِ   هذا ضريح العالم الفرد الذي
أضحت به أحبارنا تتباهى

فسطا المنون على ذخيرة ملكنا   وخبا بهذا الرمس معدن سبكنا
من حق مَن احشائنا ان يسكنا   يوسف فريد العصر بطريركنا
فخر الأئمة مجدها وبهاها

فالدرس مندرس الطريقة بعده   إذ خص في علم الحقيقة وحده
ولنشره في العمر افنى جهده   وبكت له العلياء تندب بعده
حزناً كيعقوب وتصرخ اها

سهم المنية صح فيه رشقها   وبدمع أعينها السخية شرفها
وبظلمة دجناء أمسى شرفها   والبيعة الغرّاء أظلم أفقها
وجدا وقد ارخت غاب ضياها

١٨٢٠

وأما الاساقفة الذين رقاهم التيان فهم:

١- القس يوسف بليبل من ساقية المسك رقاه الى اسقفية قبرص في ١٢ آذار سنة ١٧٩٨ ودعي عبدالله، وتوفي سنة ١٨٤٢ بكرسيه المعروف بدير مار شليطا بقرنة شهوان ودفن هناك.

٢- الخوري جرمانوس ثابت من بيروت رقاه في ٨ ايار سنة ١٨٠٠ الى الاسقفية على الكرسي البطريركي وبلاد جبيل والبترون وكان اخا البطريرك لأمه. ولما كانت ترقيته الى الاسقفية ببلاد جبيل والبترون مخالفة للقوانين لأن مطرانها بولس اسطفان كان حياً امر الكرسي الرسولي بعزل المطران جرمانوس عن

هذه الابرشية ورد المطران بولس اليها ولكن لما توفي المطران بولس انتخب المطران جرمانوس لتدبير هذه الابرشية فسلمها اليه البطريرك يوحنا الحلو في ١٠ آذار سنة ١٨١٠م فدبرها الى أن توفي في ١٤ حزيران سنة ١٨٣٣م في مدرسة مار يوحنا مارون ودفن فيها.

٣- القس جرمانوس حوا من حلب رقاه الى اسقفية هذه المدينة في ١ تموز سنة ١٨٠٤م ثم توفي في ١٣ حزيران سنة ١٨٢٧م.

٤- الخوري انطون الخازن من درعون رقاه في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٠٥م الى اسقفية الناصرة ثم تسلم ابرشية بعلبك سنة ١٨٠٨م وتوفي في ١٨ شباط سنة ١٨٥٨م في دير بقلوش ودفن في كنيسته.

عد ١١٢٥

البطريرك يوحنا الحلو

أصله من قرية غوسطا بكسروان انضوى الى احدى الرهبانيات ورقي الى درجة القسوس ثم رقاه البطريرك يوسف اسطفان في ١٦ آب سنة ١٧٨٧م الى اسقفية عكا وجعله نائباً بطريركياً في الزمنيات. وعند انتخاب البطريرك فيلبوس الجميل كان المطارين تسعة فاتفقوا على ترشيح المطران يوحنا الحلو والمطران فيلبوس الجميل ويقترع السبعة الباقون فمن أصابته أربعة أصوات كان البطريرك. فكانت الاصوات الاربعة للمطران فيلبوس الجميل فكان هو البطريرك كما مرَّ. وبعد ان استقال البطريرك يوسف التيان من البطريركية اجتمع الاساقفة في دير القديس يوسف بعينطورا فانتخبوا المطران يوحنا الحلو بطريركاً في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩م وطلب تثبيته من الكرسي الرسولي. ولما كان البابا بيوس السابع ممسكاً في سافونه بسبب الاضطهاد الذي جرى عليه أثبت انتخابه هناك في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠م، وكتب الى رئيس مجمع نشر الايمان أن يعلمه ذلك مؤجلاً تسليم الدرع والاحتفالات المعتادة الى زمن آخر، ولما عاد البابا الى رومة سنة ١٨١٤م أنفذ اليه درع الرئاسة واعمال التثبيت في ١٩ كانون الاول من السنة المذكورة. واما من كان موفد هذا البطريرك الى الحبر الروماني فأرى فيه اختلافاً فروى الطيب الذكر

البطريرك بطرس بولس مسعد في الدر المنظوم ان موفده الذي نال التثبيت على يده إنما هو القس ارسانيوس القرداحي. ويؤخذ عن بعض اوراق في سجل البطريركية ان موفده كان القس يوسف السمعاني الحصروني. ولا وقت لي الآن لأحقق اي الروايتين أحق بالاتباع. ومما كان في ايام هذا البطريرك من الامور الهامة انتقاله للسكنى بدير قنوبين منذ سنة ١٨١١م، واخذه في اصلاح املاكه واحواله بعد أن كان مهملاً لسكنى البطاركة في كسروان، ثم تحويل دير مار يوحنا مارون بكفرحي مدرسة خاصة لأبرشية جبيل والبترون سنة ١٨١٢م، وجعل دير مار مارون الروميّة بكسروان مدرسة عامة للطائفة سنة ١٨١٧م، وعقد مجمع لويزه سنة ١٨١٨م. وقد ذهب للقاء ربه ونيل اجر جهاده في ١٢ أيار سنة ١٨٣٢م في دير قنوبين ودفن في حائط الكنيسة الشمالي في مدفن صنعه لنفسه.

واما الذين رقاهم هذا البطريرك الى الاسقفية فهم:

١- الخوري خيرالله اسطفان ابن اخي البطريرك يوسف اسطفان رقاه في ١٨ شباط سنة ١٨١٠م الى اسقفية قورش ورئاسة مدرسة عين ورقة، وكان بعد البطريرك يوسف التيان أعلم اساقفتنا في عصره واشدهم غيرة وحمية، وكان له اليد الطولى في اقناع عمه البطريرك وعائلته بجعل ديرهم عين ورقة مدرسة للطائفة، وهو الذي عني بتحسين احوالها ونجاح تلامذتها وجعلته غيرته يتحمل المشاق في سبيل خير المدرسة والطائفة حتى اضطر أن يختبئ مدة، واستمر مجاهداً الى أن أدركته المنية في دير مار روحانا البقيعة في ٤ تشرين الثاني سنة ١٨٢٣م وأرّخ احد الشعراء وفاته بقوله:

لما رأيت المدرسة تنعي وفوها يشتكي
لفراق يوسف حبرها ذاك الغيور الناسكِ
ناديتها خنساء لن يلقى بكاؤكِ صخركِ
ورأيت عظم مصابها ارخت غابت شمسكِ

سنة ١٨٣٢

٢- الخوري اسطفان الدويهي الاهدني رقاه في ١٩ آذار سنة ١٨١٠م الى اسقفية عرقا وجعله نائباً له في الزمنيات، ثم اسقال من هذه النيابة وسلمت اليه اسقفية اهدن سنة ١٨١٣م واستمر عليها الى سنة ١٨٤٤م حين أدركته المنية وكان من تلاميذ مدرسة الموارنة برومة.

٣- الخوري مارون العضم من زوق ميكائيل رقاه في ٨ تشرين الثاني سنة ١٨١٤م اسقفاً على حماه وجعله نائباً له في الروحيات ودعي يوحنا مارون، وتوفي بزوق مكايل سنة ١٨٢٣م ودفن في كنيسة مار دوميط في القرية المذكورة.

٤- القس انطونيوس زوين من يحشوش رقاه في ٤ آب سنة ١٨١٤م الى اسقفية صور وجعله نائباً في الزمنيات، وتوفي في ٢٣ نيسان سنة ١٨٤٨م بدير حراش ودفن في كنيسة سيدة بكركي العليا حذاء جدارها الجنوبي.

٥- الخوري عبدالله البستاني من الدبية رقاه في ١٥ آب سنة ١٨١٩م الى اسقفية صيدا بمنزلة نائب فيها عن البطريرك لانها كانت ابرشية البطريرك، ثم صير اسقفاً شرعياً عليها في ٢٥ ايار سنة ١٨٣٧م، واخذ البطريرك يدبر ابرشية جبيل كابرشية خاصة له وتوفي المطران عبدالله البستاني في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨٦٦م.

٦- الخوري بطرس ابو كرم من بسكنتا في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٨١٩م على ابرشية بيروت وتوفي ببسكنتا في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٤٤م وهو من تلامذة مدرسة عين ورقة وله كتاب رد على «يونسكين والبروتستانت».

٧- الخوري يوسف جوان من ساحل علما رقاه في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م الى اسقفية طرابلس وهو الذي خلفه في البطريركية بعد وفاته.

٨- الخوري يوحنا نصر الناصري رقاه في ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٢٠م الى اسقفية الناصرة وسمي جبرائيل وتولى القضاء للنصارى بلبنان وتوفي بغزير سنة ١٨٣٨م ودفن في كنيسة السيدة فيها.

وقد رقي في ايام البطريرك يوحنا الحلو الاب لويس غندلفي العازاري القاصد

الرسولي الى الاسقفية، ولكن رقاه اليها البطريرك يوسف التيان سنة ١٨١٦م وتوفي سنة ١٨٢٥ بدير مار يوسف بعينطورا.

عد ١١٢٦
البطريرك يوسف حبيش

هو يعقوب ابن الشيخ جوان حبيش من ساحل علما بكسروان وتخرج بالعلوم بمدرسة عين ورقة ورقاه المطران انطون الخازن الى درجة الكهنوت في ٢٦ حزيران سنة ١٨١٤م على كنيسة مار جرجس بدير علما ودعي يوسف، ثم رقاه البطريرك يوحنا الحلو الى اسقفية طرابلس في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م ولما توفي البطريرك يوحنا الحلو في ١٢ أيار سنة ١٨٢٣م اجتمع الاساقفة في دير قنوبين وانتخبوه بطريركاً في ٢٥ ايار من تلك السنة، ونال التثبيت ودرع الرياسة من البابا لاوون الثاني عشر على يد وكيله القس باسيليوس ودروسون من رهبان الارمن الكريميين، فكان عاقلاً حازماً طاهراً دبر البطريركية اثنتين وعشرين سنة احسن تدبير واقدسه، وكان اول بطريرك من مدرسة عين ورقة وافرغ جهده في نجاح هذه المدرسة وتقدمها في العلوم، وعني بتحويل دير مار عبدا هرهريا مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨٣٠م، وكذا فعل بدير مار سركيس وباخوس بقرية ريفون سنة ١٨٣٢م، ثم جعل مدرسة الموارنة التي كانت بعينطورا ديراً للمرسلين اللبنانيين سنة ١٨٤٠م. ولما كانت الحرب الوطنية بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١م كابد من جرائها اتعاباً وخسائر لا تقدَّر. واشتهر بكرمه على الفارين والمعوزين ولما تجددت هذه الحرب سنة ١٨٤٥م كانت سبباً لموته كمداً وحزناً فتوفاه الله في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥م المذكورة في دير الديمان الذي انشأه فوق وادي قديشا حيث دير قنوبين ودفن في كنيسة قنوبين في مدفن سالفه البطريرك يوحنا الحلو.

اما الذين رقاهم الى درجة الاسقفية فهم:

١- القس نقولا موسى من جزين الراهب الانطونياني رقاه الى اسقفية طرابلس في

٢ آذار سنة ١٨٢٦م ودعي بولس، وسكن اولاً في دار الامير عبدالله شهاب بغزير ثم انشأ لنفسه كرسياً في قرية كرم سدة من جبة بشري كمله سنة ١٨٤١م، ودبر ابرشية طرابلس سبعاً واربعين سنة ونيفاً وتوفي في ٢٨ ايلول سنة ١٨٧٣م.

٢- القس بولس اروتين الحلبي رقاه الى اسقفية حلب في ١٣ أيار سنة ١٨٢٩م وتوفي بها في ٢٦ نيسان سنة ١٨٥١م.

٣- الخوري يوحنا رزق من جزين تلميذ مدرسة عين ورقة رقاه الى اسقفية قورش ورئاسة المدرسة المذكورة في ٣ أيار سنة ١٨٢٩م مع المطران بولس اروتين المذكور وسمي يوسف وتوفي في ٦ ك٢ سنة ١٨٦٥م وقد جدد اكثر بناء مدرسة عين ورقة وزاد في املاكها.

٤- الخوري يوسف الخازن من عجلتون رقاه الى اسقفية دمشق في ٦ نيسان سنة ١٨٣٠م وهو الذي خلفه بعد وفاته.

٥- الخوري نقولا جوان حبيش اخو البطريرك رقاه الى اسقفية حماه ودير مار جرجس علما في ٢٨ اذار سنة ١٨٤١م ودعي فيلبوس وتوفي في ٨ شباط سنة ١٨٥٧م في دير علما المذكور.

٦- الخوري بولس مسعد من عشقوت رقاه الى اسقفية طرسوس مع اخيه المطران فيلبوس في ٢٨ آذار سنة ١٨٤١م وجعله نائباً له في الروحيات وكاتباً لاسراره ومراسلاته مع الاوروبيين واعتمد عليه في مشاغله.

٧- القس طوبيا عون الراهب اللبناني من معلقة الدامور رقاه في يوم واحد مع اخيه والمطران بولس مسعد الى اسقفية عكا ثم سلمت اليه ابرشية بيروت سنة ١٨٤٥م وتوفي في ٢ نيسان سنة ١٨٧١م ودفن بكرسيه الذي انشأه بعين سعادة لسكناه وجدد ووسع بناء القلاية الاسقفية في بيروت، واقتنى املاكاً وافرة لكرسيه ساعدتنا بعد خلافتنا له سنة ١٨٧٢م على المشروعات التي قمنا بها بعون الله.

واما الخوري روفائيل غنطوس كوبا الحلبي الماروني فقد رقاه الكرسي الرسولي

بروما الى اسقفية ليفورنو في ١٠ تموز سنة ١٨٣٤م وتوفي هناك في ٣ ك[2] سنة ١٨٤١م.

٨- الخوري يوسف جعجع من بشري تلميذ عين ورقة وخوري الموارنة بدمشق رقاه في ٢٦ ك[1] سنة ١٨٤٣م الى اسقفية قبرص وتوفي في ١ تشرين الاول سنة ١٨٨٤م.

٩- الخوري نقولا مراد من عرامون بكسروان التمس البطريرك في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٨٤١م من البابا غريغوريوس السادس عشر أن يرقيه الى الاسقفية ليبقى يرقي تلاميذ الموارنة المتعلمين بروما الى الكهنوت، فرقاه الكردينال يعقوب فرنسوني رئيس مجمع نشر الايمان في ٥ ت[2] سنة ١٨٤٣م الى اسقفية اللاذقية، ثم توفي في ٢٧ ك[1] سنة ١٨٦٣م بدير الرهبان الحلبيين بروما ودفن فيه ثم نقلت جثته الى مقبرة القديس لورنسيوس بروما.

عد ١١٢٧

البطريرك يوسف الخازن

هو الشيخ شاس بن راجي بن بولس الخازن من عجلتون تخرّج بالعلوم بمدرسة عين ورقة وارتقى الى درجة الكهنوت ثم رقاه البطريرك يوسف حبيش الى اسقفية دمشق في ٦ نيسان سنة ١٨٣٠م فساس الابرشية بالدعة والحلم والمثل الصالح ولما توفي البطريرك يوسف حبيش في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥م بدير الديمان. اجتمع الاساقفة في دير ميفوق وانتخبوه بطريركاً في ١٨ آب سنة ١٨٤٥م وارتأوا أن يتوجهوا الى دير الديمان ليشهروا انتخابه ويرقوه المقام البطريركي هناك، وكان اكثر الاعيان والمشايخ في بلاد جبيل والبترون وجبة بشري يؤثرون المطران بولس مسعد النائب البطريركي على المنتخب ولم يكونوا يعلمون ان الانتخاب قد تم. فأقبل حشد كبير من اهل بشري الى الديمان بعد وصول المطارين اليه قاصدين عمل مظاهرات يحملون المطارين بها على انتخاب من يؤثرون، ومن شيمة الجمهور أن لا يقف على حد ما يختطه لهم العقلاء فاتصل بعض الجهلة الى اهانة بعض المطارين

والكهنة والخدم فقام المطارين من الديمان وأتوا الى كسروان وهناك اكملوا حفلة الترقية للبطريرك وكتبوا الى الحبر الروماني يسألون تثبيت منتخبهم، فاثبته البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٩ ك٢ سنة ١٨٤٦م على يد وكيله المطران نقولا مراد، وعاد في الصيف الى دير كرسيه في الديمان فاستقبله الجميع ولاسيما أهل بشري بالاجلال والاحتفاء، ولقيهم البطريرك بحنان ابوي فكان حلم البطريرك وطاعة الاهلين متساويين باستحقاق المدح والثناء. ودبر هذا البطريرك الطائفة بروح الرب والدعة والمحبة الأبوية نيفاً وتسع سنين وانتقل الى لقاء ربه ونيل الثواب لفضائله في ٣ من تشرين الثاني سنة ١٨٤٥م في الديمان ودفن في الضريح الذي دفن به سالفاه البطريرك يوحنا الحلو والبطريرك يوسف حبيش.

ولم يرقِّ هذا البطريرك الى الاسقفية إلا كاهنين الاول القس اقليموس الخازن رقاه في ٢ نيسان سنة ١٨٤٨م الى اسقفية دمشق خلفاً له ودعي اسطفان وتوفي في ٨ ك١ سنة ١٨٦٨م والتاني القس بولس جرجس مطر من حلب رقاه الى اسقفية هذه المدينة في ٢٨ ايلول سنة ١٨٥١م وسمي يوسف.

عد ١١٢٨
البطريرك بولس مسعد

هو بولس بن مبارك مسعد من عشقوت يتصل نسبه بالشدياق خاطر الحصروني حاكم جبة بشري، ولد بولس سنة ١٨٠٦م في قرية عشقوت وأرضعه والداه لبن التقى والبرارة وتخرّج بالعلم مدة على العالم الفاضل الخوري انطون عريضة من بشري إذ كان يعلم بعض الطلبة في مدرسة الموارنة في عينطورا، ثم دخل مدرسة عين ورقة واتقن فيها اللغات السريانية والعربية والايطالية واللاتينية وبعض العلوم ولما رأى البطريرك يوسف حبيش ما منَّ الله به عليه من الذكاء وتوقد الذهن والتقى أرسله الى رومة ليتم سائر علومه الكنسية في مدرسة مجمع نشر الايمان المقدس اذ كانت هذه المدرسة تقبل بعض الطلبة الموارنة وتنفق عليهم مما بقي من الدخل لمدرسة الموارنة برومة فأكمل في هذه المدرسة دروسه الفلسفية

واللاهوتية وما يلحق بها وفاق على أقرانه محرزاً رضى رؤسائه وعجبهم مما جمّله الله به من الذكاء والتقى، وارتقى الى درجة الكهنوت وعاد الى لبنان سنة ١٨٣٠م فأمسكه البطريرك يوسف حبيش عنده وجعله كاتبه وسلم اليه كل اوراقه اللازم حفظها، واعتمد عليه في مشاغله كلها وكان مجيباً الى رغائب البطريرك مجتهداً في خدمته اميناً على اسراره فزاد توقير البطريرك له وعظم ميل الناس اليه ومحبتهم له، فرقاه البطريرك في ٢٨ آذار سنة ١٨٤١م الى اسقفية طرسوس شرفاً وجعله نائباً له في الروحيات مكافأة له، فازداد جهاداً في خدمته وإخلاصاً وأمانة لمخدومه، فكان للبطريرك يوسف حبيش كاليد اليمنى الى أن انتقل هذا البطريرك الى حياة الأبرار في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥م.

ولما اجتمع الاساقفة في ميفوق لانتخاب خلف له كان المترجم مرشح أكثريتهم ومحل آمال غالب الأعيان والوجوه على ان حالة البلاد القلقة حينئذ بسبب الحرب بين النصارى والدروز جعل الاساقفة يتحازون وهو مقدامهم الى انتخاب المطران يوسف الخازن أملاً بأن جاه أقربائه وسلطتهم حينئذ تعاون على ظفر النصارى فانتخبوه وابقى المطران بولس مسعد على نيابته الى أن توفّاه الله في ٣ ت٢ سنة ١٨٥٤م فاجتمع الاساقفة في بكركي وانتخبوا صاحب الترجمة بالصوت الحي واجماع الرأي خلفاً في ١ ت٢ في السنة المذكورة، وأرّخ المرحوم مارون النقاش وفاة السلف وانتخاب الخلف بقوله:

في أفق كرسي انطاكية عجبٌ ... بدرٌ توارى وبدرٌ فوق سدتهِ
ان غاب ذاك واضنانا بغيبتهِ ... قد ناب هذا وأشفانا بنوبتهِ
دعا الله لذاك المصطفى خلفاً ... ارخت بولس مختار لدعوتهِ

سنة ١٨٥٤

ونال التثبيت ودرع الرئاسة من البابا بيوس التاسع في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥م على يد وكيله القس امبروسيوس نطين الدرعوني الراهب الحلبي اللبناني واقام يدبر الطائفة بحكمة وسداد وغيرة، وعقد في سنة ١٨٥٦م مجمعاً طائفياً في دير

بكركي سنأتي على ذكره. واشتهر في سنة ١٨٦٠م بحنانه على الفارين من جنوب لبنان لسبب احداث لبنان وإنفاقه عليهم مبالغ طائلة على اختلاف طوائفهم وعقب ذلك الاحداث المعروفة بحوادث يوسف بك كرم فاشتهر فيها بحكمته ودرايته وحسن سياسته.

وقد سافر سنة ١٨٦٧م الى رومة لدعوة الحبر الروماني له للاحتفاء بالعيد القرني للقديسين الرسولين بطرس وبولس واعلان تطويب بعض الشهداء، وكنت بخدمته في سفره، وبعد عودتنا منه شهرت كتابي الموسوم بـ«سفر الاخبار في سفر الاحبار» جمعت فيه تاريخ المدن التي مررنا او أقمنا بها، واستوعبت شرح الحفلات التي كانت بأم المدائن حينئذٍ ووضعت ثلاث نبذ تاريخية: الاولى في رومة والرومانيين والثانية في تاريخ فرنسة والثالثة في القسطنطينية ومن ملك فيها من الملوك والسلاطين. وقد سافر البطريرك من رومة الى باريس وتشرف بمقابلة نابوليون الثالث ونال من مكارمه كل تجلّة وتكريم وكنت في جملة حاشيته بهذه المقابلة، ثم سار الى القسطنطينية وغمرته حينئذٍ ومن كان بمعيته من الاساقفة والكهنة نعم السلطان الاعظم السلطان الغازي عبد العزيز خان فأنعم بالمثول لديه على البطريرك وحاشيته وهذا الحقير في جملتهم، فكان ذلك في ١١ ايلول سنة ١٨٦٧م حين تلا البطريرك دعاء حميماً لجلالته بالعربية وترجمة فرنقو افندي (الذي سمي بعدئذ حاكماً للبنان) الى التركية. ولما كان قد سبق التكرم على البطريرك بالوسام المجيدي من الطبقة الاولى ولم تكن العادة أن يعطى البطاركة وقتئذٍ من هذا الوسام تكرّم جلالته على البطريرك بحقة عطوس من حجر ثمين مرصع بالالماس تساوي نحو اربعمائة ليرة، واحسن الى المطرانين بطرس البستاني ويوحنا الحاج وبولس افندي حوا الذي كان بمعية غبطته والكونت رشيد الدحداح بالوسام المجيدي من الرتبة الثالثة، وعلى الخوارنة نعمة الله الدحداح ويوحنا حبيب وهذا الكاتب ويوسف افندي حوا وسمعان افندي مسعد بهذا الوسام من الرتبة الرابعة، وعلى جبرائيل الشمالي خادم غبطته وبطرس يوحنا الخوري (الذي صار بعد كاهناً بهذا الاسم) وخليل يوسف (هو الخوري بطرس مارون) من الرتبة الخامسة ولم يكن لاحد البطاركة قبل هذا البطريرك ما كان من التجلة والتكريم له في الآستانة، فقد أعد له ولحاشيته دار من

أفخر الدور فيها لنزوله وأقيم فيها معبد مخصوص بأمر من الصدر الاعظم لمباشرة الفروض الدينية وعينت عربتان واربعة فرسان للسير بمعية غبطته ودفع من النفقة لمصروف غبطته ما زاد عليها كثيراً، بعد الاقامة بهذه الضيافة السلطانية ثلاثة وعشرين يوماً، وما ادراك ما الضيافة السلطانية! وسافر غبطته من الآستانة عائداً الى لبنان في ٢٣ ايلول سنة ١٨٦٧م وبلغ طرابلس في غرة تشرين الاول ثم صعد الى دير كرسيه بالديمان ولا حاجة الى ذكر ما كان من الملتقى الشائق والاحتفاء الرائق لغبطته بطرابلس ولبنان، وقد استمر على الكرسي البطريركي نحو ست وثلاثين سنة. وقد أدركته المنية في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠م وله من العمر نحو خمس وثمانين سنة وكان هذا البطريرك متسامياً بالفضائل والعلوم وقد خدمته نحو سبع عشرة سنة منها خمس سنين مدرساً لتلامذة المدرسة البطريركية المعروفة بمدرسة مار يوحنا مارون حيث كان يصرف كل سنة اشهراً، وكنت اقضي لديه في الديمان مدة العطلة واثنتا عشرة سنة كنت فيها كاتبه وامين اسراره وملازماً له في اشغاله فعرفته حق المعرفة وسبرت فضائله العميقة، فكان من الطهارة في اعلى درجاتها بل ربما كان حريصاً على عفته اكثر مما يجب الحرص، وكان من الورع والزهد في اقصى غايتهما وكذلك كان في سائر الفضائل، وكان يعترف عندي مرات فأحقق امام الله اني كنت أتلبك لأجد له مادة للحل. واما من حيث العلوم فكان بارعاً في كثير منها ولا سيما في اللاهوت ومعرفة القوانين البيعية والتاريخ وخاصة ما تعلق منه بالطوائف الشرقية ولاسيما طائفتنا المارونية فهو استاذي به، ولكني حتى الآن بمعزل عن لحاقه، وقد تفرد بقوة ذاكرته فقد اتفق مرات أن يذكرني بأمور طالعها من سنين عديدة ويهديني الى محلها فأجدها كما قال.

واما مؤلفاته فمنها كتابه الموسوم بـ«الدر المنظوم رداً على المسائل والأجوبة المعزوّة الى البطريرك مكسيموس مظلوم» مع الملحق به وقد طبع هذا الكتاب بدير طاميش سنة ١٨٦٣م بعد أن عهد اليّ بتنقيح بعض عباراته وكنت احب أن افصل فيه الفوائد التي لا تتعلق بموضوع الجدل في حواش اعلقها على ذيل الكتاب فلم يسمح لي بذلك خشية أن لا يحسن الطابعون تعليق تلك الحواشي. وله ايضاً كتاب في انبثاق الروح القدس من الآب والابن رد فيه على فتح‌الله مراش الحلبي

فأفحمه واعتنق الايمان الكاثوليكي. وهذا الكتاب طبع برومة وقد جمع شتات اوراق الكرسي البطريركي في هذه القرون الاخيرة فكان منه سجل كبير كأنه خزانة دراري. وله نبذة في تاريخ الاسرة الخازنية ومقالة في دوام بتولية العذراء ومقالات كثيرة في المدافعة عن حقوق الطائفة في بعض الاديار وعن المجمع اللبناني وعن حقوق البطريركية الى غير ذلك. وقد كان يجمع مواد لتكملة تاريخ الدويهي من سنة ١٧٠٤م الى ايامه، واعلم انه جمع اكثر المواد اللازمة لهذا التأليف وكان ينتظر فقط بعض افادات من حلب وقد سألته مرات وانا بخدمته ان يدفع لي تلك المواد لأتمم ما اعدها له بارشاده فلم يسمح الوقت بذلك، وبعد أن رقاني الى اسقفية بيروت كنت ارجوه أن يسلم تلك المواد لاحد ليصنعها ويجعل له فهرساً فقط وكان يسوفني بذلك الى ان قال لي في آخر ايامه رحمه الله انه ما عاد يعلم اين وضع تلك المواد لكننا نجدها بعد موته في المكتبة او في خزائن الاوراق.

اما الذين رقاهم الى الأسقفية:

١- الخوري يوسف المريض من زوق مكايل رقاه في ١٨ ايار سنة ١٨٥٦ الى اسقفية عرقا وجعله نائباً روحياً وتوفي بغتة في ٢٣ ت٢ سنة ١٨٨٦م.

٢- الخوري بطرس نادر البستاني من الدبية رقاه في ٢٨ ايلول سنة ١٨٥٦م الى اسقفية عكا وجعله اولاً معاوناً لعمه المطران عبدالله البستاني المار ذكره وبعد وفاته سنة ١٨٦٦م سلم اليه ابرشية صور وصيدا الى أن فاضت روحه الذكية وذهبت لتنال اجر جهادها في ٢ من ت٢ سنة ١٨٩٩م.

٣- الخوري بطرس مسعد اخوه رقاه الى اسقفية حماة شرفاً في ٢٧ شباط سنة ١٨٥٩م وجعله نائباً زمنياً له وتوفي بغتة سنة ١٨٨٥م.

٤- الخوري يوحنا الحاج من دلبتا رقاه في ١٥ آب سنة ١٨٦١م الى اسقفية بعلبك وهو الذي خلفه في البطريركية وسيجيء ذكره.

٥،٦،و٧- في ١١ شباط سنة ١٨٧٢م رقّى الخوري نعمة الله الدحداح الى اسقفية دمشق والخوري يوسف فريفر الى اسقفية اللاذقية شرفاً ورقاني انا الحقير الى اسقفية بيروت، وتوفي المطران نعمةالله في ٣ تشرين سنة ١٨٩٠م والمطران يوسف فريفر في ٨ شباط سنة ١٨٨٩م.

٨- الخوري اسطفان عواد رقاه في ١٥ك[١] سنة ١٨٧٨م الى اسقفية طرابلس.

٩و١٠- في ١٥ آب سنة ١٨٨٢م رقى الخوري يوسف جبرائيل الزغبي الى اسقفية قبرص والخوري يوسف سركيس مسعد ابن عمه الى اسقفية عكا شرفاً.

١١- الخوري بولس حكيم من حلب رقاه في ١٦ تموز سنة ١٨٨٥م الى اسقفية هذه المدينة.

١٢ الى ١٥- في ١٤ ك[١] سنة ١٨٨٩م رقى الخوري يوحنا حبيب الى اسقفية الناصرة شرفاً والخوري الياس الحويك الى اسقفية عرقا شرفاً ونائباً روحياً والخوري يوسف نجم على عكا نائباً زمنياً والخوري بولس مسعد ابن اخيه على حماه شرفاً وسلمت اليه بعد وفاة المطران نعمةالله الدحداح ابرشية دمشق سنة ١٨٩٠م. وتوفي المطران يوحنا جبيب في ٤ حزيران سنة ١٨٩٤م واما المطران امبروسيوس نطين الدرعوني فرقاه الكردينال فرانكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس سنة ١٨٧٥م باجازة البطريرك.

عد ١١٢٩
البطريرك يوحنا الحاج

هو ابن الخوري يعقوب الحاج من قرية دلبتا ولد بها سنة ١٨١٨م ويتصل نسبه بالشدياق خاطر الحصروني المذكور مراراً ودخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٣٠م، واتقن فيها اللغات السريانية والعربية واللاتينية والايطالية ثم العلوم الرياضية والفلسفية واللاهوتية فنبغ في جميعها، وقد رقي الى درجة الكهنة واتقن علم الفقه وتولى القضاء اولاً برفقة الخوري يوحنا حبيب، فكانا يقضيان في دعاوى النصارى خارجاً عن المحكمة. وبعد أن استقال الخوري يوحنا حبيب من القضاء في محكمة قائمقامية النصارى في ١٣ ت[١] سنة ١٨٥٥م عهد اليه بالقضاء فيها، وكان مثالاً للعفة والاستقامة والامانة، ولما كان ما كان من الحرب الاهلية سنة ١٨٥٩م وسنة ١٨٦٠م وجرى الصلح على طريقة مضى ما مضى تمنع من التوقيع على صك الصلح ولم يثن عزيمته وعد ولا وعيد. وفي ١٥ آب

سنة ١٨٦١م رقاه البطريرك بولس مسعد الى اسقفية بعلبك خلفاً للمرحوم المطران انطون الخازن فتاجر بوزناته احسن تجارة وربح بها. ولم يكن لسالفه كرسي يقيم به بل كان مسكنه دير بقلوش المختص بأسرته، ولم يقتن لكرسي الابرشية عقاراً ولا خلّف مالاً فأخذ الاسقف الحديث يجدّ في انشاء كرسي لأبرشيته فشرى املاكاً وافرة ووفقه الله حتى اصبح كرسي بعلبك اغنى كراسي اسقفيات الموارنة وبنى لسكناه في قرية عرامون محلاً كافياً لاقامته به مع حاشيته، ولسكنى جمهور من التلامذة الاكليريكيين مع معلميهم. وبعد انتخابه بطريركاً خص الكرسي البطريركي ببعض الاملاك التي شراها ووقف بعضها الآخر على انشاء مدرسة عليا اكليريكية تقام بجانب البطريركية، وبقي لكرسي بعلبك ما يقوم بنفقة اسقفها، ومدرسة اكليريكية على سعة. وقد سافر مع البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م الى رومة وباريس والآستانة العلية كما مر. ولما توفي الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد في ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٠م خلفه مطران بعلبك الغيور ونال التثبيت ودرع الرئاسة على يد قاصده المطران الياس الحويك. ومن اعماله الخطيرة في بطريركيته تجديد دير بكركي على طرازٍ حديث حتى اصبح كقصر يعزله النظير، وقد سعى نائبه المطران الياس الحويك بارشاده، فنال تجديد مدرسة الموارنة برومة بفضل السعيد الذكر البابا لاوون الثالث عشر، ونال ايضاً من فضل حكومة فرنسة ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة يتعلمون بمدرسة سان سولبيس بباريس على نفقة حكومة فرنسة، واشترى في القدس داراً للموارنة يقيم بها نائب بطريركي يعتني بشؤون ابناء الطائفة المقيمين والمترددين الى هناك.

وقد نال من وسامات الشرف من عواطف سلاطيننا العظام الوسام المجيدي من الرتبة الثالثة حين زيارته بمعية البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م، ثم الوسام المجيدي من الرتبة الاولى اثر ارتقائه الى البطريركية، ثم العثماني الاول سنة ١٨٩٨م، وتوفاه الله في ٢٦ ك[١] سنة ١٨٩٨م ودفن في كنيسة كرسيه في بكركي.

اما الذين رقاهم إلى الاسقفية فهم:

١- الخوري نعمةالله سلوان احد المرسلين اللبنانيين رقاه الى اسقفية قبرص في ١٢ حزيران سنة ١٨٩٢م.

٢- وفي النهار نفسه رقى ابن اخته الخوري يوحنا مراد الى اسقفية بعلبك حلفاً له.

٣- الخوري فرنسيس الشمالي احد المرسلين اللبنانيين رقاه الى اسقفية حلب في ٢٦ ك[١] سنة ١٨٩٢م ودعي جرمانوس وتوفي سنة ١٨٩٥م.

٤- الخوري ارسانيوس انطون يوسف دياب من حلب رقاه الى اسقفية هذه المدينة في ٢٢ آذار سنة ١٨٩٦ ودعي يوسف.

٥- وفي النهار المذكور نفسه رقى القس يوسف دريان الراهب الحلبي اللبناني من عشقوت الى اسقفية طرسوس شرفاً.

٦- الخوري بولس راجي عواد من حصرون رقاه الى اسقفية الناصرة في ٢٤ ايلول سنة ١٨٩٦م.

٧- وفي النهار المذكور نفسه رقى الخوري يوسف اسطفان رئيس مدرسة عين ورقة الى اسقفية قورش ورئاسة هذه المدرسة.

عد ١١٣٠
البطريرك الياس الحويك

هو الياس بن الخوري بطرس الحويك ولد بقرية حلتا من عمل البترون في كانون الاول سنة ١٨٤٣م تخرّج اولاً بتعلم بعض اصول اللغتين السريانية والعربية في مدرسة مار يوحنا مارون، ثم دخل مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وأتقن فيها اللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية وبعض الرياضيات والفصاحة. ولما رآه البطريرك بولس مسعد متوقد الذهن ورع السيرة قوي الصحة ارسله الى مدرسة مجمع نشر الايمان المقدس برومة ليتم علومه فأقام بها الى سنة ١٨٧٠م حائزاً قصبات السبق على اقرانه في الدروس الفلسفية واللاهوتية ونال رتبة الملفان في

الفلسفة واللاهوت ورقي الى درجة الكهنوت وعاد الى لبنان سنة ١٨٧٠م، فأقامه البطريرك بولس مسعد استاذاً لتلامذة مدرسة مار يوحنا مارون. ولما رقاني الى اسقفية بيروت سنة ١٨٧٢م سألته أن يكون لي كاتباً فأسرَّ ان في نيته أن يجعله كاتباً له مكاني وكذلك صنع، فانه اتخذ الخوري الياس كاتباً وأميناً على اسراره فخدمه خدمة النصوح المتيقظ واحرز ثقته كاملة، وقام بأعباء وظيفته أحسن قيام، فأحبه الجميع وقدروه حق قدره وعظم البطريرك منزلته لديه وتفانى هو بخدامة رئيسه وطائفته بالاستقامة والنزاهة والدراية فرقاه البطريرك في ١٤ ك[1] سنة ١٨٨٩م الى اسقفية عكا مع المطارين يوحنا حبيب ويوسف نجم وبولس مسعد وجعله نائباً له في الروحيات فواصل خدمته الصادقة له الى وفاته. ولما انتخب المطران يوحنا الحاج الى مقام البطريركية سنة ١٨٠٩م ارسله الى رومة موفداً اياه الى الحبر الروماني يطلب التثبيت ودرع الرئاسة فناله له من لدنه، وبقي ساعياً بتجديد المدرسة المارونية برومة فغنم بذلك بنعمة البابا لاوون الثالث عشر. وسار الى فرنسة فأنعمت حكومتها بتعيين ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة من الابرشيات الثماني يتعلمون على نفقتها في مدرسة سان سولبيس بباريس وعاد الى لبنان سنة ١٨٩٢م معرجاً الى الآستانة حيث نال من تعطفات مولانا الاعظم احسن رعاية واحسن اليه بالوسام المجيدي من الرتبة الثانية والى مدرسة الموارنة برومة بعشرة آلاف فرنك، ثم سافر ثانية فشهد المجمع الاورشليمي في اورشليم سنة ١٨٩٣م مع المطارين اسطفان عواد ونعمة الله سلوان ويوحنا مراد وهذا الحقير. ثم سرنا جميعاً «إلا المطران نعمة الله» الى رومة لتهنئة البابا لاوون الثالث عشر بيوبيله الكهنوتي، وبعد قضاء فرض التهنئة نيابة عن الطائفة استمر المطران الياس في رومة يكمل مسعاه بتجديد المدرسة المارونية ثم سار الى فرنسة للاستعانة على هذا الغرض فدعاه الحبر الروماني ليشترك مع باقي البطاركة الشرقيين في مداولة قداسته معهم في شأن الكنائس الشرقية، وشرى حينئذ برومة المحل اللازم للمدرسة بما تكرم به امام الاحبار وما انعمت به الحضرة السلطانية وما جمعه المترجم وعاد الى لبنان وشرى داراً للبطريركية في القدس الشريف. وإذ لم تستقم إدارة المدرسة كما يحب الحبر الاعظم استدعى المطران الياس الى رومة وعهد اليه بادارتها واصلاح شؤونها وبقي هناك الى ٢٧ ك[1] سنة ١٨٩٨م إذ بلغه نعي

المثلث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج فسافر الى لبنان وبلغ الى بيروت ثم الى بكركي في ٥ ك٢ سنة ١٨٩٩م.

وفي اليوم التالي وهو ٦ من ك٢ عيد الغطاس اجتمعنا في الكنيسة وقدمنا الابتهالات لله ليلهم ما به مجده وخير الطائفة واقترع فأصابته القرعة ليكون بطريركنا. وفي الاحد التالي ٩ من الشهر المذكور اتممنا حفلة الترقية الى المنصب البطريركي وشمل الطائفة جمعاء مزيد البهجة والسرور بانتخابه واستبشروا بالخير والفلاح بعنايته، وعكف على تدبير شؤون الطائفة بخيرها بغيرة لا تعرف الملل معلماً بأقواله ومثاله عاملاً بكلية جهده ويشهد له الجميع حتى خصومه بالطهارة والقداسة والورع وصلاح النية والرغبة في كل خير لطائفته ولجميع الناس، وكاد ينجز الصرح العظيم الذي انشأه لكرسيه على مقربة من دير قنوبين وسماه جديدة قنوبين، وسيكون بعد تمامه عن قرب ان شاء الله افسح من الصرح الذي جدده سالفه في دير بكركي، فإياه تعالى نسأل أن يطيل عمره ويفيض عليه القوة من العلاء لخير الدين الكاثوليكي ونفع شعبه، ولم يرقّ الى الاسقفية إلى الآن إلا الخوري بولس بصبوص رقاه الى اسقفية صيدا سنة ١٩٠٠م وسلم اليه تدبير أبرشية صور ايضاً.

الفصل الرابع

ما عقده اساقفة الموارنة من المجامع في القرن التاسع عشر

عد ١١٣١
مجمع لويزة

في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨١٦م أنفذ البابا بيوس السابع براءة الى البطريرك يوحنا الحلو واساقفة الموارنة مفتتحة بقوله: «لما كانت الكنيسة كلها» وارسل اليهم مجمع نشر الايمان المقدس صحبة القس يوسف السمعاني المدبر الاول في رهبانيته الحلبية مرسوماً جل ما تضمنه الامر لهم بعقد مجمع طائفي يثبتون فيه منع الرهبان والراهبات عن السكنى في دير واحد وتعيين اديار لكل فريق منهم وتعيين محل يقيم به البطريرك وكراسي دائمة لكل اسقف في ابرشيته. فاجتمع البطريرك والاساقفة في دير السيدة بلويزة برئاسة السيد يوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي. وعقد المجمع الاول في ١٣ من نيسان سنة ١٨١٨م فأقاموا عرشاً في وسط الكنيسة وضعوا فوقه كتاب الاناجيل الطاهرة والصليب الكريم وجلس المجتمعون حول العرش المذكور كل بحسب رتبته ومقامه، وبعد استمداد عون الروح القدس تليت براءة البابا ومرسوم المجمع المقدس وأخذ الآباء في البحث اولاً في منع سكنى الرهبان والراهبات في دير واحد، فختموا بلزوم هذا الافتراق وعينوا لسكنى الراهبات سبعة اديار وهي: دير مار عبدا هرهريا، ودير سيدة الحقلة، ودير مار شليطا مقبس، ودير مار جرجس علما، ودير مار الياس بلوني، ودير مار جرجس بحردق الجديد. وعينوا لسكنى الرهبان العباد ستة اديار وهي: دير السيدة بمستيتا، ودير مار دوميط بغدراس، ودير مار روحانا بالبقيعة، ودير مار سركيس بريفون، ودير مار

انطونيوس بيقعاتا، ودير مار جرجس بحردق القديم. وعينوا للعابدات خمسة اديار وهي: دير مار يوسف الحرف، ودير مار يوسف الحصن، ودير مار موسى بيلوني، ودير مار انطونيوس بالكنيّسة، ودير السيدة بشويّا. وجعلوا دير مار جرجس بالرومية مدرسة اكليريكية عامة للطائفة، وسموها مدرسة مار مارون يتعلم فيها الطلبة الغراماطيق السرياني والنحو والصرف العربي وآداب هذه اللغة، ثم يرسلون الى مدرسة عين ورقة فيتعلمون المنطق والفصاحة والفلسفة واللاهوت النظري والادبي وارتأوا ان لا يقبل طلبة في عين ورقة لدرس اللغة السريانية والعربية وآدابهما، بل يدرس تلامذتها العلوم من الفصاحة والمنطق فصاعداً، وليت رأيهم هذا صار فعلاً. فالأصلح كثيراً أن تكون هذه المدارس الصغيرة ابتدائية وتكون مدرسة واحدة كبرى للعلوم السامية يجتمع فيها التلامذة الاكليريكيون من كل الطائفة.

ثم صير آباء المجمع في دير مار يوحنا بذكريت مدرسة خاصة بأبرشية قبرص خاضعة لمطران هذه الابرشية، وحتموا أن يكون سلوك الرهبان في اديارهم على ما خطه لهم المجمع اللبناني، وأن تسير الراهبات بموجب القانون الذي وضعه لهنَّ المطران عبدالله قرألي ما عدا اقامة الصلاة نصف الليل فقد عفاهنَّ منها، واما العابدات فيتدبرنَّ بحسب قانون سيؤلفونه لهنَّ.

وقد حتموا ايضاً أن لا يقام رئيس لأديار الراهبات بل ينصب الاسقف وكيلاً لتدبير املاك الدير يدبرها على مأثور رئيسة الدير ووكيلتها كما هو مرسوم بالمجمع اللبناني، وأن تكون دراهم الدير مسلّمة الى الرئيسة والوكيلة لا الى وكيل الاملاك، وانه يلزم تقديم حساب الدخل والخرج كل سنة لاسقف الابرشية، وأن تجتمع الراهبات مرة كل ثلاث سنين وينتخبن الرئيسة ومن دونها من اصحاب الوظائف في الدير، وأن يكون مرشدهنّ كاهناً ورعاً متقدماً بالسن مشهوراً بالعلم والسيرة الصالحة، ولا يسمع وكيل الاملاك اعترافهن إن كان كاهناً، ولا يعترض المرشد في شيء من أمورهنّ الروحية. وحتموا بالخصوص أن يكون وكيل على املاك دير حراش وأن يتعين لراهباته أبٌ روحي اي مرشد حسب قانونهنّ، وأمروا اخيراً أمراً جازماً تحت طائلة الحرم المحفوظ حلّه للاسقف بأن لا يترهب رجل في اديار الراهبات او العابدات ولا يسكن هناك راهب البتة ولو كان كاهناً إلا

الوكيل والمرشد وأن لا يدخل احدٌ اديارهن إلا بموجب رسم المجمع اللبناني. واما إقامة الصلاة في الخورس في اديار الراهبات القانونيات فقد عفوهن منها لعدم معرفتهن اللغة السريانية الى أن يتعلمن هذه اللغة، وأمروا أن تصلي الراهبات في الشبية والمسبحة ولا يسمح أن يقيم الصلاة في كنائسهن الرهبان او الكهنة من اية رتبة كانوا، وحتموا بأن لا تطلب دراهم من المرشحات الفقيرات لئلا يكون فقرهن سبباً مانعاً من دعوتهن الى الرهبانية، وأذنوا للرهبان المقيمين في اديار الاساقفة والمدارس بأكل اللحم لتكون المساواة في المائدة.

وكان لبعض العيال دعاوٍ على بعض الاديار والكنائس فعين آباء المجمع قضاة في هذه الدعاوى السيد يوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي والسيد يوسف التيان المستقيل من البطريركية والمطران يوحنا مارون العضم لينظروا في الدعاوى المذكورة ويحكموا بها ويعرضوا حكمهم على المجمع المقدس ليرى إذا كان مطابقاً للقوانين، وقد اقام هؤلاء القضاة بدير مار شليطا وحكموا بعدة دعاوى.

وقد نصب آباء المجمع وكلاء على اديار الراهبات الخوري يوسف اصاف في دير مار عبدا هرهريا، والخوري موسى ديب في دير سيدة الحقلة، والخوري فرنسيس شلالا بدير مار شليطا مقبس، والخوري اسطفان الخازن في دير السيدة ببقلوش، والخوري يواكيم نجيم في دير مار جرجس بعلما، والقس جرمانوس بدير مار الياس بلوني، والخوري حزقيال بدير مار جرجس بحردق. وأقاموا رؤساء على اديار الرهبان القس انطونيوس التحومي بدير مستيتا، والقس الياس بدير مار دوميط، والخوري موسى زوين بدير مار روحانا، وامر ابدال هؤلاء الوكلاء والرؤساء او عزلهم منوط برأي مطران الابرشية وهو يسهر على تصرفهم حتى إذا كانوا متغافلين او مذنبين عزلهم.

اما المجلس الثاني فعقدوه في ١٤ نيسان سنة ١٨١٨م وكان البحث فيه عن كراسي البطريرك والمطارين وصوبوا اقامة البطريرك يوحنا في كرسيه قنوبين، وامروا أن يكون دار الكنيسة في حلب مسكناً لاسقفها، ومدرسة مار يوحنا مارون مسكناً لاسقف جبيل والبترون، ودير مار سركيس وباخوس بريفون مقاماً لاسقف بعلبك، ودير مار انطونيوس ببقعاتا كرسياً لابرشية دمشق، ومدرسة قرنة شهوان

كرسياً لابرشية قبرص، ودير مار يوحنا بقتاله كرسياً لابرشية بيروت. واما مطران طرابلس فارتأوا أن يبقى حيث هو حينئذ ريثما يتسنى له الاقامة في محل صالح لسكناه في الابرشية، وابرشية صور وصيدا كانت وقتئذ ابرشية البطريرك. ومنعوا اخيراً جولان الرهبان للتسول في المدن والقرى إلا أن يكونوا مصحوبين بمناشير من رؤسائهم او من السيد البطريرك او من الاساقفة، ومن خالف فالاسقف يربطه ان كان كاهناً وينزع ثوبه الرهباني ان كان راهباً بسيطاً ويأخذ ما جمعه. وختموا مجمعهم بقولهم: قد قبلنا كل ما تدوّن بهذه الرسوم ووقعنا عليه بأختامنا. ويلي ذلك تواقيع البطريرك يوحنا الحلو ويوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي، والبطريرك يوسف التيان المتنازل عن البطريركية، ويوحنا مارون مطران حماه، واغناطيوس الخازن مطران طرابلس، واسطفان الخازن مطران دمشق، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وعبدالله بلبيل مطران قبرص، وجرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون، وانطونيوس الخازن مطران بعلبك، ويوسف اسطفان مطران قورش، وسمعان زوين مطران صور، والنائب البطريركي.

وقد رفع آباء المجمع اعمال مجمعهم الى البابا بيوس السابع ملتمسين اثباتها فاثبتها البابا في براءته المؤرخة في ٢٠ ايار سنة ١٨١٩م المتبدية «لما ظهر لنا». وفي جملة ما ضمنها اياه اطراؤه الموارنة لثباتهم على التشبث الدائم بعرى الايمان الكاثوليكي المقدس، كما كان قد اثنى عليهم كثيراً في براءته التي اصدرها لعقد هذا المجمع سنة ١٨١٦م انتهى ملخصاً عن نسخة من اعمال هذا المجمع في خزائن الكرسي البطريركي.

عد ١١٣٢
مجمع بكركي الاخير

قد عقد الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٦م مجمعاً في بكركي سماه المجمع البلدي وكان مأموراً به من البابا بيوس التاسع، وترأس عليه نيابة عن قداسته السيد بولس برونوفي القاصد الرسولي، فدعا البطريرك الاساقفة والرؤساء العامين للرهبانيات الثلاث المارونية وبعض الاعيان ورؤساء المرسلين

اللاتينيين، وكان هو قد ألّف رسوم هذا المجمع واعدها لتتلى في محالسه. وبعد اجتماع المدعوين عقدوا ثلاثة مجالس في ١١ و١٢ و١٣ من شهر نيسان بحضرة القاصد الرسولي. وفي المجلس الاول خطب البطريرك وعدد المجامع التي عقدها بطاركة الموارنة واساقفتهم من مجمع البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦ الى مجمع لويزه سنة ١٨١٨م المار ذكره فكانت اثني عشر مجمعاً ذكرنا اكثرها وزدنا عليها مجمع البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠، وهذا المجمع مطوّل يفوق باقي المجامع المارونية إلا المجمع اللبناني. وقد افرغ مؤلفه جهده في نظامه وجعله مطابقاً للمجمع اللبناني مؤيداً له إلا في بعض الامور التي اقتصى العصر تبديلها او تلطيفها. منها مثلاً اعياد كنائس القرى التي فيها كنائس كثيرة فعفا من البطالة فيها إلا عيد الكنيسة الكبرى فيها. وبعد ختام المجمع وقع عليه من شهدوه وضم الى كتاب وارسل الى رومة ليثبته الكرسي الرسولي، والحق البطريرك في آخره بعض رسائل الأحبار الأعظمين المتعلقة بالموارنة فلم يثبته الكرسي الرسولي ولم ينبذه الى الآن.

الفصل الخامس

الأديار والكنائس والمدارس التي أنشأها الموارنة
في القرن التاسع عشر

عد ١١٣٣

الاديار مساكن البطريرك والاساقفة

دير الكرسي البطريركي

منذ اواسط القرن الخامس عشر اخذ بطاركة الموارنة السكنى بدير قنوبين القديم واول من انتقل اليه البطريرك يوحنا الجاجي الذي توفي سنة ١٤٤٥، وما زال خلفاؤه يسكنون هذا الدير الى ايام البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي ارتقى الى البطريركية سنة ١٧٣٣م، فأقام بكسروان واقام خليفته البطريرك سمعان عواد مدة في دير مشموشة ثم خلفه البطريرك طوبيا الخازن ثم البطريرك يوسف اسطفان ثم البطاركة ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل ويوسف التيان فأقاموا بكسروان. وتقرر في مجمع بكركي سنة ١٧٩٠م أن يكون دير بكركي مقراً ثابتاً للبطريرك، ولكن بعد أن رقي البطريرك يوحنا الحلو الى البطريركية سنة ١٨٠٩م جعل سكناه مذ سنة ١٨١١م في دير قنوبين، واخذ في اصلاح املاكه واسترداد ما اخذ منها، واثبت مجمع لويزه انتقاله اليه واكمل احسان حال هذا الدير البطريرك يوسف حبيش الذي ارتقى الى البطريركية سنة ١٨٢٢م، إلا انه لما كان دير قنوبين صعب المسالك ويتعاظم الحرّ فيه ايام الصيف انشأ هذا البطريرك بعض مساكن في المحل المعروف

بالديمان وصاروا يصرفون به مدة الصيف ويقضون مدة الشتاء بكسروان. وكان كذلك في ايام البطريرك يوسف الخازن والبطريرك بولس مسعد، ولما ارتقى البطريرك يوحنا الحاج الى البطريركية بدّل المساكن التي كانت بالديمان بغيرها في محل قريب منه وجدد دير بكركي وجعله على الطراز الجديد، فكانَ صرحاً قل له النظير بلبنان، وهو الآن سكن بطاركتنا مدة الشتاء ولما تسلم كرسي البطريركية بطريركنا الحالي أخذ في إنشاء صرح آخر على مقربة من الديمان وقنوبين وكاد بناؤه يتم وسيكون بعد تمامه أكبر وأفسح من دير بكركي، وسماه جديدة قنوبين يقضي به البطريرك مدة الصيف.

الأديار كراسي المطارين

كان مطارنة طائفتنا يقيمون في المحابس والمناسك او مع البطريرك في دير واحد يعيشون عيشة مشتركة ويرسلهم البطريرك لزيارة الابرشيات غير مقيد بأن يرسل الى كل ابرشية من ارتقى الى كرسيها، واستمروا على ذلك الى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فحتّم ان يقيم كل اسقف في ابرشيته وبين رعيته، فلم يتيسر للحال أن ينشئ الأساقفة اديارا في ابرشياتهم لسكناهم فيها بل قطن كل منهم بدير اراده او كان مختصاً بأقاربه، فلم يرَ أعيان الطائفة ذلك ملائماً لشأن الطائفة وانتظام احوالها. ولما عقد المجمع المعروف بمجمع عين شقيق سنة ١٧٨٦م قدم المشايخ والاعيان رسالة الى الشيخ غندور الخوري الذي كان في المجمع يسألونه بها ان يسعى مع آباء المجمع ليقرروا وجوب سكنى الاساقفة مع البطريرك في كرسيه، وارتضى آباء المجمع بالاجابة لطلبهم، ولما رفعت اعمال هذا المجمع الى الحبر الروماني رفض هذا الامر ونبذه وامر أن تكون اقامة الاساقفة كل في ابرشيته طبقاً لرسم المجمع اللبناني، فعاد الاساقفة الى السكنى بأحد الاديار، ثم عينت الاديار التي يقيم بها كل من المطارين في مجمع لويزة المار ذكره المنعقد سنة ١٨١٨م كما مر. إلا ان مطارين طائفتنا اخذوا ينشئون كراسي لسكناهم مذ سنة ١٨٣٥م، فلم ينتهِ القرن التاسع عشر إلا انشأ كل منهم ديراً لسكناه وبعضهم بنى ايضاً معهداً علمياً لتربية اكليرس ابرشيته على النحو الآتي بيانه.

كرسي طرابلس

لما ارتقى المطران بولس موسى لاسقفية طرابلس سنة ١٨٢٦م كان يسكن بغزير في دار الامير عبد الله شهاب فكان يتوجه لزيارة ابرشيته ثم يعود الى مأواه المذكور، على انه في سنة ١٨٣٥م اخذ في بناء دير لسكناه واختار كنيسة مار يعقوب الكائنة بين قريتي كرمسدة وكفرفو، فأنشأ هناك ديراً على اسم القديس انطونيوس البادوي لانه استعان على البناء بمال كان لكنيسة هذا القديس في كفرزينا، وكان ينوي بناء مدرسة اكليريكية ايضاً فلم تساعد الحال عليها الى أن ارتقى الى هذه الاسقفية خليقته المطران اسطفان عواد فزاد كثيراً على ما بناه سالفه وجعله مدرسة اكليريكية لابرشيته وادخل اليها بعض التلامذة.

كرسي ابرشية قبرص

عين آباء مجمع لويزة مدرسة قرنة شهوان اي دير مار شليطا مقاماً لمطران قبرص، وسكن هناك المطران عبدالله بلبيل إلى حين وفاته سنة ١٨٤٢م ولما خلفه المطران يوسف جعجع سنة ١٨٤٣م شرع في بناء دير لكرسيه على مقربة من دير مار شليطا المذكور، واتم القسم الاسفل أقبية فسيحة متينة وسكنها الى حين وفاته سنة ١٨٨١م. ولما خلفه المطران يوسف الزغبي سنة ١٨٨٢م بنى على الاقبية مساكن وصيّرها مدرسة عالية اكليريكية سيأتي ذكرها في جملة المدارس. ولما توفي خلفه المطران نعمةالله سلوان مطران قبرص جدد بعض البناء وغير بعضه ليكون اكثر صلاحية لسكنى التلامذة واقامة مطران الابرشية.

كرسي ابرشية بيروت

عين آباء مجمع لويزة دير مار يوحنا بقتاله مقاماً لمطران بيروت، وكان المطران بطرس ابو كرم يقيم تارة فيه وطوراً ببيروت او قرى الابرشية او ببيته في بسكنتا، ولما توفي سنة ١٨٤٤م وسلمت ابرشية بيروت الى سالفنا المطران طوبيا عون سنة ١٨٤٥م اقام مدة ببيروت ثم اخذ بإنشاء محل لسكناه في مزرعة عين سعادة التابعة لبيت مري في عقار وقفه عليه عساف ماضي من المحل المذكور، ثم زاد على ما بناه بعض غرف لسكنى تلامذة اكليريكيين ادخل صفاً منهم بحياته، وجدد ببيروت المحلة المعروفة بالقلاية لسكناه مدة الشتاء والربيع، وقنى لكرسيه املاكاً يكفي ريعها للنفقة عليه وعلى حاشيته والتلامذة. ولما دعاني الله لأخلفه في هذه الأبرشية زدت في عين سعادة عدة غرف واصلحت البناء السابق. ولما انتقضت بعض الغرف بالقلاية لبناء الكنيسة الكبرى انشأت فوق ما بقي منها محلاً لاشغال الأسقفية ولاجتمعات احتفالية على اني نقلت الصف الاكليريكي من مدرسة عين سعادة الى مدرسة الحكمة التي انشأتها ببيروت وسيأتي ذكرها في جملة المدارس، وزدت في عقارات الكرسي زيادة تذكر وشريت املاكاً كثيرة بجوانب المدرسة خصصتها بها.

كرسي ابرشية صور وصيدا

كان المطران عبدالله البستاني يسكن بعض قلالي في مشموشه، وبعد أن ارتقى ابن اخيه المطران بطرس الى كرسي عكا معاوناً له في حياته وخلفاً بعد موته شرى في بيت الدّين المحل المعروف بالمقصف مسكن الامير بشير الكبير مدة الصيف وجعله كرسياً له، ثم شرى المقصف الآخر المعروف بمقصف الامير امين ابن الامير بشير المذكور والقناة الموصلة الماء الى سراي بتدين، والمقصفين المذكورين، وعقارات أخرى كثيرة هناك، وفي مزرعة بكفيا وغيرها، وخص كل ذلك بكرسيه فكان بهذه الابرشية مقر لأساقفتها له من الدخل ما يكفي لإنشاء مدرسة اكليريكية. وكان في

عزم المثلث الرحمة المطران بطرس المذكور أن ينشئها فلم تساعده الحال على ذلك وخاصة لانه كان يرغب في وفاء الدين الذي اضطر اليه في شراء ما مرَّ من العقارات، وقد اخذ خليفته المطران بولس بصبوص في إنشاء هذه المدرسة في مقصف الامير امين المذكور.

كرسي ابرشية بعلبك

كان المطران انطون الخازن الذي دبر هذه الابرشية اكثر من خمسين سنة يقيم في دير بقلوش الخاص بأسرته الخازنية، ولما توفي سنة ١٨٥٨م وارتقى الى هذا الكرسي المطران يوحنا الحاج سنة ١٨٦١م اخذ يجهد نفسه في انشاء كرسي لأبرشيته فوفقه الله الى ذلك بأقرب وقت وشرى عقارات كثيرة، ثم ابتاع دار قعدان بك الخازن بعرامون واخذ يبني محلاً لسكناه ومدرسة اكليريكية لابرشيته، فكلل الله عمله بالنجاح ولما ارتقى الى البطريركية سنة ١٨٨٩م ورقى ابن اخته المطران يوحنا مراد الى اسقفية بعلبك خلفاً له اتم ما كان خاله قد أنشأه، ولكن لم يتيسر له الى الآن ادخال صف اكليريكي الى المدرسة.

كرسي ابرشية دمشق

كان المطران اسطفان الخازن الاول يسكن في دير عائلته بيلوني ولما خلفه المطران يوسف الخازن سكن في دير البشارة بزوق مكايل، ولما صير بطريركاً سنة ١٨٤٥م ورقي الى أسقفية دمشق المطران اسطفان الخازن الثاني سنة ١٨٤٨م سكن بدير مار موسى بلوني، وبعد أن توفي سنة ١٨٦٨م خلفه المطران نعمة الله الدحداح سنة ١٨٧٢م وسكن في محل المرسلين اللبنانيين بعينطورا، وبعد وفاته سلمت ابرشية دمشق سنة ١٨٩٠م الى المطران بولس مسعد اسقفها الحالي، فهمّ بإنشاء كرسي لهذه الأبرشية فوفقه الله الى بناء هذا الكرسي في أعلى قرية ريفون مجتمعاً كل ما يلزم لإقامة اسقف وحاشيته وبعض التلامذة ايضاً.

عد ١١٣٤

المدارس التي انشأها الموارنة في هذا القرن

مدرسة عين ورقة

حوّل البطريرك يوسف اسطفان دير عائلته عين ورقة مدرسة اكليريكية عامة للطائفة سنة ١٧٨٩م وادخل اليها صفاً من الطلبة سنة ١٧٩٢م وترأس عليها الخوري خيرالله اسطفان، فصرف عنايته في نجاحها ولما رقي الى الاسقفية ازدادت المدرسة رونقاً وتقدماً الى أن رزئت بوفاته سنة ١٨٢٣م فقيض الله لها بعده المطران يوسف رزق الجزيني الذي رقاه البطريرك يوسف حبيش الى اسقفية قورش ورئاسة هذه المدرسة سنة ١٨٢٩م، فغير كثيراً من ابنيتها وانشأ كنيستها الشهيرة واستمر مترأساً عليها الى أن دعاه ربه اليه سنة ١٨٦٥م. ورأس من بعده الخوري يواكيم اسطفان ثم الخوري بولس اسطفان واخيراً الخوري يوسف اسطفان الذي رقاه البطريرك يوحنا الحاج الى اسقفية قورش ورئاسة المدرسة سنة ١٨٩٦م فزاد بمدة رئاسته كثيراً في ابنية المدرسة واملاكها وحسن حالتها وهو رئيسها وينوي تجديد ابنية في هذه المدرسة التي عم نفعها لهذه الامصار، ومن تلامذتها انبعثت انوار العلوم الدينية في هذه الاقطار قبل كل ما سواها من المدارس الشرقية ونبغ منها رؤساء وعلماء كثيرون فمن تلامذتها بطاركتنا يوسف حبيش ويوسف الخازن وبولس مسعد ويوحنا الحاج، ومطارين طائفتنا عبدالله البستاني وبطرس ابو كرم وجبرائيل الناصري ويوسف رزق ونقولا مراد ويوسف جعجع ويوسف المريض ويوحنا حبيب وبطرس البستاني ويوسف مسعد ونعمةالله سلوان وانا الحقير، ومن الكهنة الأجلاء يوسف الرزي الواعظ الشهير ويوحنا الصائغ المسمى الاسطنبولي ويوسف الصوري وفرنسيس زوين ويوحنا البزماري وارسانيوس ويوسف الفاخوري الى غيرهم. ومن العلماء المشاهير الشيخ بشارة الخوري والشدياق شاهين المزرعاني والمعلم بطرس البستاني واللغوي الشهير فارس الشدياق الى غيرهم.

مدرسة مار يوحنا مارون

جدد دير مار يوحنا مارون بكفرحي بعد اندراسه البطريرك يوسف اسطفان وأسكن به رهباناً عباداً الى أن جعله البطريرك يوحنا الحلو سنة ١٨١٢م مدرسة خاصة بابرشية جبيل والبترون ولم يكن لها من الدخل إلا ما يقوم بأود نحو عشرة تلاميذ، واستمر كذلك الى ايام البطريرك بولس مسعد حين جعل الخوري يوسف فريفر رئيساً عليها فجدد قسماً كبيراً من بنائها، ولما رقاه البطريرك الى اسقفية اللاذقية وجعله نائباً له في ابرشية جبيل والبترون ورئيساً للمدرسة لم يألُ جهداً في انماء دخل هذه المدرسة وتكثير املاكها وتوسيع ابنيتها واتقانها وجمع تلامذة عالميين فيها زيادة على الاكليريكيين، فحسنت حالها وانتظمت امورها وبعد وفاته سنة ١٨٨٩ عهد برئاستها الى المونسنيور بطرس ارسانيوس من كور فزاد في مساكنها وما برح مهتماً في نجاحها ونظامها.

مدرسة مار مارون الرومية

كان تجديد دير مار مارون الرومية بكسروان سنة ١٦٩٦م عني بتجديده الخوري جرجس صفير وأخوه ناضر الى أن ارتأى آباء مجمع لويزة المنعقد سنة ١٨١٨م أن يجعلوه مدرسة اكليريكية عامة للطائفة فصير كذلك، إلا ان قلة الدخل لهذه المدرسة قصرت عدد تلامذتها على عشرة: ثمانية من ابرشيات الطائفة الثماني واثنين من عائلة بيت صفير ولم تزل حالتها كذلك.

مدرسة مار عبدا هرهريا

مرَّ ان هذا الدير أنشأه القس يوسف اصاف سنة ١٦٥٥م وسكن فيه رهبان وراهبات عابدات، وعين في مجمع لويزة سنة ١٨١٨م من جملة الاديار التي

خصصت بسكنى الراهبات، ثم اهتم البطريرك يوسف حبيش بجعله مدرسة اكليريكية عامة للطائفة المارونية. وكان لهذه المدرسة املاك وافرة ودخل جزيل وقد زادهما رئيسها الخوري يوسف بن حاتم اصاف، وكان بناؤها غير صالح فأخذ من خمس سنين يجدد بناءها على الطراز الحديث. وقد نبغ من هذه المدرسة اساقفة وكهنة فضلاء وعلماء أجلّاء. فمن تلامذتها الاساقفة المرحوم المطران جرمانوس الشمالي والمطران بولس عواد والمطران بولس بصبوص. ومن الكهنة رئيسها والخوري يوسف العلم وغيرهما. ومن علمائها اسطفان اصاف ويوسف الياس باخوس وغيرهما.

مدرسة ريفون

مرَّ في تاريخ القرن السابع عشر ان دير ريفون أنشأه القس سليمان مبارك سنة ١٦٥٠م وكان يسكنه رهبان عباد، وعين في مجمع لويزه مقاماً لمطران بعلبك، ثم حسن للبطريرك يوسف حبيش أن يجعله مدرسة اكليريكية للطائفة سنة ١٨٣١م ولكن لما لم يكن لها من الدخل إلا ما يقيم بعشرة تلاميذ اقتصر فيها على هذا العدد، وقد جدد بناءها وحسنه الخوري فرنسيس مبارك وزاد فيه كنيسة ظريفة، وتوفي هذا الرئيس سنة ١٨٧٢م.

مدرسة الحكمة

كل ما مرّ ذكره من المدارس انشئ لتهذيب الاكليريكيين وتعليمهم ولم يكن في طائفتنا مدرسة لتعليم الشبان العالميين، ولما دعاني الله بوافر سخائه لا باستحقاقي الى اسقفية بيروت كان اول اهتمامي انشاء هذه المدرسة للعالميين، واشرت الى ذلك في اول خطبة القيتها في هذه المدينة واخذت استعد لذلك وابحث عن محل يوافق هذا الغرض فشريت عدة قطع من الارض في المحلة المعروفة بالغابة سنة ١٨٤٧م وأخذت في البناء مستعيناً على ذلك بثمن معمل حرير بشملان كان المرحوم سالفي

قد شراه فبعته الى الخواجة يوحنا فريج بمائتي ألف غرش وبثمن نصف قرية كفريا بالبقاع الغربي كان المرحوم سالفي قد شراه فبعته الى الخواجة يوسف سرسق بمائتي ألف غرش ايضاً، بعد أن كاشفت بهذا البيع السيد البطريرك ومجمع نشر الايمان المقدس. وابتدأت في البناء السنة المذكورة بنوع انني أنجزت سنة ١٨٧٥م قسماً كبيراً منه وادخلت الطلبة اليه في اول ت٢ من هذه السنة، وواصلت السعي في تكملة هذه المدرسة فوهبني الله التوفيق فكان اكثر البناء القائم الآن مع الكنيسة كاملاً في آخر سنة ١٨٧٨م. فمزيد اهتمامي بهذا المشروع وإلقائي الخطب في كنيسة بيروت الكبرى مدة الصوم مع الانقطاع والصوم سبّبت لي مرض احتقان الدماغ سنة ١٨٧٥م، ولولا براعة النطاسي الشهير الدكتور سوكه الفرنسي لكنت من يومئذ في الابدية. ولما بللت من مرضي أشار عليَّ بالسفر الى اوروبا فعملت بمشورته وسرت الى رومة اولاً ونلت حظوة كبرى بعيني السعيد الذكر البابا بيوس التاسع والمثلث الرحمة الكردينال فرنكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس، فدفع إليّ نيافته كتب توصاة الى فرنسة لمساعدتي بمشروعي المذكور، وكنت قد أرسلت الخوري يوسف الزغبي والخوري لويس زوين الى فرنسة للتكمل بعلومهما ومعاونتي بعد عودهما على إدارة المدرسة، فسلمت إليهما كتب التوصاة فجمع أحدهما الخوري لويس من فرنسة نحو عشرين ألف فرنك والخوري يوسف الزغبي هذا القدر من بلجيكا وانكلترا فأوقفتهما بعد ذلك عن السؤال، فكان الداخل لهذا المشروع نحو اربعماية الف قرش من ثمن العقارات المذكورة ومائتي ألف قرش ونيف من الإحسانات المشار إليها، وما كلفت أحداً من أبناء أبرشيتي أو غيرها لدفع شيء، ولا سألت بنفسي شيئاً من احد في اوروبا، ولا اعلم كيف بارك الله هذا العمل المقصود منه وجهه الكريم ونفع القريب حتى كان مجمل ما صرفته في هذه المدرسة من نفقة البناء والأثاث وشراء العقارات وتعمير مساكن للأُجرة نحو ثلاثين ألف ليرة فرنسية الى الآن. وفي هذه المدرسة وجوانبها الآن نحو مائة ألف ذراع أرض. ولها من البيوت والمساكن ما يؤجر بنحو خمسة عشر الف غرش في السنة وكل هذه العقارات والبيوت خصصتها بالمدرسة مفروزة عن الاملاك المعروفة بالكرسي الاسقفي لنفقة الاسقف وحاشيته وخدمه، وقد نجحت والحمد لله هذه المدرسة ولا ينقص تلامذتها في كل سنة عن ثلاثمائة طالب السواد الاعظم منهم

داخليون، وقد نبغ منها كهنة علماء وخطباء وشعراء وكتّاب وكنت ارسلت اخي الخوري بولس بعد اتمام دروسه في مدرسة عين ورقة الى باريس سنة ١٨٧٥م للتكمل في دروسه ومراعاة ادارة المدارس في اوروبا، فعاد إليَّ سنة ١٨٨٠م وعهدت اليه بادارة هذه المدرسة ورئاستها فأتمّ ذلك بما يرضي الله ويعزيني عن اتعابي، فإياه تعالى أسأل أن يتيح لهذه المدرسة التوفيق والنجاح لمجد الله الاعظم وخير سكان هذه الامصار الشرقية بمنّه وكرمه وشفاعة القديس يوسف شفيعها.

مدرسة قرنة شهوان ومدرسة غزير

أشرت انفاً اني ارسلت الخوري يوسف الزغبي والخوري لويس زوين الى فرنسة للتكمل بالعلوم ومعاونتي في مدرسة الحكمة بعد عودهما ثم عهدت اليهما بجمع شيء من الاسعاف لها فجمعا ما ذكرته آنفاً فأوقفتهما عن الجمع وبقي كل منهما مدة بعد ذلك في اوروبا، فيظهر ان الله بارك مساعيهما واتاح لهما التوفيق فشرى الخوري لويس زوين بعد عوده دار الامير منقذ شهاب في غزير وزاد عليها وجعلها مدرسة على اسم مار لويس معدة لقبول طلبة عالميين واكليريكيين، وكذلك صنع الخوري يوسف جبرائيل الزغبي فانه بعد عوده من اوروبا سنة ١٨٨٢م وارتقائه الى اسقفية قبرص بنى طبقة عليا فوق الطبقة السفلى التي كان المطران يوسف جعجع قد أنشأها وجعلها مدرسة اكليريكية وعالمية. ولما توفي المطران المذكور وخلفه المطران نعمة الله سلوان سنة ١٨٩٢م زاد بعض البناء في هذه المدرسة وحسّن بعضه وجرَّ اليها الماء من منبع في بحرصاف، وما برحت هذه المدرسة ناجحة موفقة وكان لي في هاتين المدرستين تعزية كبرى إذ كان إنشاء مدرسة الحكمة سبباً لانشاء مدرستين أخريين.

مدرسة المحبة في عرامون ومدرسة العريمة

اما مدرسة المحبة فأنشأها بعرامون الخوري جبرائيل شباط سنة ١٨٦٧م واستعان على إنشائها بإحسانات جمعها من اوروبا بأسفاره اليها وهي تقبل طلبة داخليين

قليلين وخارجيين، ولقلة دخلها لم تنجح كثيراً لكنها دامت من حين تأسيسها الى الآن. وبعد وفاة الخوري جبرائيل مؤسسها يدبرها الآن اخوه يوسف شباط.

واما مدرسة العريمة فقد أنشئت سنة ١٨٦٥م بما وقفه المرحوم المطران نقولا مراد المتوفي برومة سنة ١٨٦٣م، ثم بما وقفه أخوه همام مراد من العقارات والنقود، وابتاع دار الشيخ منصور الدحداح في اسفل عرامون وبنى فيها كنيسة على اسم القديس نيقولاوس، وجعل بعده الولاية على هذه المدرسة لمجمع الايمان المقدس والرئاسة لمن ينتخبه من أقربائه ولم ينجح هذه المشروع الى الآن وقل من دخل هذه المدرسة من التلامذة.

المدرسة الوطنية

نذكر هذه المدرسة في جملة المدارس التي أنشأها الموارنة لأن منشئها ماروني صلاً وهو المعلم بطرس البستاني، وقد افتتحها سنة ١٨٦٣ وجعلها تحت إدارة ابنه سليم الذي كان يعلم بها العلوم والصف الاول في اللغة الانكليزية، وتخرج بها كثيرون من الموارنة ايضاً ولم تكن تتعرض لتلامذتها في امر دينهم بل كانت ترسلهم لقضاء فروضهم الدينية في كنائس طوائفهم ودامت خمس عشرة سنة وقد قفلت لما فتحت ابواب مدرسة الحكمة سنة ١٨٧٥م.

المدارس الرهبانية

اما الرهبانيات الثلاث في طائفتنا فكان رؤساؤها يخصصون ديراً من اديارهم لتعليم المرشحين للكهنوت فيه، وكان رؤساء الرهبانية اللبنانية يخصصون احياناً ديرين او ثلاثة اديار لهذا التعليم فكان كذلك دير قزحيا وكفيفان والقطارة وميفوق وناعمة. والآن اكبر مدرسة لرهبانهم في دير نسبيه بغوسطا وقد شروا من بضع سنين داراً في بيروت وجعلوها سكناً لنحو اثني عشر راهباً يتلقون الدروس السامية

في المدرسة الكلية للآباء اليسوعيين بهذه المدينة. واما الرهبان المعروفون بالانطونيانيين فيعلمون قسوسهم في أحد اديارهم كدير القلعة في بيت مري الى أن جعل القس عمانوئيل البعبداتي دير مار اشعيا في برمانا مدرسة للمرشحين من هؤلاء الرهبان للكهنوت، وعززها اذ هو الآن الرئيس العام للرهبانية. واما الرهبان الحلبيون فديرهم برومة هو مدرسة لهم وقد زاد بناءها وأنمى دخله المطران امبروسيوس نطين الدرعوني وزادها نظاماً في هذه السنين الاخيرة الأب لويس الخازن رئيسها وكانوا يعلمون المعدين للدخول في هذه المدرسة مبادئ اللغات والعلوم في دير مار اليشاع بجانب بشري.

مدرسة المرسلين اللبنانيين

لما شرى الطيب الذكر المطران يوحنا حبيب وهو كاهن دير المخلص بالكريم وقفه على المرسلين اللبنانيين ليكون كرسياً لجمعيتهم ومدرسة للمرشحين للانضواء اليها، وكان كذلك، إلا انه حسن لآباء جمعيتهم حيناً ما أن يقيموا تلامذتهم في المحل الخاص بهم بعينطورا ثم وجدوا في ذلك بعض المصاعب فأرجعوا تلامذتهم الى الكريم فينقص عددهم او يزيد بالنسبة الى عدد الطالبين المنضوين اليهم ويعلمونهم من اللغات السريانية والعربية والفرنسية واللاتينية والعلوم الاكليريكية السامية.

ان ذكر انشاء كل هذه المدارس عند الموارنة في هذا القرن يبين صريحاً النهضة العلمية في الطائفة ولاسيما ان راعيت ان اكثرية التلامذة في المدارس التي يديرها الآباء اليسوعيون والعزاريون والمرسلون المعروفون بإخوة التعليم المسيحي وغيرهم من شبان الموارنة. فالرغبة في تعليم الآباء اولادهم هي عامة وشاملة حتى تراها جاوزت الحدود ولو رغب عامة الناس وأواسطهم في تعليم اولادهم الصنائع والحرف لكان هذا أولى واصلح بمصلحتهم ومصلحة البلاد.

عد ١١٣٥

اديار الرهبان اللبنانيين المنشأَة بهذا القرن

ذكرنا في تاريخ القرن الثامن عشر ما أنشأه هؤلاء الرهبان من الأديار فيه ونذكر الآن ما أحدثوه في القرن التاسع عشر فقد بنوا دير مار مارون عنّاية ببلاد جبيل سنة ١٨١٤م، ودير مار سركيس وباخوس بقرية قرطبا سنة ١٨١٥م، وفي سنة ١٨٤٩م فصلوا بعض املاك عن دير قزحيا وأقاموا بها ديرين: الاول على اسم مار انطونيوس في الجديدة وخصوا به املاك قزحيا التي كانت بمارشينا ونهر جرعت وكفرياشيت، والثاني دير مار جرجس عشاش وخصوا له الاملاك التي كانت لقزحيا في المحل المذكور وأنشأوا سنة ١٨٤٦م دير مار روكس بجانب عجلتون وأخذوا ببنائه سنة ١٨٦٥م وفصلوا قسماً من املاك دير مشموشه سنة ١٨٤٩م وانشأوا به اولاً دير مار تقلا بريمات ثم نقلوا هذا الدير الى بحنين وسموه باسم دير المخلص. واخذوا في هذه السنة ايضاً في بناء دير مار يوحنا بقبيع من قرى المتن الجنوبي وأنشأوا دير مار شليطا بالقطاره من بلاد جبيل سنة ١٨٥٢م وجعلوه مدرسة مدة ما ثم ابتنوا دير مار جرجس بحنين من قرى عكار سنة ١٨٥٣م، ودير مار يعقوب النصبيني بالحصن من بلاد البترون سنة ١٨٦٢م. وفصلوا قسماً أخر من املاك قزحيا وخصوه بدير مار سمعان بقرب ايطو وجعلوه مسكناً للراهبات، وفصلوا عن دير قزحيا أيضاً املاكه بقرية بصرما بالكورة وبعض املاكه بقرية بشنين بالزاوية واقاموا بها ديراً على اسم سيدة النجاة ببصرما سنة ١٨٧٦م، وجعلوا المدرسة التي كانت لهم بساقية المسك ديراً على اسم مار ميخائيل سنة ١٨٨٢م، واخذوا في سنة ١٨٨٠م يبنون ديرهم بنسبيه بقرية غوسطا على اسم سيدة النصر وهو من اكبر أديارهم، ويعلمون فيه الآن المرشحين من الراهبات للكهنوت. وقد احدثوا في هذا القرن من المدارس لتعليم الاولاد القراءة والخط واصول الديانة مدرسة بيان من قرى بشري سنة ١٨٠٦م، وزادها القس افرام جعجع البشراني في مدة رئاسته لها بناء واملاكاً. ومدرسة العبادية سنة ١٨٣٠م فوقف بعض الأمراء اللمعيين عليهم بعض العقار وشرط عليهم اقامة مدرسة وقسوس بها يخدمون موارنة هذه القرية ويعلمون اولادهم. وأنشأوا سنة ١٨٣٧م مدرسة رأس المتن، وسنة ١٨٣٩م مدرسة الشبانية، وسنة ١٨٥٥م مدرسة غباله. واحدث الأب عمانوئيل المتيني مدرسة المتين ولهم

مدرسة في حمانا واخرى في بسكنتا، ومدرسة الفريكة ومدرسة كفرحيال قرب قرطبة انشأها القس دانيال الحدثي، ومدرسة في بصا بجوار تنورين واخرى في وادي جزين ومدرسة في صغبين، وانشأوا مدرسة حديثة في بدادون. هذا عدا مدرسة عجلتون التي انشأوها في القرن الثامن عشر سنة ١٧٥١م، ومدرسة وادي شحرور التي احدثوها سنة ١٧٨٥م بعقار وقفه بعض الامراء الشهابيين. ولهم من القناطيش انطوش جبيل احدثوه سنة ١٧٦٢م، وانطوش زحله سنة ١٧٦٩م، وانطوش دير القمر سنة ١٧٨٢م، وانطوش معلقة زحله سنة ١٨٠٨م، وانطوش يافا سنة ١٨٥٥م، وأنشأوا فيها كنيسة في هذه السنين الاخيرة، وانطوش بعلبك أنشأوه سنة ١٨٥٧م، وانطوش ابلح سنة ١٨٦٠م، وانطوش مجدلون سنة ١٨٦٨م.

عد ١١٣٦
اديار الرهبان الانطونيين المنشأة بهذا القرن

ذكرنا في تاريخ القرن الثامن عشر ما انشأوه فيه من الاديار فنذكر هنا ما احدثوه منها في القرن التاسع عشر:

١- دير مار دوميط برومية اشترى محله وبعض العقار له القس ابراهيم عون ثم استأذن القس يوسف الشبابي والقس تادروس جباره البطريرك يوحنا الحلو بأن بنيا هناك ديراً فأقاما الجهة الجنوبية منه سنة ١٨١٨م وبنى بعدهما القس بولس الحماني الجهة الشمالية والغربية والكنيسة كما يظهر من خط على باب مقعد الدير المذكور وكان رهبان دير القلعة يذهبون الى رومية فيشتغلون في بناء هذا الدير الاسبوع كله ويعودون مساء الاحد الى ديرهم.

٢- دير مار الياس بالكنيّسة اتفق رئيس عام هذه الرهبانية ومدبروها على بناء دير بالكنيسة واستأذنوا المطران يوسف جعجع مطران الابرشية بانشائه فاهتم به القسوس شاول وغريغوريوس والياس الذين كانوا من هذه القرية وخصوا به بعض املاك كانت لدير مار دوميط رومية ودير مار سمعان بعين القبو.

٣- دير مار يوسف بحرصاف اخذ في انشائه القس فيلبوس الحاج بطرس من بكفيا سنة ١٨٥١م، لكنه بقي حقيراً الى أن ترأس عليه القس لويس الحاج

بطرس ثم صار مدبراً في رهبانيته فأفرغ جهده بتوسيع بناء هذا الدير وتأسيسه وشراء عقارات له، وبنى فيه كنيسة ظريفة واستعان على ذلك ببعض الاحسانات.

٤- دير مار نوهرا القنزوح اخذ بانشائه القس برنردوس الغزيري سنة ١٨٦٤م بعد الاستئذان من البطريرك بولس مسعد والمطران يوحنا الحاج اسقف الابرشية ثم اكمل بناءه القس فرنسيس المدبر ابن اخي القس برنردوس المذكور.

٥- دير مار سركيس بكفردلاقس هو دير صغير على مقربة من زغرتا اهتم بانشائه في هذا القرن القس انطون الحلبي، فانه شرى عقارات باسم هذا الدير وسلمها الى القس تيموتاوس الاهدني فأخذ في بناء بعض قلالي ثم بنى القس انطونيوس الاجبعي الكنيسة.

٦- دير المخلص بقرية عين العلق أنشأه سنة ١٨٧٠ القس يوسف البعبداتي الريس العام وعهد ببنائه الى القس يشوع الشبابي واخيه القس ابراهيم فبنياه وشريا له املاكاً.

٧- دير مار مارون الرويس في شننعير ابتاع ارضه القس مرقس الشننعيري والقس بولس الغزيري وتعذر عليهما نقد الثمن فدفعه القس فيلبوس الحثوني الدلبتاوي الانطونياني، واجاز الرئيس العام والمدبرون أن يكون ديراً وأن يتسلمه القس فيلبوس المذكور، وأعطوه صكاً بذلك مؤرخاً في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٧٤م.

ولهذه الرهبانية عدة اناطيش:

١- انطوش زحله طلب القس ابراهيم عون المذكور قطعة ارض في زحله من الامير بشير قيدبيه اللمعي وبنى فيها كنيسة وبعض مساكن وعهد اليه مطران الابرشية بخدمة النفوس هناك، وقد احترقت الكنيسة المذكورة مراراً آخرها سنة ١٨٨٢م مصادفة.

٢- انطوش قب الياس انشأه القس توما مدلج الرئيس العام في قطعة ارض وهبه اياها الامير سيد احمد شهاب ثم باعه أرضاً فسيحة وكرماً، فأرسل رهباناً

يحرثونها ثم بنى هناك كنيسة على اسم ايليا النبي وبنى بجانبها بعض مساكن.

٣- انطوش قرنايل أنشأه الرئيس العام على هذه الرهبانية إذ ساله الامير يوسف مراد اللمعي أن يبني هناك كنيسة على اسم قديس ذي بطش وشجاعة فبناها على اسم ايليا النبي، ورغب الامير الى اهله أن يعتنقوا الدين الكاثوليكي في الطقس الماروني فنصر القس صامويل والقس يوسف حفيديه الامير بشير والد الامير سعيد بيت مري، والامير علي والد الاميرين يوسف ومحمود علي.

٤- انطوش شملان بنى الامير حيدر الشهابي كنيسة هناك اولاً ثم وقف عليها عودتين لمعاش الكاهن الذي يخدمها، ثم وقفت امرأته اكثر املاكها على الرهبان، وكان القس يوسف البعبداتي يخدم دارهما فزاد هذا الوقف املاكاً بشرائه لها، وبنى مساكن يقيم بها الرهبان سنة ١٨٢٨م، وقد صيّر الرهبان هذا الانطوش مذ بضع سنين ديراً.

٥- انطوش حوش حالا في قائمقامية بعلبك أنشأه احد القسوس إذ شرى هناك ارضاً سنة ١٥٤٨م وبنى كنيسة على اسم القديس روكس وألحق بها بعض مساكن.

٦- انطوش قرنة الحمرا كان أنشأه الرئيس العام القس ابراهيم البسكنتاوي واتفق مع مدبري الرهبنة واستأذنوا البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٢٧ بأن يبنوا مدرسة بقرنة الحمراء من قاطع بيت شباب، فأذن لهم وسلموا العناية بها الى القس يمين البجاني فبنى بعض المساكن ثم بنى الكنيسة القس جبرائيل من برمانا وقد صيّر هذا الانطوش ديراً منذ بعض سنين.

٧- انطوش قرنة شهوان اهتم بإنشائه القس شاول من الكنيسة الرئيس العام ليكون مدرسة للأولاد، فرخص له بذلك البطريرك يوسف حبيش والمطران عبدالله بليبل، فوكل الرئيس العام باتمام ذلك الى القس زكريا من عائلة بيت جباره.

٨- انطوش بحنس كان إنشاؤه سنة ١٨٥٢ في ارض وقفها رجل مستحبس اسمه يعقوب من القرية المذكورة شارطاً أن يبني الرهبان فيها انطوشاً. وأن يقوموا بأوده ما دام حياً، فقبل القس فيلبوس الحاج بطرس الرئيس العام شرطه وأقام على اتمام ذلك القس يوسف البعبداتي.

٩- انطوش ترسيس أنشئ سنة ١٨٢٧ فان الموارنة المتوطنين بترسيس وادنا رفعوا عريضة للبطريرك يوسف حبيش سائلين أن يرسل اليهم كاهناً لخدمتهم الروحية فأرسل اليهم القس فرنسيس جعاره الغزيري فأقام على خدمتهم. وفي سنة ١٨٥٦م أمر البطريرك بولس مسعد الرئيس العام القس بطرس الغزيري أن يرسل كاهناً من رهبانه لخدمة اهل ترسيس الموارنة واعطاهم صكاً باختصاصهم بالرسالة بكيليكيا اي ترسيس وادنا ومرسين وأمرهم أن يبنوا كنيسة بترسيس فبنوها بمالهم وبعض الاحسان وما برح الرهبان يخدمون بها.

١٠- انطوش اسكلة طرابلس بني سنة ١٨٥٥ بأمر البطريرك بولس مسعد للقس بطرس الغزيري الرئيس العام الذي اشترى هناك داراً وارضاً، واهتم الرهبان ببناء كنيسة ومساكن فيها واقام بعض قسوسهم يخدمون الموارنة هناك الى الآن.

١١- انطوش بسكنتا أنشئ سنة ١٨٥٧ باهتمام القس سلوانس البسكنتاوي وأذن الرئيس العام والمدبرين فبنى فيها بعض قلالي وشرى بعض العقار، وابتدأ في بناء الكنيسة وعاجله الموت فأكملها بعده القس بطرس كرم البسكنتاوي.

عد ١١٣٧

الاديار التي انشأها الرهبان الحلبيون وغيرهم في هذا القرن

١- دير مار دوميط بفيطرون اخذ الرهبان الحلبيون اللبنانيون بإنشائه سنة ١٨٥٤ لكن الذي كمل هذا الدير وجمّله انما هو القس سابا دريان العشقوتي الذي استمر على رئاسة هذه الرهبانية سنين كثيرة، وجعله مدرسة ابتدائية يتعلم بها الرهبان المرشحون للدخول الى مدرستهم برومة.

٢- دير مار سركيس وباخوس بعشقوت أنشأه القس سابا العشقوني الرئيس العام المذكور وشرى له املاكاً.

٣- دير مار اليشاع في جبة بشري بناه الرهبان المذكورون في المحل المسمّى مزرعة نهرا بين بشري وبقاع كفرا لسكناهم بدلاً من دير مار اليشاع القديم في

الوادي المقدس فلما كان الدير القديم صعب المسالك بنوا هذا الدير لسكناهم تاركين الدير القديم على ما كان عليه.

٤- مدرسة عبيه رغب في إنشائها المرحوم المطران بطرس ابو كرم مطران بيروت فكتب الى القس جناديوس الزوقي الرئيس العام حينئذ على الرهبان المذكورين والى مدبري الرهبانية مظهراً رغبته فيها ومعيناً الشروط اللازمة لذلك، فأجابه الرئيس والمدبرون في ٥ اذار سنة ١٨٣٧م مصرحين بالاجابة الى رغبته والاستنارة بالشروط التي ذكرها، وهي أن يكون من رهبانهم ثلاثة قسوس يخدمون الرعية في عبيه ويكون احدهم مقيداً بتعليم اولاد القرية مجاناً.

في سنة ١٨٣١م وقفت ارملة الشيخ بشارة جفال الخازن وشقيقته دارهما في في زوق مكايل واملاكهما وكل ما يتعلق بهما على دير بني هناك وقبل البطريرك يوسف حبيش ووقفهما وكرس دارهما ديراً على اسم سيدة البشارة، وفوض البطريرك بالولاية على هذا الدير الى المطران يوسف الخازن مطران دمشق وجعله مسكناً لراهبات يستسرن بقانون راهبات الزيارة.

وفي سنة ١٨٧٨م انشأ المطران بطرس مسعد كنيسة على اسم القديسين الرسولين بطرس وبولس بقرية عشقوت وبنى حذاءهما بعض غرف، وشرى لها بعض املاك لتكون مدرسة يتعلم بها اولاد القرية وغيرهم اذا امكن.

عد ١١٣٨
بعض الكنائس المنشأة للموارنة في هذا القرن

إن تعداد كل الكنائس التي أنشئت للموارنة في القرن التاسع عشر امر طويل ممل قليل الفائدة، ولذلك اقتصر على ذكر الكنائس التي قدرني الله على بنائها في بيروت واهتممت أن تبنى بالقرى التابعة ابرشيتها. ففي سنة ١٨٧٤ ساعدني الله على بناء كنيسة مار مارون بحي القيراط في ارض اشتريتها من المرحوم نعوم افندي قيقانو وفرغت من بنائها وتجهيزها سنة ١٨٧٥م وكانت النفقة عليها نحو مائتين وخمسين الف قرش، وفي سنة ١٨٧٨م انشئت بعون الله كنيسة القديس

يوسف بمدرسة الحكمة السابق ذكرها وكانت نفقتها في جملة النفقة على المدرسة المذكورة.

وفي سنة ١٨٨٢م بنيت بعون الله كنيسة القديس ميخائيل رئيس الملائكة بحي الرميل وكان في محلها كنيسة على اسم هذا القديس بنيت سنة ١٨٣١م بأمر ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر، فان الكنيسة كانت في الكوارنتينا حيث حلت عساكر ابراهيم باشا ولما رأى ان النساء يضطررن أن يمررن بين العساكر الى الكنيسة أمر الخوري ميخائيل ابي كرم أن يشتري لرعيته قطعةً ارض خارجة عن الكوارنتينا وهو يبني كنيسة الرعية على قياس كنيستهم القديمة، فذهب الخوري الى الامير حيدر احمد بشملان فوهب قطعة الارض حيث الكنيسة الآن وشرط أن يقدم قداس كل سنة على نيته، ودفع ابراهيم باشا قيمة ثمن الارض الفين وخمسمائة قرش، وأشغل عسكره بناءها على هيئة الكنيسة القديمة طولاً وعرضاً وعلواً، ثم زيد على هذا البناء في ما بعد سوق مسقوف بالاخشاب، فهدمت البناء القديم واقمت البناء الجديد وكمل بعون الله سنة ١٨٨٣م وكانت نفقته نحو مائة وستين ألف قرش.

في سنة ١٨٨٤م شرعت ببناء كنيسة مار جرجس الكاتدرائية فإن الكنيسة القديمة كانت قد أمست تضيق على ابناء الطائفة ومجالاتها حرجة، فأُخذت بإنشاء هذه الكنيسة حذا القلاية مسكن الاسقفية وكنت قد صورت كنيسة مريم الكبرى برومة بكل أجزائها فجعلت كنيستنا على هيئتها ما أمكن، وأتاح الله لي رجلاً ايطالياً يسمى يوسف ماجيوري خبير بهيئات الكنائس ونقوشها أقمته على ذلك الى أن يسر الله الفراغ من العمل سنة ١٨٩٤م، ودشنتها باقامة القداس الاول فيها احد الشعانين من السنة المذكورة، وقد بلغ ما أنفقته عليها نحو مليونين من القروش.

وفي سنة ١٨٩٤م عنيت بأن صيرت الدار التي كنت قد اشتريتها من الخواجات ابناء كميد مدرسة للبنات مزيداً عليها طبقة ثالثة ومصلحاً فيها ما يلزم اصلاحه، واستحضرت اليها اربع راهبات من رهبانية العائلة المقدسة، وأخذنَ في التعليم فيها. وبعد خمس سنوات وجسن بأن البناء غير ثابت وتركنَ السكنى فيها فاضطررت الى هدمه وبناء اربع دور هناك معدة للاجرة. وسنة ١٩٠١م اخذت في

بناء كنيسة ايليا النبي في رأس بيروت، فان الكنيسة التي بنيت هناك في ايام المرحوم سالفنا المطران طوبيا أمست لا تسع الموارنة سكان ذلك الحي.

ومنذ السنة السالفة اي سنة ١٩٠٣م قد كان الفراغ من البناء الخارج وهمنا الآن في تكميل ما يلزم بداخلها، وقد بلغت النفقة عليها الى الآن نحو ثلاثمائة ألف قرش، وكل هذه النفقات على الكنائس لم أثقل على أحد بشيء منها بل جميعها من دخل عقارات كنيسة مار جرجس الكبرى التي ساعدني الله على زيادتها كثيراً وإنماء دخلها.

وأما الكنائس التي اهتممت بإنشائها بالقرى فهي كنيسة القديس يوسف في قرية حريك وكنيسة مار ميخائيل في قرية الشياح، وكنيسة مار عبدا بقرية رومية، وكنيسة مار ميخائيل بقرية رمحالا، وكنيسة القديس سركيس وباخوس في بحنس. ومن الكنائس الصغيرة التي اهتممت بها وأقمت ببعض نفقتها كنيسة بلبيل وكنيسة عيناب وكنيسة المريجات. وقد انشأ الشيخ عقل شديد واولاده كنيسة السيدة العذراء بالمتين وخولتهم حق الولاية عليها. وانشأ شهدان هيكل الغريب كنيسة على اسم العذراء ايضاً في معلقة الدامور وفقنا الله الى كل ما به مجده الاعظم وخير النفوس.

كان الفراغ من هذا المجلد الثامن وهو الأخير من تاريخ سورية في ١٥ اذار سنة ١٩٠٤م، بعد أن أخذنا بتأليفه في اول تشرين الاول سنة ١٩٠٢م وكنا صرفنا فصل الصيف في هذه السنة بسفر الى رومة العظمى لتهنئة السعيد الذكر البابا لاوون الثالث عشر بيوبيله الحبري نيابة عن الطائفة والبطريرك وتجولنا ذهاباً بالآستانة العلية، وفيأنا الى رومة ثم سرنا الى فرنسة وباريس. تقبّل الله برحمته أتعابي جميعها بهذا التأليف، وجعلها مخلصة لوجهه الكريم، وكفّارة عن مآثمي، ومنفعة لقارئيه وسامعيه بمنّه وكرمه.

آمين.